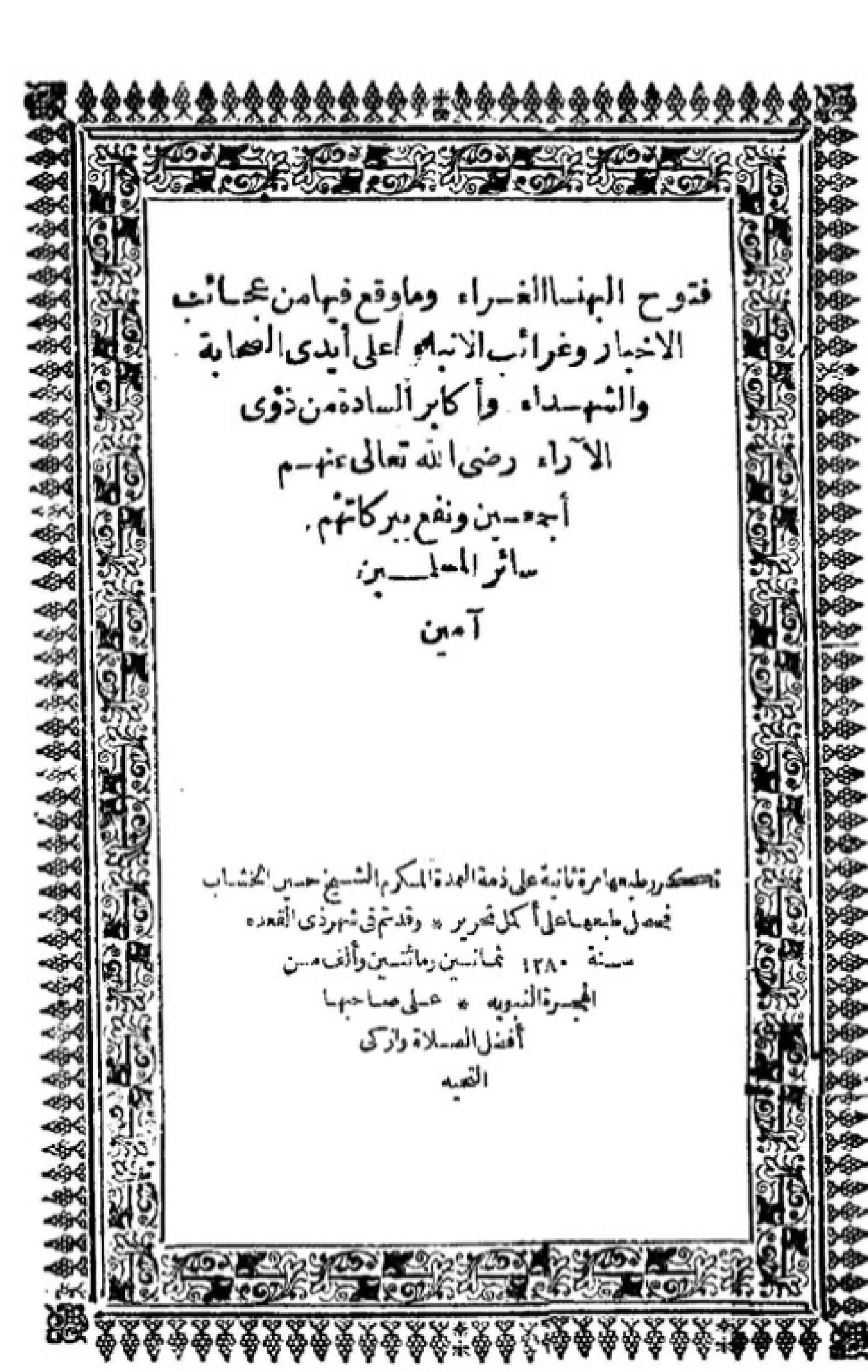


فتوح البهنسا الغراء وما وقع فيها من عجائب الاخبار وغرائب الاثار على أيدى الصحابة والشهداء وأكابر السادة من ذوى الآراء رضى الله تعالى عنهم أجمعين ونفع ببركاتهم سائر المسلمين آمين

تكرر طبعها مرة ثانية على ذمة العمدة المكرم الشيخ حسين الخشاب
فحصل طبعها على أكمل تحرير * وقد تم فى شهر ذى القعده
سنة ١٢٨٠ ثمانين ومائتين وألف من
الهجرة النبويه * على صاحبها
أفضل الصلاة وأزكى
التحيه



الحمد لله الذي من بالفتح والنصر المبين ومن على رضيه من ارتضاه من بلاده ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين والعاقبة للمتقين * قال الشيخ العلامه والعمدة الفهامه محمد بن محمد المعز (ذكر فضائل البهنسا وأرضها وتربتها) اعلم ان أرض البهنسا في تربتها من الاشراف والصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين نحو أربعمائة من الامراء الاعيان منهم على بن عقيل وجعفر بن عقيل بن أبي طالب والحسين بن صالح بن الحسين بن على بن أبي طالب وزياد بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن العباس بن أبي لهب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (وسنذكر من شهداء الواقعة بها من الاعيان الامراء) وقد ذكر جماعة من السادة والامراء الاعيان قالوا ان من زار جبانة البهنسا خاض في الرحمة حتى يعود ومن زارها خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ومن زارها وكان مهموما فرج الله همه وغمه وان كان صاحب حاجة قضى الله عز وجل حاجته وفيها اماكن يستجاب فيها الدعاء منها مجرى الحصى وعند مجرى النيل فان فيها كثيرا من الشهداء وعند قبر زياد بن أبي سفيان وعند مشهد الحسين ابن صالح بن الحسين بن على بن ابي طالب وعند قبر عبد الرزاق من داخل الباب

والجبل

والجبل وعند معبد السيد عيسى بن مريم عند قبور الشهداء بسفح الجبل وقبليها مكان
يعرف بالمراغة قبلي الجبانة عند قبور الشهداء ايضا وقد زارها جماعة من الصالحين
من أرض العراق وأبو علي النووي ويذكر انه كان اذا وصل اليها ينزع ثيابه ويتمرغ
في تربتها ويقول يا لك من بقعة طالما طار غبارك في سبيل الله وزارها من كبار الصالحين
من أرض المغرب من أقصى الاندلس مشاة على الاقدام وشاهدوا من الفضائل
الجمة والبركات العظيمة والامور والبراهين التي شاهدوها عيانا (فمنهم) الامير عبد
الله التكروري وقد ذكر اصحاب التواريخ انه لم يكن بعد أرض مصر وأرض
البحيرة شهداء اكثر من أرض البهنسا وذكروا انه في مجرى الحصى عند منبع السيل
من الجهة الغربية قتل هناك جماعة كثيرة واستشهد فيها أربعمائة سيد من الامراء
الاعيان نذكرهم عند الفتوح ان شاء الله تعالى

(واما فضائل) البحر اليوسفي الذي عليه مدار هذه المدينة ففيه عجائب (منها) انه
غزير البركة مع قرب شطه حتى يروي ما حوله من القرى والبلدان مع قليل من زيادة
النيل شيئا يسيرا (ومنها) اذا انقطع عند عدم زيادة النيل يتفجر من أصله عيون فصار
نهرا جاريا وهذا لا يوجد في غيره من الانهار * (ومنها) انه دفن فيه يوسف الصديق
عليه السلام واقام فيه الى زمن السيد موسى عليه السلام فازداد بذلك بركة (ومنها)
انه شقه جبريل بخافقة من جناحه بأمر الله عز وجل للسيد يوسف عليه السلام وذلك
ان السيد يوسف قد وقع بينه وبين صاحب مصر بعد فراغ السبع سنين المجدبة واجتماع
بني اسرائيل فحسدتهم العمالقة على ذلك فقال له رد عني ملكي فاجمع رأيهم على الترعة
والقسمة فخفت أرض مصر فوقع الجانب الغربي ليوسف عليه السلام وهو أرض البهنسا
وكان قفارا ورمالا وتلالا فاراد أن يجري بها نهرا من النيل فجمع عشرة آلاف عبد
وقيل مائة ألف عبد ودفع لهم مساحي واخلاق وأمرهم ان يحفروا فيه من الجهة القبلية
الى الجهة البحرية فحفروا ثلاث سنين وقد اجرى لكل جائزة من خزائنه فلما جاء النيل
سد جميع ما حفروه ففعل ذلك من الجهة البحرية كذلك الى تمام سبع سنين حتى اعياه
ذلك فقلق السيد يوسف عليه السلام قلقا عظيما (واتفق) لهم في ايام الحفر انهم دفنوا
المساحي في الطور قريبا منه من الجهة القبلية فاصبحوا فلم يجدوها فقالوا سرقنا
فسميت البلد التي عنده سرقنا فاوحى الله اليه يا يوسف استعنت برجالك وأموالك
ولم تستعن بي فوعزتي وجلالي لو استعنت بي لاجريته لك في اقل من طرفة عين فخر

يوسف ساجدا لله عز وجل وهو يقول سبحانك ما أعظم شانك وأعز سلطانك (ثم انه)
لما فاق من سجوده نزع ثوابه واغتسل ولبس المسوح وخرج من البرية وخر ساجدا
متضرعا الى الله عز وجل فأوحى الله اليه يا يوسف ارفع رأسك فقد قضيت حاجتك
ثم أمر الله سبحانه وتعالى جبريل فشقه بخافقة من جناحه وقيل بطرف ريشة من
جناحه من فمه من الجهة القبلية الى الفيوم فى أقل من طرفة عين بقدرة الله تعالى
فمر يوسف عليه السلام القناطر وبنى مدينة الفيوم وقال بعضهم حفر فيه السيد
يوسف الصديق عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام ألف يوم وما سمى الفيوم
الا لاجل ذلك وصار ذلك البحر جاريا من حيث شق سيدنا جبريل عليه السلام الى
آخر الفيوم وأما ما حفرته العبيد من الجهة القبلية والجهة البحرية فانه اذا انقطع عنه
مدد النيل يصير أرضا خالية الاماء فيها يزرعون فيه البقول وما أشبهها بخلاف ما حفره
سيدنا جبريل عليه السلام فانه اذا انقطع عنه مدد النيل كان به عيونا تتفجر من أصله
فيصير نهرا جاريا وهذا لا يوجد فى غيره من الانهار ومن بركاته انه يقسم بأراضى الفيوم
ماء يسير فيروى جناين وزروعات كثيرة صيفا وشتاء وهذا لا يوجد فى غيره من الانهار
أيضا * ومن غرائب بركته انه اذا زاد النيل يسيرا يكون أثر الزيادة فيه كثيرا * ومنها
أنه على قرب شاطئه مع قليل من زيادة النيل يروى ما حوله من القرى والبلدان من
أعمال ميلوى ومنية ابن خصيب وأعمال البهنسا والفيوم حتى ينصب باقيه بالمحل
المشهور بالغرق حتى يغشى على أراضى الفيوم من كثرته وهذا لا يوجد فى غيره من
الانهار (قال الراوى) وقسم سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام الارض بينه وبين
اخوته فكانت أرض البهنسا لافراثيم بن سيدنا يوسف عليه السلام فشرع فى
عمارتها وقطع الاحجار وعمر الاسوار والمنارات والقناطر وجعلها تضاهى مدينة أبيه
التى هى بالفيوم وكان النهر يجرى من وسطها من الجهة القبلية ثم يخرج من الجهة
البحرية الى زمن الاسلام وسنذكر ذلك فى الفتح ان شاء الله تعالى
(قال الراوى) وكان بها من الابراج والمنارات والرساتيق ما لا يوصف وسكنها جماعة
من بنى اسرائيل واتخذوا بها دورا وبساتين وذلك غربى مصر وأرض الفيوم فأرض
البهنسا الى آخر الصعيد من الجهة الغربية كلها كانت مختصة ببنى اسرائيل وكذا أرض
مصر وأرض الفيوم وأرض البهنسا الى أرض الصعيد لا يشاركهم فيها غيرهم وجعل
يوسف عليه الصلاة والسلام تلك العبيد خولة وفلاحين بأرض الفيوم وشرع

في عمارتها وغرس بها الاشجار على جانب البحر اليوسفي من الجهة الشرقية والجهة الغربية وغردت الاطيار على الاشجار تسبح الله الواحد القهار فكان لا يرى شاطئ البحر اليوسفي لكثرة جناته وزروعاته من سائر الاشجار والاثمار

(قال الراوي) كانت المرأة تخرج بمقطفها على رأسها ومغزلها في يدها وتمضي الى حاجتها فلا ترجع الا وقد امتلأ المقطف من جميع الاثمار من غير أن تمس شيئاً بيدها فلما عصت بنو اسرائيل وجحدوا نعمة الله عز وجل وارتكبوا المعاصي نزع الله النعمة من بين أيديهم وسلط عليهم العمالقة والقبط والروم فغلبوا عليهم ونزعوا تلك النعمة من بين أيديهم واحتووا على الملك لجحودهم نعمة الله وقتلهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر حتى اتخذوهم عبيداً وحجارين وضرابين واستخدموا نساءهم وأبناءهم بعد أن كانوا سادات ولم يزل بنو اسرائيل في أضيق عيش وأعظم بلاء وأشد كربة من التكاليف الى ما لا يطيقون حتى أنقذهم الله تعالى ببعث سيدنا موسى عليه وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام وليس الكتاب مختص بذلك وقد احتوى على المدائن والمزارع والبساتين

(قال الراوي) وكان أول من ملك مدينة البهنسا شمولون الملك وكان كاهناً يدري علم الهندسة وهو الذي بنى بها من الرخام على ضفة النيل وجعل فيه بركة صغيرة من نحاس فيها ماء موزون وعلى حافات البركة عقابان من نحاس ذكر وانثى فاذا كان أول الشهر الذي يزيد فيه النيل فتحه وأحضر فيه الكهان وصفر أحد العقابين فاذا صفر الذكر كان الماء زائداً وان صفرت الانثى كان الماء ناقصاً ثم يعرفون الماء بزيادة البركة ويتكلم كل أحد منهم في زيادة النيل فاذا عرفوا ذلك تجهزوا واضبطوا الجسور التي على البحر اليوسفي وعمل قنطرة وعمل بمدينة البهنسا عجائب كثيرة ما لا يصف بعده الواصفون واحكم فيها ونقشها من النقوش شيئاً عجيباً وجعل بركة في وسط البلد وعمل فيها صنماً عجيباً معلقاً على أساطين يرتفع منه الماء وبنى مدينة اخرى في الجانب الشرقي في المكان المعروف الآن بالقيس وجعله لولده سوريد واحتفر سرداباً وعقده بالحجارة من تحت البحر اليوسفي من قصره الى قصر ولده سوريد محكماً بالهندسة يسير فيه راكباً بالشمع وغيره في زمن النيل حتى يطلع من هناك فلما هلك شمولون تولى ولده سوريد على سرير ملكه مائة وتسعين سنة وأخذ في أمر أبيه بالعدل والاصلاح وعمل بالمعروف في الارض والانصاف بين الناس وبنى المنارات والاعلام وعمل في وسط المدينة امرأة جالسة في حجرها صبي كأنها ترضعه وكل امرأة اصابتها

علة من العلل في جسدها مسحت ذلك الموضع من ذلك الثدي فيزول عنها جميع ما تجده
من العلل والالم وكذلك ان قل لبن المرأة من ثدييها مسحت بيدها ثدي المرأة المصنوعة
فيكثر لبنها وكذلك ان أحبت ان يعطف عليها زوجها مسحت وجه الصورة بزيت
طيب ومسحت به وجهها اعطف عليها زوجها وأحبها حبا شديدا وقالت ادهنوا كذا
وكذا يعطف عليكن زوجكن فان أصاب ولدها شيء وفعلت مثل ذلك برئ الولد باذن
الله تعالى وان عسر عليها النفاس مسحت رأس الصبي فتسهل ولادتها وكذلك اذا
اردت اقتضاض البكر مسحت على وجهها بزيت طيب ومسحت فرج البكر يسهل
اقتضاضها وكذلك اذا وضعت المرأة الزانية يدها على المرأة المصنوعة ارتعدت فان
كانت بريئة لا ترتعد لها يد وان سرقت المرأة شيئا كذلك ترتعد يدها حتى تكف وترجع
عن فجورها وكذلك ان اتهم رجل زوجته بشيء من زنى أو غيره تضع يدها عليها فان
كانت بريئة لا يصيبها شيء وان كانت غير ذلك ارتعدت حتى قل الزنى في زمانه والفساد
والسرقة وعمل في وقته اعمالا كثيرة وعجائب (منها صنم يقال له بكر يبرئ من الاخلاط
والعلل ويعرفون بعلامة من برئ وعاش ومن يموت من علته ولم يبرأ (وقيل ان سوريد
ملك الى حد الواحات والى أقصى الصعيد والبحيرة وكان أكثر اقامته بمدينة البهنسا
وبنى حائطا على حد الواحات من الغرب وعلى حد الاقليم من الشرق وكان سوريد بن
شهلون قد تغلب على مصر وجمع الكهنة وصنع على رأس الاقليم بطريقا الى حد الواحات
وعمل عندها على الرمل حائطا صفة فارس من النحاس الاحمر راكبا جوادا من نحاس
معه سلاحه يدور دورانا عظيما الى جهة الريح فأي مكان هب الريح حبس الرمل عن
الاقليم بأمر الله عز وجل وصنع أيضا صنما من حجر اسود ونصبه على باب المدينة فان
دخل أحد من أهل الخير ضحك ذلك الصنم وان دخل أحد من أهل الشر بكى ذلك
الصنم وصنع أيضا قاضيا من حجر جالسا على الماء فان تحاكم اليه الخصمان فالذي معه
الحق يمشي على الماء والذي معه الباطل يغرق في الماء وصنع أيضا عجائب كثيرة وقيل
ان سوريد كان اعلم بتدبير الصنعة وكثرة الكنوز هو وأبوه وامر بقطع الاساطين العظام
ونشر البلاطات الهائلة واستخراج الرصاص من أرض المغرب واختار الصخور من
ناحية السودان وان كانت سوداء وعمل كما فعل صاحب الاهرام وقيل انه هو صاحب
الاهرام وأيضا بنى كنزا عظيما بمدينة البهنسا ينزل فيه بدريج من الرخام الاسود زها
من مائة درجة الى باب من البولاد العظيم مقفولا بقفل من البولاد ووكل به حراسا

من الجبان يدخل منه الى ازج معقود بالرصاص والحجارة الى قريب الجبل جهة
الجنوب يتوصل منه الى سبع قاعات مبنية بالرخام الملون منقوشة السقوف بالحكمة
والعجائب ومملوءة منها بأنواع الذهب والفضة والمعادن والفصوص والجواهر ووضع
عليه فراشا من الحرير المنسوج بقضبان الذهب واستعمل أيضا الادوية التى اذا وضعت
على خراطيم الميت بعد موته صار طريا على حاله وأمر شهلون ولده سوريد اذا مات يضعه
فى تلك القاعة هو وحريمه واستخدم طلاسم واستدعى بعمال البلد بيض وكتب لهم طلاسم
وأمران تدفع لهم سيوف وان تضرب أعناقهم فتلبسهم روحانية الاسما فيكونون حراسا
وكذلك عبيد سود بأيديهم آلات من الحديد على الابواب وكان يخرج من الكنز الى
آخره وكتب ما يكون من ابطال ذلك ودفعه لولده فلما مات وضع على سرير من ذهب
وطيف به مدينة البهنسا أربعون يوما ثم دخل فى ذلك الكنز هو وحريمه بلباسه وزينته
وتاجه ووضع عليه شبكة من الجوهر مشبكة بقضبان الذهب والفضة هو وحريمه
وجعل على يمين السرير خادما أبيض بيده سيف يشيره وعن يساره زنجى يفعل ذلك
وطلسم الكنز حتى مات شهرمان يعنى أبيه شهلون وأيضا انقضت دولة العمالقة وتولت
دولة الروم فكان أول من ملك البهنسا من الاروام ملك يسمى رومان وقيل روم من ولد
عيص بن اسحاق عليه السلام فلم يزل الامر كذلك حتى صار الى قسطنطين الاول وأيضا
ملك سوريد المذكور الشام ومصر واحتوى على المدائن فكان أول من ملك مدينة
البهنسا من دولة قسطنطين من الروم قنطاريوس وكان الحاكم عليها قسم اقليم البهنسا
ثمانين اقليما على الثمانين بطريقا كل بطريق على مدينة باقليمها وملك الواحات وجبيت
له الاموال وكان فى زمن قسطنطين وفى زمن المسيح عليه السلام وهو أيضا ممن كان
قد قال بالنصرانية وجمع الاساقفة على العبودية ثم تفرق بعد قسطنطين الملك الاول
والنصارى على فرق وهم طبقات البطريق الاول والاسقف والقسيس والشماس
والدمشوش والشماس صاحب العرف وهم يفطرون اذا صاموا يوم الاحد والسبت
من الظهر ولا يتزوج الرجل منهم غير واحدة لا يزيد عليها ولا يشرب من الخمر ما يسكره
والسكر عندهم حرام ولا يدرون الغسل من الجنابة لا الذكر ولا الانثى وان كانت عبادتهم
بالسبت يأخذون القربان ويقولون هذا جسد يعنون المسيح عليه السلام فاذا
تفرقوا بعد ذلك أخذوا القربان وقبل بعضهم بعضا ويورثون فى شريعتهم لعنهم الله
النساء جزئين والرجل جزءا واحدا وليس لهم طلاق ومن سنة الروم والافرنج لا يلبس

أحدهم خفين أحمرين فإن الملك يلبس فرداً أحمر وفرداً أسود ولذلك كانت الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين يعرفونهم في الغزوات ولا يأكل ملكهم الا على القينات والألحان والغناء وأكثر أكلهم السكرجات والمزعفران والاسفيذاجات ولحم الخنازير وفيهم الطب والصناعات والحذق بالبصر حتى ان الرجل منهم يصور الصورة فيظهر عليها السرور ويسمون ملكهم الرحيم وملوكهم يتزوجون وفيهم العدل في الرعية

(ذكر نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام بمدينة البهنسا وخروجه من مصر واقامته)

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ذكر أصحاب التواريخ وهم المسعودي وأبو جعفر الطبري والواقدي وابن اسحاق وأصحاب السير وأهل التفسير مثل سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وابن عباس وعلي بن أبي طالب والثعلبي والزمخشري ان المراد بالربوة والله أعلم مدينة البهنسا وقال غيرهم المراد بها مصر وقد جمع من كتب كثيرة وتواريخ عظيمة وتفاسير نفيسة وفتوحات عجيبة (قال الراوي) كان مولد عيسى بن مريم لمضي ثنتين وأربعين سنة من ملك اقرسطوس ولاحدى وخمسين سنة من ملك اسكاتين بن اقرسطوس فكانت المملكة في نواحيها القيصر ملك الروم وكان الملك عظيماً من قبل قيصر هيدروس وكان بالبهنسا قيطاريوس فلما سمع هيدروس خبر المسيح عيسى بن مريم قصد قتله وذلك انهم نظروا الى نجمه وقد طلع فعرفوا ذلك بالحساب عندهم في كتابهم فبعث الله ملكاً الى يوسف النجار وأخبره بما أراد هيدروس فقال يا مريم اخرجي من مصر فانه ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هيدروس فارجعي الى بلادك

(قال الراوي) فاحتمل يوسف النجار مريم وابنها على حمار له حتى دخل بهما أرض البهنسا وهناك بئر في المعبد وكانوا يستشفون منها من الامراض وهي التي كانت مريم وابنها يتوضآن منها للصلاة وكانت تارة تفيض الماء وتارة لم يصعد فيها الماء وقيل ان مريم لما دخلت بولدها الى أرض البهنسا أتوا الى مكان البئر المعروفة ورجع يوسف النجار ونزل مريم عند البئر وليس عليها رشا فطلب عيسى عليه السلام الماء ليشرب فبكى من العطش فحزنت عليه أمه فارتفعت البئر حتى شرب منها وهي في أوان ذلك اليوم تزيد ويعرف بها ماء النيل ويصلون النصارى لها عيداً الى يومنا هذا وهناك ديور وزروعات ثم ان مريم وعيسى دخلا المدينة المذكورة روي عن محمد بن الباقر أنه قال حين تم لعيسى

اثنتا عشرة سنة اقامة بالمدينة وامه تغزل الكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين
وكان قدوم مريم الى أرض البهنسا وعمره شهران على يدها كأنه ابن سنتين فلما كمل
عمره تسعة أشهر اخذته امه وجاءت به الى الكتاب وأقعدته بين يدي المؤدب فقال له
المؤدب قل ابجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه وقال أتدري ما أبجد فأراد المؤدب أن
يضربه قال يا مؤدب لا تضربني ان كنت لا تدري والا فسلني حتى أفسر لك قال المؤدب
فقل لي قال له عيسى عليه السلام انزل عن مرتبتك فنزل وجلس عيسى مكانه وقال
الالف آلاء الله والباء بهاء الله والجيم جلال الله والدال دين الله والهاء هوان جهنم
وهي الهاوية والواو ويل لاهل جهنم والحاء الحاطة الخطايا عن المستغفرين والكاف
كلام الله لا مبدل لكلماته والصاد صاع بصاع والتاء تترشهم حيث جهنم فقال لها
المؤدب خذي ولدك واحتفظي عليه فقد علمه الله فلا حاجة له بالمؤدب قال وهب
حدثنا الحسين بن صالح بن الحسين حدثنا محمد بن حمدون حدثنا حمدون بن خالد
حدثنا أحمد بن هشام الانطاكي حدثنا الحكم بن نافع عن اسماعيل بن يحيى عن أبي
مليكة عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
عيسى بن مريم لما أرسلته امه الى الكتاب ليتعلم فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن
الرحيم قال عيسى عليه السلام أتعرف تفسيرها فقال المؤدب لا أدري ذلك فقال
عيسى عليه السلام الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم ملائكة الله الى آخرها قال
وهب كان أول آية اراها عيسى للناس في صباه ان عيسى عليه السلام كانت امه نازلة في
دار بالبهنسا من أرض مصر عند دهقان من دهاقنة الملك انزلها يوسف النجار حين
أتى بها من مصر فكانت داره تأوي اليها المساكين فسرق له مال جزيل من خزائنه وكان
الدهقان خصيصا بالملك صاحب مدينة البهنسا فلم يتهم المساكين فحزنت مريم عليها
السلام لمصيبة الدهقان فلما رأى عيسى عليه السلام حزن امه على مصيبة الدهقان
صاحب ضيافتهما قال يا اماه أتحبين أن أدلك على مال الدهقان قالت نعم قال لها
قولي له يجمع المساكين الذين كانوا في داره فاعلمت مريم الدهقان بذلك من ولدها
عيسى فلما اجتمع المساكين عمد عيسى عليه السلام الى رجلين أحدهما أعمى والآخر
مقعد فحمل المقعد على عاتق الاعمى وقال للاعمى قم فقال الاعمى انا ضعيف عن ذلك
فقال له عيسى عليه السلام كيف قويت على هذه السرقة البارحة فلما سمعوه يقول ذلك
ضربوا الاعمى حتى قام به الى كوة الخزانة فقال عيسى هكذا احتال لذلك البارحة

لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدق فرد على
الدهقان ماله فوضعه الدهقان فى خزائنه وقال يا مريم خذى نصف ذلك المال قالت
انى لم أخلق لذلك قال الدهقان اعطه لابنك قالت ان ابنى أعظم منى شأنا لا يعطى
من مخلوق (ثم) لم يلبث الدهقان ان أولم لعيسى عليه السلام فجمع أهل المدينة
كلهم فأضافهم شهرين فلما انقضى ذلك زار عيسى عليه السلام ملوك البلاد وأكابرها
وليس عنده طعام ولا شراب فأمر عيسى عليه السلام بأن يؤتى بجرار الخمر ممتلئة فلما
حضرت جرار الخمر مر بيده عليها فصارت شرابا باذن الله تعالى هذا وهو يومئذ ابن اثنتى
عشرة سنة فازداد فيه أهل البهنسا اعتقادا وكذا من حولها من المدائن والقرى
والسواد من أرض مصر الى أرض البهنسا ملوكا وغيرهم من أهل تلك البلاد قال
السدى وكان عيسى عليه السلام يخبر الصبيان فى المكاتب بما يصنع آباؤهم
وأجدادهم فيقول للغلام انطلق فقد أكل اهلك كذا وكذا فينطلق الى أهله ويبكى لهم
حتى يعطوه ما طلب ويقولون له من أخبرك بذلك فيقول عيسى فتنكروا منه
وأوصوا صبيانهم أن لا يجتمعوا عليه فأتى عيسى وكلم الصبيان فى شأن ما قاله آباؤهم
فقالوا نحن لا نتبع الا أنت بما جئت به من عند الله ونحن عصبتك عليهم

(قال الراوى) فشاع ذلك فى المدينة فاجتمعت كبار البطارقة والرهبان والقسس
وجمعوا أولادهم وعيالهم يحذرونهم وينذرونهم من عيسى أنه ساحر مكار لا تتبعوه وقد
حبسوهم فى بيت وكانوا عليهم خدما ونوابا لما يحتاجون اليه فى كل يوم خوفا من عيسى
فجاء عيسى عليه السلام للبيت الذى هم فيه فلقيه مغلوقا وعليه الحجاب والنواب
فكلمهم عيسى أن يفتحوا لهم فقالوا له يا عيسى ما هم غلمان ولا عيال غير أنهم خنازير
فقال عيسى عليه السلام يكونون كذلك ان شاء الله تعالى ففتحوا لهم الباب فاذا هم
خنازير كما قال ففشا ذلك فى الناس وهابوه قال السدى لما نزل عيسى وأمه بأرض
البهنسا نزلا فى قرية من قراها على رجل فأضافهما وكان ذلك الرجل خباز الملك فجاء
يوما وهو مغتم حزين فدخل بيته ومريم عند زوجته فقالت مريم ما شأن زوجك أراه
كئيبا حزينا قالت لا تسألى قالت لها اخبرينى لعل الله أن يفرج عنك قالت لها ان الملك
تعنى ملك البهنسا جعل على كل واحد من هذه القرية يوما طعاما يقدمه له ويسقيه الخمر
فان لم يفعل ذلك عاقبه الملك واليوم علينا وليس عندنا سعة قالت لها مريم قولى له
لا تهتم فانى آمر ولدى ان يدعو الله فيكفى ذلك فذكرت مريم ذلك لعيسى ولدها عليه

السلام

السلام فقال لها ان فعلت ذلك وقع شئ فات لا تبالى فان هذا الرجل احسن الينا
وأكرمنا فقال عيسى قولى له اذا قرب الملك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني
ففعل ذلك وذا بالملك قد أقبل فارتجت الارض من الطبول والزمور والصنوج
والمعازق وأقبلت العساكر فدعا عيسى عليه السلام الله عز وجل فتحول ما فى القدور
لحما وطعاما ملونا وأما الخوابى فتحولت خمرا لم ير الناس مثله قط فلما رأى الملك ذلك أكل
وشرب فحصل له سرور كثير ثم انه سأل ذلك الرجل عن ذلك الخمر فقال له هو من أرض
الفيوم فلم يصدقه وقال انه يأتيني منها الخمر والعنب فلم يساو هذا الخمر فقال له من أرض
اخرى فأنكر عليه الملك ذلك فلما خلط الرجل فى الكلام قال له الملك ان لم تصدقني
والا فعلت بك ما لا يليق فقال الرجل وقد علم أن الملك اغتاظ منه ان عندى غلاما
ما سأل الله شيأ الا أعطاه وانه دعا الله حتى جعل الماء خمرا فتعجب الملك من ذلك وكان
للملك ولد يريد أن يستخلفه فى الملك مات قبل ذلك بأيام وكان أحب اليه من كل أحد
فقال الملك ان ذلك الغلام الذى دعا الله حتى جعل الماء خمرا قل له أن يدعو الله ليحيى
ولدى قال فأتى الرجل الى عيسى عليه السلام وأعلمه بأمر الملك فقال عيسى لا أفعل
فقال له الرجل لاى شئ قال عيسى ان عاش ذلك الولد وقع شئ عظيم فذهب الرجل
اخبر الملك بما قال عيسى عليه السلام فقال الملك لا ابالى بعد أن أرى ولدى وطلب
عيسى فلما حضر عنده سأله فى شأن ولده فقال له اذا فعلت ذلك تتركني انا وأمى نذهب
حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فأحيى الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا
بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف ولده علينا فيأكلنا كما أكلنا
أبوه فاقتتلوه فذهب عيسى وأمه وله آيات كثيرة وقصة الصباغ مشهورة والله أعلم
ولنرجع الى القول الاول مع ملك المنساة بطاريوس وكان من أمر الله ما كان ثم هلك
واستخلف ولده اسكندراس بعده فأقام على رتبة أبيه فى الملك مدة ثمانين سنة وولد له
ولدان فسمى أحدهما توما والآخر بطرس فاقتسما المدينة نصفين بينهما وحصناها
بيابين فكان الجانب القبلي لتوما فجعل فيه بابا فسمى باب توما والجانب البحرى
لبطرس فأقاما على ذلك أربعين سنة فولد لتوما ولد فسماه روماس وولد لبطرس بنت
فسماها بهاء النساء وكانت مبدعة بالحسن والجمال فسميت المدينة بها الى يومنا هذا
فتعلمت العلوم والشجاعة وغيرهما فخطبها توما لولده من أخيه بطرس فزوجها اياها ولم
يمنعها منه بعد ان شرط له نصف المملكة فأجابه الى ذلك وكانوا يقولون بدين النصرانية

فلما دخل بها جاءت منه بولد وهلك الابوان وهما المذكوران توما وبطرس واحتوى على الملك روماس وكان ظالما فاجرا فاسقا يحرم رعيته ويفجر بهن وكان اذا جلس على سرير الملك ليحكم بين الرعية حكم بالفجور وكانت بنت عمه بهاء النساء طيبة في حق الرعية محسنة اليهم دونه فبنى روماس رواقا على رأس أربعة عمد من الرخام الملون ارتفاعه عشرون ذراعا عليه قبة من الرخام الاخضر وعليها سبع من الذهب الاحمر عظيم فاتح فاه في عينيه جوهرتان قوائمه من الفضة البيضاء مكلل بالفصوص اذا جاء الليل يكاد نور تلك الجواهر يأخذ بالبصر من داخل القبة التي للرواق منقوشة بالذهب والفضة مصور فيها جميع التماثيل وفي ذلك الرواق سرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر في جوانبه الاربع أربع صور (الاولى) صورة أسد فاتح فاه في عينيه ياقوتتان من الياقوت الاحمر يخيل للداخل ان يفترسه (الثانية) صورة نسر من الزبرجد الاخضر مرصع باللؤلؤ والمرجان عيناه من العقيق قائم على عود من الذهب الاحمر نافض أجنحته يخيل للناظر انه يطير ويرتفع وهو حامل بأجنحته سحيق المسك الاذفر ثم يدور على العود وينفض ذلك المسك على الملك روماس (الثالثة) صورة غزال من العقيان مرصعة باللؤلؤ والجواهر النفيسة جامعة بعضها وقد وضع لها عود من الفضة عليه لوح من الذهب الاحمر وهي قائمة على ذلك اللوح واثبة كأنها تريد الهرب من الاسد اذا دار اليها تدور بدوران الحكمة والهندسة (الرابعة) صورة طاوس فيه من جميع العقود واللآلي وعيناه من عيون المها الخالصة وكلما دار النسر وجهه اليه دار عنه كأنه يريد الهرب على فراش ملون من أصناف الحرير المنسوج بالذهب وقباب من الذهب الاحمر طولها اثنا عشر ذراعا عليه ستر من الحرير الاخضر مقضب بقضبان الذهب والفضة فسبحان من لا يزول ملكه وبقاؤه

«(قال الراوي)» وكان الملك روماس اذا حكم بأمر يردونه على بهاء النساء فان وقع الحكم موقعه أمضته والا ردته بغيره فلما خالف أمرها وأساء في حق الرعية شكا وجوه قومه اليها فأخذتها الغيرة فعند ذلك أتت الى ابن عمها فرأت في مجلسه جوارا يضربن على جميع الآلات والغناء وكان في مجلس شرابه أربعمائة جارية والغلمان على رؤسهم بالسيوف المجذبة والدرق المكوكبة والدبابيس المذهبة يحفظون ذلك المجلس حتى يغلب عليهم السكر فاذا غلب عليهم السكر تفرقوا فلما لعب الخمر في رؤسهم أتت اليهم بهاء النساء ومعها قطعة بنج فوضعتها في قدح وكانت الآنية كلها من ذهب

وفضة وزبرجد وبلور مزملك بالذهب والفضة وباطية تجزع من المرمر الملونة وشى بالحكمة
طولها ستة أذرع مملوءة خمرا واسقته فلم يكن منها ذلك الا واني جعلت في ذلك القدح بنجا
وسقته اياه فوقع على الارض مطروحا وتفرق من كان في المجلس فتقدمت بها النساء
وأخذت خنجرا وحزت رأسه ثم استدعت بالغلمان واحتفروا بظاهر القصر حفيرة
والقوه فيها وجعلت رأسه على عود كبير في القصر فاصبح أرباب الدولة وأصحاب الصولة
من الحجاب والنواب والوزراء والبطارقة يريدون الدخول لخدمته على جاري العادة
فوجدوا رأسه معلقة فتغيرت ألوانهم فخاطبتهم بهاء النساء وقالت لا بأس عليكم فاني
ما فعلت ذلك الا لاجلكم من جوره عليكم فشكروها على ذلك وملكوها عليهم واستقام
الملك لها واحسنت في حق الرعية وأطاعها أهل جميع الاقاليم الى اطراف مصر وما بينها
المولك الى حد الصعيد وحد برقة وقربت الحكماء والكهنة وأصحاب العلوم فلما تم حملها
ولدت ولدا ذكرا ففرحت به فرحا شديدا فسمته توسدون فلما كبر وشب دفعته الى معلم
السحر والكهانة والنجوم فتعلم جميع تلك العلوم وكانت هي ماهرة في جميع العلوم
حتى قيل انها صنعت مرآة من المعادن لا ينظر اليها أحد من أهل المملكة يريد غدرها
الا وقد كف بصره من وقته وكانت اذا جلست للحكومة وجلس أرباب الدولة
تخرج اليهم تلك المرآة فينظرون فيها وهي على صورتها فيعتقدون انها الملائكة بهاء
النساء فمن نظر الى تلك الصورة عمي بصره لوقته فتأمر بقتله أو بسجنه ومن لم ينظر اليها
كفي من ذلك بغير ضرورة فهابتها الناس وأهل المملكة وأذعنوا في حكمها وأقامت
على ذلك الحكم مدة * (قال الراوي) فسمع بذلك توشال ملك الاشمونين وكان كاهنا
ساحرا فأراد ان يحاربها ويقاتلها ليأخذ منها ملكها ويحتوي عليه وذلك بعد ان شب
ولدها فأتى اليها الخبر بتوشال فاستدعت باكابر الدولة وأصحاب الصولة واستشارتهم
في أمر ولدها ووضعت التاج على رأسه وأجلسته على سرير الملك وأقامت تسوس أمره
في الملك هنا وقد جمع توشال جنودا عظيمة من أقصى الصعيد الى آخر مملكته لمحاربتها
فلما سمعت بذلك ارسلت الرسل وجمعت العساكر من حد الواحات الى مصر يعني اقليم
الجيزة وأتاها صاحب طيماذات الاعمدة في عساكر عظيمة وجهزوا الجيوش وساروا
بجيوشهم حتى وصلوا الاشمونين فخرج اليهم توشال بجنود كثيرة والتقيا بمكان يعرف
بالمريج قريبا من الاشمونين وكان مع توسدون ابن الساحرة بهاء النساء عساكر عظيمة
وقد صنعت السحرة واعمال تماثيل كثيرة هائلة ونيران محرقة واقتتلوا قتالا شديدا

فانهزم توشال وهرب بمن معه في الجبال والاودية فجد توسدون في طلبه حتى ادركه وظفر به فقبض عليه واجتمع الناس ينظرون الى فراسة توسدون وقد قتل جماعة كثيرة من أصحاب توشال واستأسر جماعة منهم أيضا وأراد أن يبيعهم فمنعته أمه من ذلك وقالت له عد الى ملكك أهيب لك فملك الاشمونين ورجع الى مدينة البهنسا منصورا وجلس على سرير ملكه واستدعى بتوشال وشد رأسه باسطوانة قائمة وشدت رجلاه باخرى وكان طوله فيما تقول القبط في كتبهم عشرين ذراعا ووكل به حراسا الى يوم عيدهم وكان لاهل البهنسا عيد يجتمعون فيه وما حولها من المدن والسواد واهل القرى فيقيمون بمكان يعرف بالميدان قبلي المدينة ثم ان توسدون أودع توشال في السجن وكان العيد قريبا فصاح في نصف الليل صيحة عظيمة مات منها نصف الحراس وهرب الباقون فلما بلغ ام الملك توسدون ذلك أمرت باحضار توشال وامرت ان توقد النار فأوقدت وجعلت تأمر بقطع أعضائه عضوا عضوا وتلقيه في النار حتى فنى جسده وقد كبر ولدها توسدون فكان كاهنا منجما حاسبا يدرى العلوم والهندسة فأمر الشياطين ان يبنوا له قبة في وسط المدينة من الرخام دائرة على دوران الفلك وصور فيها صورة الكواكب جميعا وكانوا يعرفون منها اسرار الكواكب والطبايع وما يحدث في زمانه من الامور في الاقاليم وبعد مضي مدة في دولته ماتت امه الساحرة وامرته ان يجعل جسدها في تمثال من الرخام الازرق المطلسم المرصد بعد أن امرت ان لا يجعل عليها شيأ من اللبن وامرته ان يطلى جسدها بدواء حتى يمنع عنها يبوسة الاعضاء وان تدفن تحت البحر اليوسفي فكان كما وصفت وكانت تخبرهم بالعجائب وهي ميتة وتجيبهم عن كل ما يسألون عنه فأما ابوا ولدها وابوه وكانت تتصور لهم في صورة ما سمعت ولا رئيت قط وملكهم ابنها مائة سنة * (قال الراوى) * وصنع في زمانه بأرض البهنسا سقاء على ظهره قربة ماء ووضعه في بيت في المدينة فكان أهل المدينة يصبحون فيجدون جميع البيوت مملوءة ماء للشرب والغسل وغير ذلك ولم يزل كذلك بالمدينة حتى جاء الله بالاسلام فولى عليها في خلافة بني امية عبد العزيز بن مروان فأمر بفتح البيت الذي فيه السقاء فمنعوه من ذلك فلم يمتنع وفتحه فلم يجد فيه الا السقاء وعلى كتفه قربة ماء فارغة فلما رأوه باتوا واصبحوا فبطلت تلك العادة عن اهل البهنسا

* (قال الراوى) * وصنع أيضا بيتا آخر وجعل فيه أسماء العرب وملوكهم وخلفائهم والصحابة وصورة عمر بن الخطاب وأخبرهم عن قصة خالد بن الوليد وانه

يأتى الى البهنسا ويحاصرها هو واناس من اصحابه رضى الله عنهم أجمعين وانه يزول ملكهم على يد خالد بن الوليد اذا فتح ذلك الباب ووضع عليه أقفالا من الفولاذ وامر من يتولاه من بعده ان لا يفتحه فان زوال ملكهم فى فتح الباب حتى صور العرب واكابر الصحابة فى ذلك البيت راكبين ورماحهم على عواتقهم فلم يزل الباب مغلوقا حتى فتحه البطلوس عند مجئ الصحابة وخالد بن الوليد رضى الله عنهم أجمعين وسنذكر ذلك فى الفتح ان شاء الله تعالى وقد ملكهم مائة سنة

(قال الراوى) ولما حضرته الوفاة أمر أن يصنع له صنم من الروم يكون شقتين ويطلى جسده بالادوية الممسكة ويدخل فى تلك الصورة ويلحم عليه بين الشقتين ويعملون له فى كل سنة عيدا وان يدفن فى الكنز الكبير كنز المدينة ففعلوا له ذلك ثم تولى من بعده ولده تومانوس فسار فى الناس كسيرة ابيه وجدته الساحرة المذكورة برأها النساء وهابته الناس واجتمعوا عليه وكان يقول بدين النصرانية أيضا

(قال الراوى) وكان قد سمع به جماعة من البربر وملكهم يسمى سرياق ملك صقلية بالمغرب فجمع جموعا وأرادوا ان يغزوا مدينة البهنسا فلما وصلوا الى الواحات سمع بهم الملك تومانوس فارسل اليهم بطريقا من بطارقته فى جمع كثير وارسل معهم الكهنة بأنواع العجائب وارسل الملك اليهم أيضا قوادا فى جمع عظيم لقتالهم فاقتتلوا فهزموهم أهل البهنسا وأسروا منهم خلقا كثيرا وأتوا بهم من حد اسكندرية الى دهشس حتى دخلوا أرض البهنسا فأمر الملك ان يضرموا النيران وأمرهم ان يسوقوا الاسارى فيها فساقوهم اليها واحدا بعد واحد وادخلوهم تلك النار وكان المقدم عليهم اخرس ودخل النار فلما دخلها أخذته فولى هاربا فأتوا به الى الملك فسأله عن امره فاقر فأخذه معه الى الحصن فصلبوه على اسطوانة عظيمة رقى المصلوب كان هو الملك بعينه وكتبوا على الاسطوانة هذا فلان بن فلان المتغلب على الشرق والغرب وامر باطلاق الباقين وقيل لهم قد وجب عليكم القتل لمصيبتكم من أراد الفساد فى الارض ولكن الملك بفضله قد عفا عنكم وأمر ان تخرجوا من بلاده فخرجوا من حيث أتوا بالسلامة فكانوا لا يمرون بأحد الا حدثوه بما رأوه من العجائب وكان أهل البهنسا لا يعملون شيأ من امورهم الا استأذنوه فيه وانقطعت المطامع من الوصول الى أرض البهنسا من صعيد وغرب ومصر

(قال الراوى) وعمل فى زمانه عجائب كثيرة منها بطة من نحاس قائمة على

اسطوانة فاذا دخل الغريب الاقليم أو ناحية من نواحيه صفقت تلك البطة بجناحيها فيؤخذ ويكشف عن أمره ومقصده وغزا بلاد المغرب وغرس فيها أغراسا كثيرة وجعل فيها أعلاما كثيرة واشارات بطريق المغرب وأقام مائة وثلاث سنين وهلك

(قال الراوى) ثم تولى من بعده ولده ركانوس وهو جد داطلوس الذى فتحت المدينة فى زمانه فسار بسيرة أبيه وكان يقول بدين النصرانية أيضا وصنع له كنيسة عظيمة فى وسط البلد لها أبواب كثيرة قيل أربعون بابا متداخل بعضها فى بعض مستديرة اذا دخل الغريب يدخل من باب قيدروس ويدخل من الباب الذى دخله مدهوشا من عظم العمارة وكثرة التماثيل وذلك بعد ان أمر بطبخ اللبن وقطع الاحجار وجلب الرخام المنقوش الملون وجعل من داخلها اسطوانات من الرخام الملون وجعل فيها مقاصير من النحاس الاندلسى والاخشاب الملونة المنقوشة فيها عجائب وتماثيل وجعل لها أربعة أبواب كل باب ارتفاعه عشرة أذرع وعرضه سبعة أذرع كل باب مركب من داخله باب آخر فيه ثلثمائة وستون بابا صغارا قد احتكمت بالهندسة كلما مر يوم من السنة من أول يوم النيروز انفتح باب من ذاته وانغلق باب من ذاته وجعل فيها أربعة قبب كل قبة على أربعة أعمدة من الرخام المنقوش وكل قبة مقابلة بالاخرى منقوشة بنقوش رفيعة من الذهب واللازورد وأيضا فى حيطانها جميع التماثيل من الصور من آدمى ووحش وطيور ودواب وكل قبة لا تشبه الاخرى تصويرا مفروشين بالرخام من جميع الالوان وعليه أنواع البسط والوسائد والنمارق من داخل الباب الى صدر الهيكل وبيت القربان فأما الهيكل فجعل له بابا من البولاد منقوشا بالذهب والفضة وعليه اقفال من الذهب والفضة أيضا وسعة الهيكل ثلاثون ذراعا مبنى بالاحجار الملونة من جميع الالوان من داخله قبة عظيمة على أربعة أعمدة من الحديد والقبة من الرخام الازرق والابيض والاحمر والاسود الملون مشبكة بشبابيك من الذهب والفضة كل شبكة طولها أربعة أذرع ومن داخل القبة قبة أخرى من الرخام اللازورد مجعول فيها صورة الكواكب والشمس والقمر تدور بحركات احتكمتها أهل الهندسة والحكمة وباب القبة من داخل باب آخر من العاج فيه اثنا عشر بابا من النحاس الطلسم كلما مر ساعة من النهار انفتح باب من ذاته وانغلق باب من ذاته وجعل طولها خمسين ذراعا وجعل على رأس القبة الكبيرة شخصا من نحاس طوله خمسون ذراعا قائما وبيده سيف مطلسم وهو يشير به الى الداخل فاذا دخل

الغريب البلد دار الشخص دورانا عظيما قيل انه كان يفعل ذلك اذا قدم عليه جيش من مسيرة ثلاثة أيام فيبتدون لذلك ومن داخل الكنيسة صورة المسيح وصورة السيدة مريم عليهما السلام من ذهب والى جانبهما صور أخر عليهم ستور من الحرير الملون المنسوج بقضبان الذهب والفضة وصنع ايضا عجيبة أخرى كانت توضع بين يديه وهي اناء من البلور يأكل منه الملك ومن معه فلا ينقص منه شيء بل يبقى على حاله ومائدة من الجزع الاخضر على اربعة أعمدة من الذهب عليها صفة طيور من الذهب اذا جلس في الكنيسة توضع بين يديه طولها عشرة أذرع وعرضها مثل ذلك تدور بحركات هي وما عليها وما فيها من الاطعمة الى كل أحد بما تشتهيه نفسه من الطعام وصنع أيضا باطية من البلور محكمة النقش مطلسمة مرصودة بالافلاك اذا جلس الملك للشراب توضع بين يديه وتأتي الدهاقنة والبطارقة والدماشقة بين يديه ثم يأمر لكل أحد بما يشتهي من مسكر وغيره من جميع الاشربة ثم تأتي الجوار واصحاب الطرب يغنون ويشربون الخمر وغيره وأقام في ذلك الملك مدة اربعين سنة ثم هلك فدفن في تلك الكنيسة المذكورة في تاجه ولباسه وأقبيته ووضع في تابوت من الذهب الاحمر في قاعة قد أعدها لنفسه فيها أمواله وكنوزه ينزل الى تلك القاعة بثلاثين درجة وطلسم ذلك الكنز وجعل عليه بابا من حديد ووكل به حواسا يحرسونه والله أعلم

(قال الراوي) فلما هلك تولى من بعده ابنه قيدروس وهو أبو بطلموس لعنه الله ولكنه لم يعرف في العلوم مثل أبيه الا أنه كان مولعا بهذا الملوك وكان مولعا بالنساء والجواري الحسان وعمارة القصور وكان عادلا في الرعية وبنى في مدينة البهنسا قصرا عظيما من الجهة البحرية الى الجهة الغربية الى شرقي المدينة وكان طول جدرانه أربعين ذراعا من داخله رستاق عظيم وبركة عظيمة مسقوفة بألواح الرخام المنقوش ومن داخلها أيضا مما يلي الجهة البحرية بركة عظيمة ملآنة من الماء واحكموا الماء بمجاري الرصاص المحكم تحمل الماء من البحر اليوسفي الى تلك البركة وغرس حول البركة من الاشجار ما لا يحصى وجعل بدائرها مقاصير مبنية بالرخام على أعمدة من الرخام بفرجات بين الاشجار خارجة الى تلك البركة مسقوفة بسقف من الاخشاب المنقوشة باللازورد والذهب والفضة فيها غالب التماثيل يتوصل منها الى قصر عظيم عالي الجدران من الحجارة المنحوتة المنقوشة علو جداره خمسون

ذراعا من داخله قاعة عظيمة مرتفعة الارض مسقوفة بسقف من الخشب المطعم
بالذهب والعاج والابنوس من المدهون المنقوش بايوانين متقابلين بعضهم ما بينهم فسحة
كل ايوان أربعون ذراعا في عرض ذلك وبينهما فسقية من الرخام الملون عليها
قبة من البلور المضيء على أربعة أعمدة من الذهب والفضة طول كل عمود عشرة أذرع
وفي وسط الفسقية فوار ارتفاعه خمسة أذرع يصب الماء من البركة بحكمة في
الفسقية وأربع أسود من الذهب مرصعين باللآلئ والجواهر وهم فاتحون أفواههم
والماء ينصب من أفواههم الى الفسقية ثم يرتفع الى القبة بشاذروان عظيم من الرخام
الملون ويرتفع الى سقف القاعة ثم ينسكب ويسقط ولا يبتل أحد من الجالسين على
ذلك الايوان بحكمة وهندسة ثم يعود الى البركة وصنع بدائرة القاعة شبابيك أيضا
من ذهب وفضة وجعل على كل ايوان سريرا طوله عشرون ذراعا وعرضه مثل ذلك
وقوائمه من عظام الافيال المرصعة على صور من ذهب وفضة وبنى قصرا آخر على
أربعة أعمدة طوال علوهم في الارتفاع زهاء من خمسين ذراعا وهو على قواعد من
الرخام منقوشة مقدارها ثلاثين ذراعا ووضع عليها ألواحا من الذهب الملون وبناه
بالحجارة المنحوتة حتى جعل ارتفاعه من فوق الاعمدة اربعين ذراعا وجعل له قبة
من الرخام الملون من داخلها نقوش محلاة بالذهب والفضة وعلى رأس القبة تمثال
من الذهب وهو يدور مع الشمس حيث دارت واتخذ أعمدة من جانب الكنيسة
من وسط البرية الى قصره وعمل عليهم عقودا وجعل مطاهر من البرية العتيقة
المذكورة ويدخل من باب سره ويخرج ويمشي في تلك المشاة الى القصر والقصر
والبرية موجودان الى يومنا هذا وآثارهما باقية وانخربت الصحابة والمسلمون رضي
الله عنهم تلك المعالم كلها وصنع له بساطا كما صنع لكسرى ملك الفرس طوله ستون
ذراعا في مثلها يجلس عليه هو وندمائه عند ذهاب الزهر والروض في قوة الشتاء
وفيه من جميع الزهور مرقوم من ذهب وفضة وجوهر ولؤلؤ ومرجان وغيره لانه لم يوجد
مثله في زمانه وورثه من بعده ابنه البطلوس وغنمه المسلمون رضي الله تعالى عنهم
أجمعين وسنذكر ذلك عند الفتح ان شاء الله تعالى وقسم الغنيمة

* (قال الراوي) * وأقام في الملك ستة وثلاثين سنة ثم هلك ودفن ايضا في الكنيسة
المذكورة وتولى من بعده ابنه البطلوس وهو الذي فتحت المدينة في ايامه

* (قال الراوي) * وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وله في المملكة ستون سنة

والله أعلم وكان فارساً شديداً وبطلاً صنديداً واحتوى على مالك وجعل اليه الخراج
من حد الواحات الى حد برقة واحتوى على بلاد كثيرة من الصعيد الى قرب
الاشمونين ثم الى حد ومبالوجه البحري وكان يحكم على غسانين بطارقة في اقليمه
كلهم قد دانوا له وأطاعوه ومنع من هو تحت طاعته لما فتحت مصر ان لا يدخلوا في
صلح المسلمين وقال من فعل ذلك قتلته وأخذت ماله واخربت داره وقتلت اولاده
وهتكت حرمه قال فبقوا من أجل ذلك حتى فتحت مصر والجيزة والبحيرة واسكندرية
فداخلهم الخوف لما ملكت المسلمون هذه المدائن وكان قد فتحهم قبل ذلك وملك
المسلمون ذلك كله وتوجهوا الى الوجه القبلي ونزلوا اهناس والله سبحانه وتعالى اعلم

(ذكر فتوح مدينة البهنسا وما جرى فيها من الحوادث وما فيها من الفضائل وما وقع للصحابة فيها رضوان الله تعالى عليهم أجمعين)

(قال الرواة) بأسانيد صحيحة عن من حضر الفتح وعاين الفضائل من أصحاب السير
والتواريخ مثل الواقدي رحمه الله تعالى وأبي جعفر الطبري وابن خلكان في تاريخه
البداية والنهاية ومحمد بن اسحاق وابن هشام رحمهم الله تعالى وكل زاد في حديثه على
حديث الآخر لما في ذلك من اختلاف الرواية عن من حضر الفتوحات وشاهد
الوقعات من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وأكثر ذلك عن علماء الصحابة وكبرائهم
مثل عبد الله بن عمرو بن العاص أمير الجيوش على مصر وأخيه محمد وخالد بن الوليد
وولده سليمان وقيس بن هبيرة المرادي والمقداد بن الاسود الكندي وميسرة بن مسروق
العبسي والزبير بن العوام الاسدي وابنه عبد الله وضرار بن الازور ومن بني عم رسول
صلى الله عليه وسلم مثل الفضل بن العباس بن عبد المطلب والفضل بن أبي لهب بن
عبد المطلب وجعفر وعلى اولاد عقيل وعبد الله بن جعفر ومن أبناء الخلفاء مثل عبد
الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأبان بن عثمان بن عفان
وقد اختصرنا في اسمائهم خوف الاطالة وكل منهم حدث بما عاين عند الفتح وما شاهد
من الوقائع وحدثوا بذلك أبناءهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين (وقد) أخذنا في هذا
الفتوح على قاعدة الصدق لاثبات فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة
رضي الله عنهم أجمعين اذ لولاهم ما كانت البلاد للمسلمين ولا انتشر هذا الدين المتين لقد
انبثت سراياهم في الارض شرقا وغربا حتى ولت الاعداء منهم هربا وسكبوا دماءهم على
الارض سبكا واستباحوا أموال الكفار ونساءها والله عز وجل قد جعل في قلوب

اعدائهم منهم خوفا ورعبا فهم نجوم الهداية وأهل الولاية فقد شرعوا الشرائع ورتلوا القرآن ترتيلا فهم الذين قال الله تعالى فى حقهم تعظيما لهم وتبجيلا من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا

﴿(قال الراوى)﴾ وحدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد المحدث المقرى غفر الله له أنه قال اطلعت على فتوحات كثيرة فوجدت فيها زيادات ونقصانا كل ذلك من تواريخ منقولة وكنت قدمت الى مدينة البهنسا لزيارة الجبانة لما رأيت فى ذلك من الفضائل والاجور والخير والحبور فان زيارتها تمحص الذنوب وتفرج الكروب وتحسن الاخلاق وتدر الارزاق وتورث النصر على الاعداء وتكفى البؤس والردى لما فيها من السادات والشهداء ممن باع نفسه لله وقتل فى سبيل الله ابتغاء مرضات الله ممن قال الله تعالى فى حقهم من له الفضل والمنة ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فهم أحياء فى الجنان يأكلون ويشربون كما قال الله تعالى فى كتابه المكنون ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فزرنا الجبانة فى ساعة الاسحار ورأينا ما بها من الانوار وزرنا قبور السادة الاخيار نرجو من الله العزيز الغفار ان يحط عنا الذنوب والاوزار وان يجعلنا من امة محمد المصطفى المختار عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وأصحابه البررة الكرام فلما قضينا الزيارة ولاحت لنا تلك الاشارة أخبرنا عن تلك السادة الامجاد وما كان لهم من الصبر على الغزو والجهاد فسألنى بعض الاصحاب عن سبب فتح مدينة البهنسا ليدفع بذكرها البؤس والاسا فتحرك لذلك خاطرى فاستحضرت فيها ناظرى وطالعت التواريخ والفتوحات وتجنبت الراحات حتى انتخبت هذا الكتاب فهو كالدرة اليتيمة التى لا يعرف لها قدر ولا قيمة ترتاح عند سماعه النفوس ويزال عنها الهم والبؤس وتشجع القلوب على الجهاد ويعين على اقامة العدل فى البلاد ابتغاء لوجه الله الكريم راغبا فى الثواب العظيم وذلك بعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وأزواجه وصحابته أجمعين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين

﴿(حدثنى)﴾ من أثق به من الرواة ممن تقدم ذكرهم رضى الله عنهم قال لما فتح عمرو ابن العاص رضى الله عنه مصر والاسكندرية والبحيرة والوجه البحرى وكان بالصعيد نوبة وبربر وديلم وصقالبة وروم وقبط وكانت الغلبة للروم لكثرتهم

قال

(قال الراوى)* ثم ان عمرو بن العاص رضى الله عنه استشار الصحابة رضى الله عنهم الى اى جهة تقصدون وهل تسيرون الجيوش والجنود شرقا وغربا وماذا نصنع فأشار عليه أصحابه ان يرسل الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بكتابه ويعلمه بذلك الى أى جهة تقصد فاستدعى عمرو بن العاص رضى الله عنه بدواة وقرطاس وكتب كتابا الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمرو بن العاص عامل أمير المؤمنين على مصر ونواحيها الى أبى عبد الله عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه السلام عليك ورحمة الله وبركاته اما بعد فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو وأثنى عليه وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والسلام على من بالمدينة من المهاجرين والانصار فلله الحمد والمنة يا أمير المؤمنين قد فتحت مصر والوجه البحرى والاسكندرية وتروجه ودمياط ولم يبق بالوجه البحرى مدينة ولا قرية الا فتحت بالاسلام وأعز الله المسلمين وأذل المشركين وأعلى كلمة الدين وقد اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من السادة الامراء والاخيار والمهاجرين والانصار وهم يطلبون الاذن من أمير المؤمنين هل يسيرون الى الصعيد أو الى الغرب والامر أمرك يا أمير المؤمنين فانهم على الجهاد قلقين وقد باعوا انفسهم لله رب العالمين ونحن منتظرون جوابك يا امير المؤمنين والدعا منك عند ضريح خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وسلم وكتب هذه الابيات

صوارمنا تشكى الظما فى أكفنا * وأرماحنا تبكى من المد والجبر
اليك افتقار الحرب يا طيب الثنا * ويا من أقام الدين بالفتح والنصر
فقد زلفت خيل الكرام الى العدا * بنو شيبة الغر الكرام بنو فهر
وسادات لؤى مع معد وغالب * وسادات مخزوم الكرام ذوى الفخر
تروم مسير العداة على شفا * تمكن فى اعلامهم البيض والسمر
على كل طرف غائص فى دلاصه * يقعقع فى نقع الوطيس كما الجمر
بكل كمى صادق الوعد صائل * ترى درعه الزاهى تمكن فى الصدر
يرى الموت فى نقع الوقائع مغنما * ويكسب من قتل العدا غاية الاجر

(قال الراوى) فلما فرغ عمرو بن العاص رضى الله عنه من انشاده عرضه على أصحابه رضى الله تعالى عنهم ثم طوى الكتاب وختمه واستدعى برجل من الصحابة يقال له سالم بن نجاح الكندى فسلم اليه الكتاب ودفع له ناقة عشارية فاستوى على

ظهرها وخرج يريد المدينة وهو يقول هذه الابيات

أسير الى المدينة فى أمان * وارجو الفوز فى غرف الجنان
وارجو أن يتم لى احتماعى * واعطى ما اريد من الاماني
ألا يا ناقتى جدى مسيرا * الى نحو النبى بلا امتهان
وقربيه السلام وأنشديه * كلاما ساذقا حسن البيان
ألا يا أشرف الثقلين يا من * به شرف المدينة والمكان
فكن لى فى المعاد غدا شفيعا * فأنت مشفع فى كل جانى

(قال الراوى) ولم يزل سائرا ليلا ونهارا حتى قدم الى المدينة الطيبة الامينة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وكان ذلك بعد صلاة العصر فدخل المدينة وأناخ ناقته على باب المسجد وعقلها بفضل زمامها ودخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم على قبره الشريف وكان متوضئا فصلى ركعتين بين الروضة والمنبر ثم انه تقدم فوجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالسا قال سالم فسلمت عليه فرد على السلام ثم صافحنى وكان لما رأنى اقبلت وأنا فرحان فقال سالم جاء بكتاب من مصر مرحبا بك يا سالم قال ثم التفت فاذا عن يمينه امير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعن يساره عثمان بن عفان رضى الله عنه وحوله سادات المهاجرين والانصار مثل العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وطلحة بن عبد الله وبقية من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ثم ناولته الكتاب فقال ما وراءك يا سالم أنت سالم فى الدنيا والآخرة ان شاء الله تعالى فقلت الخير والبشرى والامن يا أمير المؤمنين قال فلما قرأ الكتاب استبشر واستنار وجهه ودفعه الى على بن أبى طالب ثم الى عثمان رضى الله عنهما ثم قرأه على الناس فاستبشروا وفرحوا بفضل الله وبعنه ونصره لدين الاسلام وكانت الغنائم وصلت الى المدينة قبل ذلك بأيام وقسمها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه على الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

(قال الراوى) فاستشار رضى الله عنه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومن حضر من الصحابة فأشار عليه على ان عمرو بن العاص لا يسير بنفسه بل تجهز له جيش هو عشرة آلاف فارس ليكون ذلك أهيب له فى قلوب اعدائه وان يؤمر عليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه فانه سيف الله عز وجل فقال عمر رضى الله

عنه

عنه وعنهم صدقت يا أبا الحسن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان خالدا
سيف من سيوف الله تعالى وفي رواية ان خالدا سيف الله لا يغمد عن اعدائه
(قال الراوي) ثم بات سالم تلك الليلة فلما اصبح توضأ وصلى الصبح في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يسأله رد
الجواب فاستدعى عمر رضي الله عنه بدواة وقرطاس وكتب كتابا يقول فيه

(بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله على مصر
ونواحيها عمرو بن العاص سلام عليك ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني أحمد الله
الذي لا اله الا هو وأصلي على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والسلام على من معك من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار واني قد قرأت كتابك
وفهمت خطابك فاذا قرأت كتابي هذا فاستعن بالله تعالى واربط الخيل وارسل
الامراء لكل اقليم ليقيموا بها شعائر الاسلام ويظهروا الاحكام وجهزت عشرة آلاف
فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرت عليهم خالد بن الوليد وأرسل
معه الزبير بن العوام والفضل بن العباس والمقداد بن الاسود الكندي وغانم بن
عياض الاشعري ومالك الاشتر وذا الكلاع الحميري واصحاب الرايات وجميع الامراء
وأمرتهم ان ينزلوا على المدائن ويدعوا الناس الى الاسلام فمن أجاب فله ما لنا وعليه
ما علينا ومن أبى فعليه الجزية فان عصى وامتنع فالحرب والقتال فاستعينوا بالله
واصبروا واذا حاصرتم مدينة فشنوا الغارات على السواد وقد بلغني ان بمصر مدينتين
أحدهما يقال لها اهناس والثانية يقال لها البهنسا لان البهنسا احصن وامنع
واعظم واحصن وبلغني ان فيها بطريقا طاغيا ظالما باسقا كالدماية يقال له البطليوس
وهو اعظم بطارقة مصر وانه ملك الواحات فلا تقربوا الصعيد حتى تفتحوا هاتين
المدينتين وعليك بتقوى الله في السر والعلانية أنت ومن معك وانصف المظلوم من
الظالم وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وخذ للضعيف حقه من القوي ولا تأخذك في الله
لومة لائم وأقم أنت بمصر وارسل الاجناد فاذا احتجت مددا فاكتب لي ابعث لك المدد
والمعونة من الله عز وجل واسأل الله تعالى لكم الفتح والنصر والحمد لله رب العالمين)
ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه الى سالم فأخذه
وودع الصحابة بعد ان توضأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى عند قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يزل يجد في السير ليلا ونهارا الى ان وصل الى مصر فوجد عمرو بن العاص

نازلا هو والصحابة رضى الله عنهم بالجيزة لاجل رعى الماشية زمن الربيع وهو جالس فى خيمته هو واصحابه وهذه الخيمة كانت لملك القبط من الحرير الازرق والاحمر والاصفر منقوشة بانواع النقش من جميع الالوان وكان سعتها ثلاثين ذراعا وفيها بسط مفروشة كانت للقبط وهو والصحابة جلوس فيها يتحدثون مع خالد والمقداد والفضل بن العباس وغانم والزبير والامراء جميعهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وهو كاحدهم قال سالم فانخت ناقتى فسمعت عمرا يقول وانا خلف الخيمة لم يرنى لقد ابطأ سالم فقال خالد كانك به وقد اقبل قال فعقلت الناقة واقبلت عليهم مسرعا فاحس خالد بى من داخل الخيمة فقال سالم فقلت لبيك يا ابا سليمان فقال مرحبا بك يا سالم وحياك الله قال ثم تقدمت وسلمت على عمرو بن العاص وخالد وعلى بقية الامرا رضى الله عنهم اجمعين ثم ناولت الكتاب لعمرو بن العاص فقرأه وفهم ما فيه ثم دفعه الى خالد فقرأه والزبير وبقية الامراء ففرحوا بذلك فرحا شديدا

(قال الراوى) ثم ان عمرا استشار الامراء فى ذلك وكانوا لا يفعلون شيئا الا بمشورة بعضهم بعضا فلذلك مدحهم الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله عز وجل وأمرهم شورى بينهم فاشاروا عليه ان يرسل خلف الامراء والاجناد المتفرقين بالجيزة والبحيرة شرقا وغربا وان يرتب الجيوش ويقصدوا الصعيد ويتوكلوا على الله عز وجل لقوله سبحانه فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين

(قال الراوى لهذا الفتح العجيب والامر المطرب الغريب الذى لم يسمع مثله الا فى هذا الفتوح) وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم لما فتحت مصر والوجه البحرى قد تفرقوا فى البلاد فكان بعضهم فى الاسكندرية وتروجه ردمسيس ودمياط ورشيد وبلبيس وكان اكثرهم بوسط البحيرة فى المكان المعروف بالمنزلة اى منزلة لقعقاع بن عمرو التميمى وهاشم بن المرقال وميسرة بن مسروق العبسى والمسيب بن نجبة الفزارى فعندها استدعى عمرو رضى الله عنه بالنجباء والسعاة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن انيس الجهنى وحاطب بن بلتعة وعمرو بن امية الضمرى ومثل هؤلاء رضى الله عنهم وكتب الكتب وارسلها الى الامراء جميعا فاجابوا كلهم بالسمع والطاعة لانهم رضى الله عنهم كانوا اشوق الى الجهاد فى سبيل الله تعالى من العطشان للماء الزلال واقاموا فى المدائن والبلاد من يحرسها ويحفظها من العدو وتوجهوا الى مصر مسرعين حتى نزلوا حولها واخبروا عمرا رضى الله عنه بذلك

قال

(قال الراوى) فتحول عمرو الى الجهة الشرقية ودخل دار الامارة وهى قريبة من الجامع العمرى واقبلت السادة الامراء يسلمون عليه وكان ذلك فى يوم الاربعاء عاشر شهر ربيع الاول سنة احدى وعشرين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وقيل اثنين وعشرين والله أعلم

(قال الراوى) حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا عبيدة بن رافع عن أبى جحيفة عن جابر بن عبد الله الانصارى وحدث بذلك محمد بن سلمة رضى الله تعالى عنهم أجمعين قال لما قدمت الامراء والاجناد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم الى مصر أقاموا الاربعاء والخميس والجمعة فلما كان يوم الجمعة المبارك خطب عمرو وصلى بالناس ولما فرغ من الصلاة أمر الناس ان لا يتفرقوا حتى يقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلما انقضت الصلاة رقى عمرو المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرأ الكتاب عليهم رضى الله عنهم فلما فرغ من قراءته تواثبوا عليه كالاسود الضارية الى فرائسها وقالوا كلهم سمعنا وأطعنا ولا رواحنا فى سبيل الله وطاعته بذلنا ولقد طلبنا الثواب ورغبنا الى الجنة اشتقنا قال ففرح عمرو بذلك ثم قال لهم ان أمير المؤمنين قد أمرنى ان أولى عليكم سيف الله والنقمة على أعداء الله صاحب القتال الشديد والبطل الصنديد خالد بن الوليد

(قال الراوى) وكان خالد صديقا لعمرو فى الجاهلية واسلما فى يوم واحد ثم التفت عمرو الى خالد رضى الله عنهما وقال له ادن منى يا أبا سليمان فدنا منه وكان عمرو دهقانا فى العرب فقال يا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلموا انكم كلكم لكم الفضل وانى لست بأفضل منكم وفيكم من هو ذو قرابة ونسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وله حق وفضل وأنتم السادة الامراء وانى كأحدكم وأنتم تعلمون ان خالدا نصوح لله ورسوله ونقمة على أعدائه وأنا وانتم تحت أمر أمير المؤمنين فى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وان أمير المؤمنين قد ولاه على الجيوش وأمره بالمسير الى الصعيد لما قد فتح الله تعالى على يديه من البلاد وما أذل الله تعالى على يديه من الاجناد

(قال الراوى) فوثب الفضل بن العباس رضى الله عنه وقال أيها الامير انا قد بذلنا انفسنا وأرواحنا فى رضا الله تعالى لا نريد بذلك الا وجه الله تعالى وان خالدا

من خيارنا وهو من ابطال الاسلام وحماة دين الملك العلام ولو امر علينا عبدا حبشيا امتثلنا امره في رضاء الله تعالى عز وجل فقال عمرو لخالد وهو سيد من السادات لا ينكر فضله في جميع الحالات عزيز في الجاهلية والاسلام قال فتهلل وجه عمرو وخالد فرحا حيث رضوا بامارة خالد عليهم ثم امرهم عمرو بالنزول بارض الجيزة قريبا من الاهرام (قال الراوي)* فخرجوا من الجامع العمري ونزلوا حيث أمرهم وأخذوا في اصلاح شأنهم وتأهبوا للسفر فهذا يصلح سيفه وهذا يصلح رمحه وهذا يصلح درعه وساروا في الجانب الغربي وضرب عمرو فسطاطه قريبا من الهرم الشرقي وأقبلوا يضربون خيامهم حوله حتى تكاملوا رضي الله عنهم أجمعين

(قال الراوي) بسنده الى الواقدي وابن اسحاق وابن هشام رحمهم الله تعالى لما تكاملت الجيوش وهل ربيع الآخر في السنة المذكورة وصلى عمرو بأصحابه صلاة الصبح ثم قام من ساعته يمشي على قدميه وحوله جماعة من المسلمين ومعه خالد بن الوليد والمقداد بن الاسود والزبير بن العوام والفضل بن العباس الهاشمي وعبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وهاشم بن المرقال والمسيب بن نجبة الفزاري والعباس بن مرداس السلمي وأولاد عبد المطلب وبقية السادات حتى طلع على ربوة مرتفعة واشرف على الجيوش فلما رأى اجتماعهم فرح بذلك فرحا شديدا ثم أمر خالدا باعراض الجيوش فتقدمت الامراء وأصحاب الرايات وصار كل أمير منهم يعرض جيشه وبني عمه على عمرو قال فكان عدتهم فيما ذكروا والله أعلم ستة عشر ألفا فانتدب منهم عشرة آلاف فارس كلهم ليوث عوابس عليهم الدروع الداودية متقلدين بالسيوف الهنديه معتقلين بالرماح الخطيه راكبين على الخيول العربيه وهم خيار امة محمد صلى الله عليه وسلم خير البريه

(قال الراوي) فعند ذلك قال لهم عمرو يا معاشر الامراء والسادات الاخيار ان خالدا أمير عليكم فاسمعوا له وأطيعوا أمره وكونوا كلمة واحدة ونازلوا المدائن والقلاع وشنوا الغارات على أهل السواد ولا تقاتلوا قوما حتى تدعوهم الى الاسلام بشهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان أبوا فالجزية عن يد وهم صاغرون فان أبوا فالحرب حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وأرسلوا الطلائع وليكن في الطلائع كل مشكور في الحرب والقتال واذكروا الله كثيرا ولا تولوا الادبار وثبتوا أنفسكم ولا يغرنكم كثرة اعدائكم فأنتم الغالبون فقد ذكر الله في كتابه

العزيز المتين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واحسنوا نياتكم وثبتوا عزائمكم فانتم الاعلون والله معكم وأنتم كلكم أهل الفضل والثناء والسابقة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلتم بين يديه فلا تحتاجوا الى وصيتي بارك الله فيكم وعليكم قال فأجابوه كلهم بالسمع والطاعة لله ورسوله فانا أردنا الجهاد ابتغاء مرضات الله تعالى

(قال الراوى) ثم ان عمر استدعى بأصحاب الرايات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أول من تقدم بعد خالد بن الوليد الزبير بن العوام رضى الله عنه وهو راكب على جواده الاغر شاك سلاحه النضيد فأعطاه الراية وأمره على خمسمائة فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم أمام العسكر وهز الراية وأنشد يقول هذه الابيات

انا الزبير وابى العوّامُ * ليث شجاع بطل همام
قرم هزبر فى الوغى همّام * بقرشى الفارس الضرغام
وانى يوم الوغى مقدام * بهمتى ينتصر الاسلام

(قال الراوى) ثم دعا الفضل بن العباس رضى الله عنهما وأمَّره على خمسمائة فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسلم الراية بيده وهزها وانشد يقول هذه الابيات

انى أنا الفضل ابى العباس * وفارس منازل همراس
معى حسام قاطع درّاس * يفلق منه الهام والاضراس
تفنى به الاعداء والارجاس * ولا يكون فيه إلا الباس

(قال الراوى) ثم استدعى بزياد بن ابى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان رضى الله عنه فارسا شديدا وبطلا صنديدا وأمَّره على خمسمائة فارس واعطاه الراية فأخذها بيده وانشد يقول هذه الابيات

انا الفارس المشهور كم لى وقائع * وحد حسامى للمعاند قاطع
ورمحى على الاعداء عند حروبهم * اذا احتكم الاهوال للضد قامع
وعزمى فى الهيجاء ما زال ماضيا * ورأيي سديد للمحاسن جامع
اصول على الاعداء صولة قادر * وافنيهم ضربا بأبيض يلمع
امام لدى الهيجاء من نسل هاشم * وانجمنا بالمكرمات طوالع

أنا ابن ابي سفيان من نسل حارث * تموت العدا مني اذا انا افزع

(قال الراوي) ثم تقدم من بعده الفضل بن ابي لهب فأمره على خمسمائة فارس واعطاه الراية فأخذها بيده وهزها وانشد يقول هذه الابيات

أنا الاسد الذي مازلت يوما * على الاعداء اطعن في الصدور
واسقيهم بكاسات المنايا * بحد السيف ضربا في النحور
فياويل العدا مني لاني * سأتركهم جميعا في القبور

(قال الراوي) ثم تقدم من بعده عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما فأمره على خمسمائة فارس واعطاه الراية فأخذها بيده وهزها وأنشد يقول هذه الابيات

اسير الى الاعادي باهتمام * وقلب صادق حسن المرام
بابطال جحاجحة أسود * سراة في الوغى قوم كرام
ابيدهم عداة الدين جمعا * ولا اخشى من القوم اللئام
اذا ماجات في الهيجا برمحي * اصول به وفي كفي حسامي

(قال الراوي) ثم تقدم من بعده عبد الله بن عمر بن الخطاب فأمره على خمسمائة فارس واعطاه الراية فأخذها بيده وهزها وانشد يقول هذه الابيات

وحق من أنزل الآيات في السور * وأرسل المصطفى المختار من مضر
لا أنثني عن لقا الاعداء لو جمعوا * من كل وجه وجاؤا عدة المدر
حتى أبيدهم ضربا واتركهم * فوق الثرى رمما مشروخة الصور
بكل قرم همام ماجد بطل * على الوقائع يوم الحرب مقتدر
نحن الكرام الاولى جاءت سريتنا * من عند اهل الندى ليث الوغى عمر

(قال الراوي) ثم تقدم من بعده جعفر بن عقيل فأمره على خمسمائة فارس واعطاه الراية فأخذها بيده وهزها وجعل يقول هذه الابيات

أنا ابن عقيل من لؤي وغالب * همام شجاع غالب للغالب
حماة الوغى اهل الوفا معدن الصفا * الى جود مغنانا مناخ الركائب
ولا يعرف المعروف الا بعرفنا * ولا الجود الا جودنا بالمواهب
علا مجدنا فوق الثنا وثناؤنا * على العرب العربا واهل الكتائب
فيا ويل اهل البغي منا اذا التقت * فوارسنا فيهم بحد القواضب

قال

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده اخوه الفضل بن عقيل فأمره على خمسمائة فارس واعطاه الراية فاخذها بيده وهزها وجعل يقول هذه الابيات

الفضل اسمى من بنى عقيل * اسير للحرب بلا تهويل
بحد سيف قاطع صقيل * أبيد كل كافر جهول
ندين بالحق بلا تحويل * ونرتضى الصدق بلا تبديل
دين النبى المصطفى الرسول * محمد المقصود والمأمول
من جاء بالتوحيد والتهليل * وحكمة القرآن والتنزيل
ازكى نبى شافع مقبول * ادعى حبيب للهدى دليل
له اللواء طه الطليل * وقته الرسل بلا تحويل
حباه ربى كامل التفضيل * له صلاة ربنا الجليل
والآل بالاجمال والتفصيل * بجاهه المرجو للقبول

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده المقداد بن الاسود الكندى فأمره على خمسمائة فارس وأعطاه الراية فأخذها بيده وهزها وأنشد يقول

أنا المقداد فى يوم النزال * أبيد الضد بالسمر العوالى
وسيفى فى الوغى أبدا صقيل * طليق الحد فى أهل الضلال
معى من آل كندة كل قرم * مجيد الطعن فى يوم الجدال
فيا ويل العدا والروم منا * اذا لقيهم الفوارس فى القتال
فنتركهم به انجاز نخل * تقطعها الفوارس بالنصال

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده عمار بن ياسر العبسى رضى الله عنه فأمره على خمسمائة فارس وأعطاه الراية فأخذها بيده وهزها وجعل يقول

انا الهمام الفارس الكرار * تفنى بسيفى الفرقة الكفار
ان جالت الخيل فلا انكار * لاننى يوم الوغا عمار *
وسيدى محمد المختار * صلى عليه الواحد القهار
وآله وصحبه الاخيار * ما بان ليل واضا نهار

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده عباس بن مرداس السلمى فأمره على خمسمائة فارس وأعطاه الراية فأخذها بيده وهزها وانشد يقول

انا العباس ذو الراى السليم * من سادات آل بنى سليم

أذل بهم طغاة الرأى لما * ترى الهيجاء كالليل البهيم
وسيفى مطلق الحدين أضحى * لأهل الشرك كالموت العميم
به أفنى الطغاة بكل أرض * وقتل ككل أفاك أثيم
ونحن بنو سليم خير قوم * هدينا للصراط المستقيم

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده أبو دجانة الأنصارى رضى الله عنه فأمره على خمسمائة فارس وأعطاه الراية فأخذها بيده وهزها وأنشد يقول

أسير باسم الواحد المنان * بجهر لأهل الكفر والطغيان
أذيقهم ضربا على الأبدان * بكل هندى مبيد الجانى
* أنصر دين الملك الديان * ذى العز والقدرة والسلطان
جاء به خير الورى العدنان * محمد من جاء بالقرآن *
معظما وهو العظيم الشان * صلى عليه الله ذو الاحسان
وآله والصحب والاخوان * ما ناح قمرى على الاغصان

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده غانم بن عياض الأشعرى رضى الله عنه فأمره على خمسمائة فارس وأعطاه الراية فأخذها بيده وهزها وأنشد يقول

شهدت فوارسنا الكرام ومعشرى * انى اذا ارتفع المناسب أشعرى
قرم همام فى المعامع قاطع * لجهاد أبطال الأعادى مزدرى
وبراحتى عضب صقيل أبيض * يوم التلاطم للعداة وسمهرى
يا ويل كلب الروم منه اذا أتى * ورأى لميع بريقه بالمنظر
فلأقتلن به فوارس قومه * وأذيقهم ألم العذاب الأكبر

(قال الراوى) ثم تقدم من بعده أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه فأمره على خمسمائة فارس وأعطاه الراية فأخذها بيده وهزها وأنشد يقول

سأمضى للعداة بلا ارتياب * وقلبى للقا والحرب صابى
ولى عزم أذل به الأعادى * وأرجو للأجور والثواب
ولو صال الجميع بيوم حرب * لكان الكل عندى كالكلاب
أذلهم بأبيض جوهرى * طليق الحد فيهم غير آبى

(قال الراوى) ثم سار وتقدم من بعده الأمراء وأصحاب الرايات مثل القعقاع بن عمرو التميمى والمغيرة بن شعبة الثقفى وميسرة بن مسروق العبسى ومالك الاشتر النخعى

وذو الكلاع الحميري والوليد ومحمد بن عقبة بن أبي معيد الجهني وهاشم بن المرقال وعقبة بن عامر الجهني وعلي وجعفر وعبد الله اولاد عقيل بن أبي طالب الهاشمي والمرقال وجابر بن عبد الله الانصاري ورفاعة بن زهير المحاربي وعدي بن حاتم الطائي ومثل هؤلاء السادات رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد اختصرنا في اسمائهم خوف الاطالة

* (قال الراوي) * فلما تكاملت الجيوش وتأهبوا للسفر خرج لوداعهم عمرو بن العاص وبقية الصحابة وسارت الكتائب وتتابعت المواكب يتلو بعضها بعضا وخلفهم الذراري والصبيان حتى اتوا الى الجيزة ونزلوا بمكان يعرف بالمرج الكبير قريبا من تلك المدائن والقرى والرساتيق وتقدمت الطلائع يتجسسون الاخبار وكان بدهشور بطريق عظيم من قبل أرمانوس صاحب اهناس وانتشرت الاخبار من أول يوم تجهزت الصحابة رضي الله تعالى عنهم الى الصعيد وكاتبت الملوك بعضها بعضا

* (قال الراوي) * فلما وصل الخبر الى بطريق اهناس وكان فارسا مكينا وكلبا لعينا قاتله الله تعالى وكان يقول انه يناظر البطلوس في ولايته لكن البطلوس صاحب البهنسا لعنه الله كان أشد بأسا وأعظم مراسا وأقوى مددا وأكثر عددا وأوسع بلادا قال فكاتبه في ذلك وكاتب روشال صاحب الاشمونين وكاتب قراقيس صاحب قفط وكان يحكم الى اخميم وكاتب الكيكاذيج صاحب اسوان وكان يحكم الى عدن الى البحر المالح الى بلاد النوبة والبجاوة وحد السودان وتسامعت الناس بسير العرب الى الصعيد وكاتبت الملوك بعضها بعضا وماج الصعيد باهله الى حد الواحات ووقع الرعب في قلوبهم

* (قال الراوي) * فعند ذلك وثب مكسوح ملك البجاوة وملك ملك النوبة وجمعا ما حولهما من العساكر والجنود من ارض النوبة والبجاوة والبربر وأتيا الى اسوان قال وكان مع ملك البجاوة الف وثلاثمائة فيل وعليها قباب من الجلد المشبك المصفح بالفولاد وفي كل قبة عشرة من السودان عراة الاجساد طوال على اكتافهم واوساطهم جلود النمورة وغيرها ومعهم الدروق والحراب والكرابيج والقسي والمقاليع والاعمدة الحديد والطبول والقرون وكانت عدتهم عشرين الفا

* (قال الراوي) * فلما وصلوا الى اسوان خرجوا الى لقائهم في عسكر عظيم فاعلموهم بامرهم فتبادروا اليهم بالملاقاة في المطوفات من الذرة والشعير ولحوم الخنازير والقصب ولحوم الضباع وغيرها من الوحوش قال فانزلوهم واقاموا في الضيافة ثلاثة ايام

ثم ان بطريق اسوان اخرج معهم جيشا عظيما وامرهم بالمسير معهم ثم انهم ساروا حتى وصلوا الى ملك قفط صاحب القلعة التي هي قريبة من قوص وعمل معهم مثل ذلك وسير معهم جيشا وساروا حتى وصلوا الى روشال صاحب الاشمونين ففعل معهم مثل ذلك وسير معهم جيشا قال وساروا حتى وصلوا الى انصنا وكان صاحبها بطريقا عظيما وبطلا جسيما وكان ذا نعمة وكان يحكم شرقا وغربا الى حد طحا واهريت وكانت انصنا مدينة عظيمة على شاطئ البحر بها جنة كثيرة وفيها العجائب العظيمة ولها حصن عظيم من الحجر الاسود طوله ثلاثون ذراعا ومن داخلها قصور ومقاصير ومراتب وكنايس وقلاع على اعمدة من الرخام وغيره الى داخل المدينة

(قال الراوي) وحاصرها المسلمون مدة وقتل فيها عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه وجماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم واخذوها بعد ذلك واخربوها وقتلوا كل من كان فيها ولم يسلم منهم احد

(قال الراوي) ثم رجعنا الى سياق الحديث العجيب والامر المطرب الغريب لما نزلت تلك العساكر بانصنا خرج اليهم بطريقها جرجيس بن قابوس بن انصنا الرومي وتلقاهم بالضيافة والعلوفة واكرمهم وبعث معهم ابن عم له يسمى قيطاروس في اربعة آلاف فارس وكان فارسا شديدا ولم يزالوا سائرين حتى نزلوا بارض البهنسا عند بطريق يقال له قلوصنا وهو من بطارقة البطلوس فاضافهم واكرمهم

(قال الراوي) فلما سمع بهم البطلوس المنكوس خرج الى لقائهم في عسكر عظيم زهاء من خمسين الف فارس من البطارقة وعليهم الدروع المذهبة والاقبية الديباجية المرقومة بالذهب والفضة وعلى رؤوسهم التيجان المكللة باللآلي والجواهر راكبين على الخيول والبراذين المسرجة بسروج الذهب والجنائب مغطاة بغواش من الحرير الملون المرقوم بالذهب والفضة وكان معه خمسون صليبا تحت كل صليب الف فارس وطول كل صليب اربعة اشبار من الذهب وهو منقوش وعلى رأس كل صليب رمانة من الذهب والفضة وهي تضيء كالكوكب وهم في زي عظيم وقد اكثروا من الطبول والزمور والضرب بالقرون والمعازف حتى ارتجت الارض ومعهم الجمال والبغال المحملة باواني الذهب والفضة والبخور ومعهم الاغنام والابقار فلما التقوا بالمكان الذي ذكرناه وجاءهم البطلوس ترجلت الملوك والبطارقة الى لقائه وسلم بعضهم على بعض ثم تكلموا في امر العرب فقال لهم البطلوس المنحوس لا تطمعوا العرب فيكم

ولا في بلادكم فانما مثل العرب كمثل الذباب ان تركته اكلك وان منعته فر ومالك فاثبتوا واصدقوا العزم وقد كانت لكم سنجا بالملك برقه وكانت بطريق الواحات وكا نكم بهم وقد اقبلوا عليكم ولولا انني أخشى أن العرب يهجمون على بلادي اذا سمعوا اني قد خرجت معكم فيشتغل جماعة بقتالكم وجماعة يأتون الى بلادي فيملكونها وليس فيها من يذب عنها بعد خروجي الى اقاتلكم لكنت معكم وقاتلتهم قال كرماس الرومي وكان ممن أسلم بعد ذلك وحضر وتحدث به أن البطلوس قال يا معشر الملوك والبطارقة اني قد اطلعت على الكتب القديمة انهم اذا ملكوا البهنسا ونواحيها لا تقوم لاهل الصعيد قائمة بعد ذلك أبدا

* (قال الراوي) * فلما سمع الملوك ذلك أصغوا لقوله ثم انه انتدب من بطارقته عشرين ألف بطريق ممن اشتهر بالقوة والشجاعة والبراعة وملك عليهم صاحب الكفور وكان اسمه بولص وكان كافرا طاغيا ودفع له صليبا من الذهب الجوهر وعلما من الحرير الاطلس الاصفر المرقوم بالذهب وفيه صورة الشمس ودفع له ما يحتاج اليه من الجنائب والقباب والسرادقات والمضارب والخيام من الديباج الملون والاواني من الذهب والفضة والصناديق المزركشة من الذهب والفضة والبراذين والبغال التي عليها جلال الحرير الملون وبعضها محمل بالاواني المذكورة والخيام والسرادقات

* (قال الراوي) * وسارت العساكر وتتابعت المواكب يتلو بعضها بعضا حتى اذا كانوا قريبا من ببا الكبرى خرج اليهم بطريقها سندارس وتلقاهم وأضافهم وجهز معهم عشرة آلاف فارس من صناديد البطارقة وولى عليهم بطريقا يسمى داروس وكان يناظر بطريق الكفور في القوة والشجاعة والبراعة ثم ساروا حتى اذا كانوا قريبا من برنشت خرج اليهم بطريقها وهو يناظر البطريق الاعظم رأس بطارقة الكورة ولم يزالوا سائرين حتى ملؤا الارض شرقا وغربا هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم لما نزلوا قريبا من دهشور كما ذكرنا وكانت الاعيان من المسلمين من بني طي ومذحج يلبسون لباس العرب المتنصرة ويتجسسون الاخبار حتى اختلطوا بالعساكر المذكورة وكانوا حذاقا متبصرين فلما نظروا الى هؤلاء الجموع وكثرتهم هالهم أمرهم

* (قال الراوي) * حدثنا سنان بن قيس الربعي عن طارف بن مكشوح الفزاري عن زيد بن غانم الثعلبي وكان ممن شهد الوقعة وحضر الفتوح وكان مع جيش خالد بن

الوليد رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس نصطلح من شأننا ما نحتاج اليه وتهيأ للسفر اذ قدمت الجواسيس فأعلموا خالداً بالعساكر وكثرتهم فقال لهم احزرتم الجيوش قالوا نعم أيها الامير انهم مائتا ألف وخمسون ألف رجل من النوبة والبجاة والفلاحين والعشير وهم في اهبة عظيمة ومعهم ألف وثلثمائة فيل وعلى ظهورهم الرجال كما وقع في يوم حرب العراق

(قال الراوي) فلما سمع الامراء بذلك الامر اضطرب بعضهم في بعض فمنهم من ثبت جنانه وقال قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون وأما خالد رضي الله عنه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قرأ قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ثم قرأ قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم ان خالداً قال لاصحابه لا تهتموا لذلك واصبروا فانتم الاعلون والله معكم وأنتم الغالبون فليست جموعهم بأكثر من جموع يوم اليرموك ولا من جموع الاجنادين ومع ذلك قد ملككم الله أرضهم وبلادهم وديارهم وقصورهم ومصرهم التي هي تاج ديار زهم وملككم الله الوجه البحري وقتلتم ملوكه وبطارقته وقد صارت الشام واليمن والعراق والحجاز بأيديكم وذات لكم الاقاليم والمدن والبلاد وان أردتم مدداً يأتيكم من كل الجهات وقد كنتم قليلا فكثركم الله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وقاتلتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرتم معه بالملائكة الكرام وعدكم الله تبارك وتعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انه ليستخلفنكم في الارض فقال جل من قائل وهو أصدق القائلين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً والنبي صلى الله عليه وسلم هو الصادق الامين المصدوق ولن يخلف الله وعده ومن قتل منكم في سبيل الله عز وجل صار الى روح وريحان وجنة ونعيم ومن قتل منهم فهو في سبيل الشيطان فنزل من جحيم وتصلية جحيم فاثبتوا واصبروا وابشروا فالجنة تحت ظلال السيوف واشكروا الله واذكروا نعمة الله عليكم فانه اختصكم دون خلقه وجعلكم انصار دينه واتباع نبيه وسبقتم الناس بصحبته وفضلكم على سائر الامم كفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم

على سائر الانبياء

(قال الراوى) فلما سمعت الصحابة رضى الله عنهم كلام خالد تهللت وجوههم فرحا وسرورا وقالوا له أيها الامير نحن كلنا بين يديك وقد بذلنا أنفسنا وأرواحنا فى سبيل الله عز وجل ابتغاء مرضاته لا نريد بذلك الا وجه الله تعالى قال ثم ان خالدا أرسل زيد بن مفرج التنوخى مسرعا الى عمرو بن العاص يعلمه بذلك فجعل عمرو بن عمه خارجة مكانه على مصر وكان رجلا صالحا وأوصاه بالرعية وترك عنده الفين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج فى أربعة آلاف فارس ليوث عوابس

(قال الراوى) وسار حتى وصل اليهم فلما أقبل عليهم عمرو رضى الله تعالى عنه سلموا عليه وقالوا له نحن نكفيك أيها الامير فقال اعلم ذلك منكم ولكنكم فى أول بلاد العدو وما ينبغى لى أن أتخلف عنكم قال ففرحوا بذلك وتأهبوا لقتال العدو وفى كل يوم يخرجون الطلائع يتجسسون الاخبار

(قال الراوى) فلما كان فى بعض الايام خرج الفضل بن العباس بن المطلب وأخوه عبد الله بن العباس بن المطلب وجعفر بن عقيل وأخواه على ومسلم وعبد الله بن الزبير وسليمان بن خالد بن الوليد ومحمد بن قرحة بن عبد الله وعبد الله بن المقداد وعبد الله ابن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعمر بن سعد بن أبى وقاص ومحمد ابن مسلمة الانصارى وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وزياد بن أبى سفيان وزياد ابن المغيرة وتبعهم من السادات الامجاد نفر وثمانية سبعين من أولاد الصحابة والامراء أصحاب الرايات وألف وستمائة من أخلاط الناس من المهاجرين والانصار والسواد روعهم وتقلدوا سيوفهم واعتقلوا برماحهم وتنكبوا بجحفهم وساروا حتى وصلوا الى دير قريب هناك يعرف بدير المسيح بسفح الجبل يكشفون الاخبار

(قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا بغبار قد ثار ساطع منعقد وارتفع حتى بلغ عنان السماء فقالوا ما هذا الا غبار وحش أو غنم فقال الفضل بن العباس رضى الله تعالى عنه ليس هذا غبار وحش فانه لو كان كذلك لكان يتقطع قطعا ويتفرق فرقا وانما هو عسكر جرار فان الخيل اذا دامت بحوافرها ارتفع الغبار الى عنان السماء

(قال الراوى) حدثنا أبو زياد عن عبد الله بن أبى مالك الخولانى عن طارق ابن شهاب الجرهمى عن عبد الرحمن بن أبى هريرة رضى الله عنهم أجمعين قال بينما نحن نتكلم مع الفضل واذا بالغبار قد انكشف عن عشرة آلاف فارس ومعهم الاعلام

والصلبان فلما رأونا طمعوا بنا وابتليتهم ثم لم يمهلوا دون أن حملوا علينا حملة رجل واحد

(قال الراوي) وكان ضرار بن الأزور قد انفرد ومعه مائتا فارس من أصحابه من أهل النجدة وساروا في طريق الجبل على غير الجادة قال فبينما هم كذلك واذا بالغبار قد سار وانكشف عمن ذكرنا فلما عاينوهم أيقنوا بالهلاك فعندها وثب ضرار رضي الله عنه وقال لا فرار من الموت فلم يمهلوهم دون أن حملوا عليهم وأحاطوا بهم فعلموا انه لابد من القتال ووقعت العين في العين والتقت الرجال بالرجال وصبر المسلمون صبر الكرام لما أحاطت بهم الكفرة اللئام من كل جانب ومكان فلله در ضرار لقد قاتل ذلك اليوم قتالا شديدا فلم تكن الا ساعة حتى قتل من أصحاب ضرار جماعة وكبا به جواده فأخذوه اسيرا واسروا جماعة من أصحابه

(قال الراوي) وكان رأس البطارقة صاحب بيت المكبرى فأوثقوا ضرارا وأصحابه كتافا ورموهم على ظهور خيولهم وأرسلوهم الى العسكر فافلت منهم مولى من موالي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه يقال له سالم فسار مجدا في سيره حتى قدم على خالد وأعلمه بذلك وأعلم عمرا رضي الله عنهما فعظم عليهما وكبر لديهما وأراد خالد أن يسير بنفسه فمنعه عمرو من ذلك فعندها وثب المسيب بن نجبة الفزاري ورافع بن عميرة الطائي وأخذا معهما ألفا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وساروا ومعهم رجل ممن أسلم من أهل الجبيرة يدلهم على طريق غير الجادة واكمنوا هنالك عند الدير وقد سبقوا البطريق الذي سار بضرار وأصحابه واقتفوا الاثر فقال لهم الدليل ما اظنكم الا قد سبقتم القوم فاكمنوا ههنا وكان الذين مضوا بضرار وأصحابه خمسمائة فارس

(قال الراوي) وكانت خولة بنت الأزور قد شق عليها أسر أخيها فلما سار المسيب ابن نجبة الفزاري ورافع بن عميرة الطائي وجماعتهما في طلب أخيها فرحت وسر قلبها وقامت مسرعة ولبست درعها ولامتها وأتت الى خالد وقد هم المسيب ورافع وأصحابهما بالمسير لخلاص الأسارى فقالت له سألتك أيها الامير بالطاهر المطهر خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم أن تأذن لي بالمسير معهم فعسى ان أكون مشاهدة لما يكون من الوقعة ومساعدة لهم فانه احب الي فقال خالد للمسيب ورافع انتما تعلمان شجاعتها وبراعتها فخذاها معكما فقالا السمع والطاعة ونزلوا بالمكان الذي ذكرناه فبينما هم نزول عند الدير مكمنون واذا بغبرة قد لاحت لهم فقال رافع والمسيب

لاصحابهما رضى الله عنهم ايقظوا عزائمكم وقووا هممكم وتلقوا عدوكم بقلوب صادقة ونيات خالصة سليمة فايقظ القوم أنفسهم وبقوا فى انتظار عدوهم واذا هم قد أقبلوا وهم محدقون بضرار وهو متألم من شدة الكتاف وهو ينشد ويقول هذه الابيات

الا بلغا قومى وخولة اننى * اسير رهين موثق اليد بالقد
وحولى علوج الروم من كل كافر * وأصبحت فيهم لا اعيد ولا ابدى
فلو اننى فوق المهذب راكب * وقائم حد العضب قد ملكت يدى
اذقت كلاب الروم بالسيف نقمة * واسقيتهم وسط الوغى أعظم الكد
فيا قلب مت حزنا وغما وحسرة * ويا دمع عينى كن معينا على خدى
الى ان أرى قومى وخولة حولنا * والزم ما كنا عليه من العهد
كبا بى جوادى فانثنيت على الثرى * وأصبحت بالادبار قد فاتنى قصدى
وصلى اله العرش ربى دائما * على السيد المختار من فاز بالرشد

(قال الراوى) فنادته اخته خولة من مكمنها قد أجاب الله دعاك وقبل تضرعك ونجواك ولا شمتت بك عداك ها أنا اختك خولة ثم انها كبرت وحملت وكبر رافع والمسيب وأصحابهما وحملوا على القوم قال جبير بن سالم وكان اذا كبرنا تصهل الخيل لتكبيرنا الهاما من الله عز وجل فما كان الا قليلا حتى قتلناهم عن آخرهم وخلص الله ضرارا وأصحابه من الاسر وأخذنا خيل القوم واسلابهم وسلاحهم ومالهم وكانت أول غنيمة غنمها المسلمون رضى الله عنهم بأرض الصعيد

(قال الراوى) ولما تخلص ضرار فرحت اخته بذلك فرحا شديدا وسلمت عليه ثم انه ركب جواده خاترا من المعركة وأخذ قناة وجدها مطروحة وأطلق عنانه قاصدا الروم وهو ينشد ويقول هذه الابيات

لك الحمد ربى دائما كل ساعة * مفرج أحزانى وهمى وكربتى
فقد نلت ما أرجوه من كل راحة * جمعت لشملى ثم أشفيت علتى
سأفنى كلاب الروم فى كل معرك * وربى هو الرحمن عضدى وقوتى
فويل كلاب الروم ان ظفرت يدى * بهم سوف أصليهم بسيفى ونقمتى
وأتركهم صرعى جميعا على الثرى * وقد شربوا كأس المنون براحتى

(قال الراوى) فما فرغ ضرار من شعره الا والخيل قد اقبلت منهزمة وكان السبب فى ذلك انه لما حملت الروم على الفضل بن العباس رضى الله عنه صاح هو وبنو هاشم

واصحابه ولم ترعهم كثرة عدوهم وصبروا صبر الكرام واشتد الزحام وعظم المرام وجرت الدماء واسودت السماء وحمي الوطيس وقل الانيس ودارت رحات الحرب وكثر الطعن والضرب وجالت الرجال وهمهمت الابطال وقوي القتال وعظم النزال وضربت الاعناق وسالت الاحداق وعظمت الامور وغابت البدور وكانت المسلمون لا تعرف بينهم لكثرتهم ولا يعرفون بعضهم بعضا الا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير فوالله لقد صبر الفضل بن العباس وبنو عمه صبر الكرام واغاظوا هؤلاء الكفرة اللئام فلله در الفضل لقد اصطلى نار الحرب بنفسه فكان تارة يقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة ويقاتل والراية في يده ولله در مسلم بن عقيل واخوته لقد قاتلوا قتالا شديدا حتى كانت الدماء على دروعهم كانها اكباد الابل ولله در سليمان بن خالد بن الوليد المقتول بوقعة الدير قريبا من طنبد بقرية تسمى بدبروط وقتل معه عبد الله بن المقداد بن الاسود الكندي وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم وسيأتي ذكرهم عند الوقعة ان شاء الله تعالى قال محمد بن سلمة الانصاري رضي الله عنه قاتلنا قتال الموت وايقنا ان الحشر من هنالك

(قال الراوي) ولم يزل القتال يعمل والدماء تنزل من ارتفاع الشمس الى ان غربت وقتل من الروم مقتلة عظيمة قال وتقدم الفضل بن العباس الى بطريق عظيم وهو راكب كانه برج من ذهب وطعنه في صدره طلع السنان يلمع من ظهره قال فلما رات الروم ذلك شجعوا انفسهم وفشا القتل بيننا وبينهم وقتل من المسلمين اربعون فارسا وقتل من المشركين ثمانمائة قال فبينما نحن كذلك واذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد سطعت ثم ارتفعت وانقشع الغبار عن رايات اسلاميه وعصبة محمديه زهاءعن الفي فارس وفي اوائلهم فرسان امجاد وسادات انجاد احدهم المقداد والثاني زياد والقعقاع ابن عمرو التميمي وشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومعهم الف فارس فلم يمهل المقداد دون ان حمل عليهم وقد غاص في القوم وهو ينشد ويقول هذه الابيات

الا انني المقداد في الحرب صائل * وسيفي وكفي طائل وطاول
اذا اشتدت الاهوال كنت امامها * وفي راحتي السمر الطوال الذوابل
ولي همة بين الورى تزدري العدا * بهيبتها ذلت ابطالهم والقبائل
فليس لسيفي في الانام مبارز * وليس لشخصي في الانام منازل

(قال الراوى) ثم غاص فى وسط الحرب وجال من بعده زياد بن ابى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو ينشد ويقول هذه الابيات

انى زياد بن ابى سفيان * ابى وجدى اشرف العربان
وابن عمى احمد العدنانى * معى حسام مرهف يمانى
وفى يدى رمحى لكل جانى * من كل كلب عادم الايمان

(قال الراوى) ثم غاص فى وسط القوم فقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة وغاص فى القلب فولت الروم من بين يديه منهزمين وهو يضرب فيهم طولا وعرضا ثم جال من بعده القعقاع بن عمرو التميمى وهو ينشد ويقول

انا الهمام الفارس القعقاع * ليث شجاع ضيغم مطاع
وصمصامى تنشوى الاضلاع * وتقطع الهامات والاضلاع
من الحياة تقطع الاطماع * وتهدم الحصون والقلاع
يفر من افرى به النزاع * متى اذا احكمت الادراع
وللاعادى صال منى الباع * وسيد مهذب شجاع

(قال الراوى) ثم جال من بعده شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينشد ويقول

الا يا عصبة الاسلام صولوا * وبالتوحيد اعلانا فقولوا
اذيقوا القوم كاس الموت جهرا * فهذا السيف للاعدا صقيل
الا فاعلوا الرؤس به وجولوا * وهذا السمهرى به فطولوا
وموتوا فى الوغى قوما كراما * وعنهم فى المعامع لا تزولوا

(قال الراوى) ثم تتابعت الفرسان يتلو بعضها بعضا هذا وزياد بن ابى سفيان قد غاص فى القوم كاذ كرنا وجال وقصد البطريق الاعظم صاحب باب الكبرى وضربه بالسيف على عاتقه الايمن خرج السيف يلمع من عاتقه الايسر وكبر وكبرت المسلمون لتكبيره وكبرت الجبال وهاجت الوحوش والدواب لتكبيرهم وارتجت الارض لوقع حوافر الخيل وحمل كل امير على بطريق فقتله

(قال الراوى) فلم تكن الا ساعة حتى ولت الروم الادبار وركنوا الى الفرار لا يلوى بعضهم على بعض وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى بلغت الهزيمة برزة وميدوم فبينما ضرار واصحابه مقبلون واذا بالروم منهزمة كما ذكرنا وخيل المسلمين

في آثارهم يقتلون ويأسرون ويغنمون ولم يكونوا يعلمون بما جرى لضرار وأصحابه فلما رآه المسلمون سلموا عليه وعلى أصحابه وهنوهم بالسلامة وقص عليهم ما وقع له مع المشركين واجتمعوا بالمسيب وأصحابه وأروهم مكان المعركة ومكان القتلى ففرحوا بذلك فرحا شديدا

(قال الراوي) وان عمرا وخالدا لما خرج الفضل وأصحابه قلقا عليهم قلقا عظيما ثم قال خالد لعمرو يا أبا عبد الله لقد غرر الفضل بنفسه وبأصحابه وأخشى أن يكون للروم طليعة فيظفرون بأصحابنا فقال عمرو كذلك خطر لي يا أبا سليمان فما تراه من الرأي وفقك الله فقال الرأي عندي ان نرسل طليعة اخرى خلفهم قال نعم الرأي ثم استدعى بالزبير بن العوام وبأبي ذر الغفاري رضي الله عنهما وأعلمهما بذلك وأراد خالد ان يسير معهما فمنعه الزبير وحلف ان لا يسير الا هو بنفسه وانتخب معه فرسانا وساروا حتى قربوا من القوم والتقوا بأصحابهم فوجدوهم قد كسروا الروم كما ذكرنا (ثم) ان الصحابة جمعوا الاسلاب والخيل والسلاح ورجعوا الى أصحابهم فرحين مسرورين

(قال الراوي) وكان معهم ستمائة أسير واعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على محمد البشير النذير فأجابهم المسلمون أيضا بالتهليل والتكبير فلما رأوا ذلك وعاينوا الاسلاب والاسارى فرحوا فرحا شديدا وسلم بعضهم على بعض وتلقاهم عمرو وخالد وبقية الامراء وسلموا عليهم وتفاءلوا بالنصر من الله عز وجل ثم عرضوا الاسارى على عمرو وخالد وأوقدوا النيران في المرج وباتوا يقرؤن القرآن ويتضرعون الى الله الواحد المنان راكعين ساجدين لله عز وجل

(قال الراوي) هذا ما جرى لهؤلاء السادات الكرام رضي الله عنهم وأما ما كان من أمر المشركين المنهزمين فانهم مضوا الى عسكرهم وهم بالخيبة والمذلة قال فلما رآتهم الملوك والبطارقة على تلك الحالة قالوا لهم ما دهاكم ومن بشركم بما كم فحدثوهم بما جرى من القصة من أولها الى آخرها فلما سمع الملوك ذلك الخبر عظم عليهم وكبر لديهم لفقد أصحابهم الذين قتلوا والذين اسروا واستعدوا لقتال المسلمين

(قال الراوي) ثم انهم أخذوا اهبتهم وركبوا خيولهم وابلهم وأفيلتهم وتزينوا بزينتهم وساروا مجدين السير وقد أكثروا من الطبول والزمور والصنوج قال قيس بن الحارث وأقام المسلمون بعد الوقعة يوما واحدا فلما كان في اليوم الثاني بعد صلاة الصبح وكان جواد الامراء والابطال في كل وقت يركبون ويسيرون ويتجسسون الاخبار قال

فبينما هم ينتظرون واذا بغبارة قد ثار حتى تعلق بالجو ثم انكشف عن خيول ورجال كالجراد المنتشر والسيل المنحدر وقد ارتجت الارض من الطبول والزمور وضرب القرون وزمجرت الخيول وقعقعت اللجم فلما عاين الامراء ذلك رجعوا واعلموا عمرا وخالدا واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

(قال الراوى) فصاح الصائح فى العسكر النفير النفير يا خيل الله اركبوا وفى الجنة ارغبوا والى الثواب فاطلبوا ومن اعداء الله لا تهربوا ولوجه الله توجهوا وبمحمد صلى الله عليه وسلم توسلوا قال فتواثبت المسلمون رضى الله عنهم الى دروعهم فلبسوها والى سيوفهم فتقلدوها والى رماحهم فاعتقلوها والى خيولهم فركبوها والى راياتهم فنشروها والى زينتهم فاظهروها والى قلوبهم من الغش فطهروها والى نياتهم فاخلصوها والى انفسهم الصالحة فى سبيل الله باعوها

(قال الراوى) فلم تكن الا ساعة حتى استعدوا لذلك ووقفوا وقام خالد يرتب قومه للقتال هو وعمرو رضى الله عنهما قال فجعلا فى القلب اصحاب الطعن والضرب مثل الفضل بن العباس وبنى عمه من سادات بنى هاشم وهم جعفر وعلى ومسلم اولاد عقيل بن ابى طالب وزياد بن ابى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ومثل هؤلاء الابطال وجعلا فى الجناح الايمن الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود الكندى والمسيب بن نجي الفزارى وفى الجناح الايسر القعقاع بن عمرو التميمى وهاشم بن المرقال وغانم بن عياض الاشعرى وابو ذر الغفارى وجابر بن عبد الله الانصارى ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم قال وثبت خالد وعمرو فى القلب ومعهما عبد الرحمن ابن ابى بكر الصديق وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعقبة بن عامر الجهنى وبقية الامراء واصحاب الرايات من الصحابة رضى الله عنهم ممن شهدوا الوقائع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن زيد عن ابى امامة الانصارى رضى الله عنه وكان من اصحاب الرايات فبينما نحن نتهيأ للقتال واذا باعلام المشركين قد انتشرت وراياتهم قد ظهرت وزينتهم قد برقت وصلبانهم قد لمعت واختتموا بالكفر قد طمطمت وافيالهم قد اقبلت ورجالهم للقتال قد بادرت

(قال الراوى) فلما رأى المسلمون ذلك اخلصوا نياتهم ولم يرعهم ما رأوا من كثرة عددهم وتضرعوا بالدعاء لخالقهم واستعانوا بمالكهم واكثروا من الصلاة على نبيهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزالوا سائرين حتى قربوا من القوم ورأوهم رأى

اللعين قال فعند ذلك أمسكوا أعنة خيولهم وسلاسل أفيالهم وقد ألقى الله الرعب فى قلوبهم قال فخرج من عسكرهم بطريق من عظمائهم كأنه برج مشيد من ذهب وهو لا يظهر منه الا حماليق الاحداق وتداوير الآماق وبين يديه فارس من متنصرة العرب وهو يصيح بأعلى صوته يا معاشر العرب ارسلوا الى الملك رجلا منكم يكلمه قال فاعلم المسلمون عمرا وخالدا بذلك فأراد خالد أن يخرج اليه فمنعه الامراء من ذلك فعندها وثب المقداد وحلف لا يخرج اليه الا أنا فقال عمرو وخالد انظر يا أبا عبد الله ما يكلمك به هذا العلج وادعه الى كلمة الاخلاص المنجية فى يوم القصاص فان أبوا فالجزية عن يد وهم صاغرون فان أبوا فالقتال بيننا وبينهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

(قال الراوى) فعندها ركب المقداد جواده وسار حتى قرب من البطريق وكان ذلك البطريق هو بولص صاحب الكفور الناغى اللعين بطريق البطلوس المنحوس وقد أتى عن اذن الملوك والبطارقة فلما رآه كلمه بلسان عربى وقال يا بدوى أنت أمير القوم قال لا قال انى لا اريد الا أمير القوم حتى أسأله عما بدالى لعل ان يكون فيه مصلحة بيننا وبينكم فقال المقداد سلنى عما تريد فانا قوم اذا فعل أحدنا شيئا فيه نصح للدين ومصلحة للمسلمين لا تنكر عليه ذلك ويجيز له الامير ما يفعل فأخبرنى عن امرك وشأنك فقال انه لا يكلمنى الا أمير القوم وان كان عنده خوف منى القيت سلاحى فقال له المقداد وقد ضحك من كلامه ويحك يا عدو الله لو كنت أنت وامثالك واضعافكم بأسلحتكم ما فكرفيكم وان الواحد منا لو وقع فى ألف منكم لما اهتم بنفسه ولا اهمه ذلك والمعونة من الله عز وجل وقد بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد فى سبيل الله والموت فيه ونعلم ان هذه الدنيا فانية ولا نريد الا وجه الله تعالى ولا يهمنا امركم ولو كنتم عدد الحصا وما النصر الا من عند الله فاسألنى عما بدالك فقال له الملعون لا اسمع الا كلام امير القوم فدع عنك المطاولة بينى وبينك فى الخطاب فقال له المقداد ان لنا أميرين أميرا متولى الامر علينا وأميرا مدبرا لجيوش فأى الاميرين تريد قال أخبرنى باسميهما قال اما الامير المتولى علينا فاسمه عمرو بن العاص والآخر اسمه خالد بن الوليد قال اريد خالدا فانى سمعت عنه امورا واحوالا وان الروم تحدث عنه بأعاجيب كثيرة

(قال الراوى) وكان الملعون قد سمع بذكر خالد وقوته وشجاعته وانه هو الذاتح

للمدائن والحصون وتارك الاعداء فى الذل والهون وهو رأس كل حرب ومعركة وهو الذى فتح الشام والعراق وقاتل كل أسد ضرغام وفاتح اليمن وزبيد وصنعا وعدن وقاتل مسيلمة الكذاب وهو الذى أباد الجيوش بقطع الرقاب وأراد الملعون ان ينظر الى شجاعته وبراعته وقال فى نفسه لعلى ان اخادعه وأغدره فانى ان قتلته يكون لى الفخر على جميع الروم وينكسر بذلك ناموس العرب وان لم اقدر عليه أسمع ما يكون من خطابه

(قال الراوى) فعند ذلك لوى المقداد عنان جواده ورجع الى أصحابه فقال لهم خالد ان المقداد قد رجع وان عدو الله لا يريد الا الخداع فان طلبنى مضيت اليه وان رأيت منه غدرا لآخذن رأسه من بين كتفيه بحد هذا الحسام واستعين بالله الملك العلام

(قال الراوى) فبينما خالد يتحدث بهذا الكلام واذا بالمقداد قد وصل واخبر عمرا وخالدا بما وقع من البطريق فوثب خالد رضى الله عنه مبادرا ولبس لامة حربه فتعلقت به أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسم بالله أن لا بد لى من الخروج اليه ثم خرج خالد رضى الله عنه ووقف مقابلا للبطريق فلما رأى خالدا وصل اليه احترز منه على نفسه وأراد ان يخدع خالدا واضمر ان يهجم عليه فقال له خالد أيها البطريق ها أنا خالد فماذا تريد واياك والخداعة فانا جرثومة الخداع فقل لى ما تريد فقال له بولص يا خالد اذكر لى ما الذى تريد منا وقرب الامر بيننا وبينكم واحقن دماء الناس واعلم بأنك مسؤل عما تفعله بين يدى الله عز وجل فان كنت تريد شيأ من الدنيا فان نفضل عليكم به ويكون صدقة منا عليكم لانكم أضعف الامم وقد كنتم فى بلادكم قبل أن تقصدوا البلاد فى قحط وجوع تموتون هزالا وقلة فاذا ملكتم البلاد وقهرتم العباد وشبعتم من اللحم وركبتم الخيول المسومة وتقلدتم بالسيوف المجوهرة الهنديه ولبستم الدروع الداوديه وسعدتم بعد فقركم وفاقتكم فان طلبتم منا شيأ صدقة أعطيناكم بطيب قلوبنا ولا تطمعوا فى بلادنا كما طمعتم فى غيرها واكتفوا منا بالقليل

(قال الراوى) فلما سمع خالد رضى الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه ما قاله البطريق قال له يا كلب النصرانيه ويا أنجس من غمس فى ماء المعموديه ان الله عز وجل قد بعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم للعالمين رحمة فهدانا الله تعالى به من

الضلالة وانقذنا به من الجهالة وأبصرنا به من العماية وأرشدنا به من الغواية وألهمنا به فى البرية حسن الرعاية كثرنا به بعد القلة وعززنا به بعد الذلة واقتنا به بعد التفرق وفقهنا به فى الدين من لم يفقه به فتح الله به قلوبا غلفا وآذانا صما وعيونا عميا ونصر على يده ولسانه قائل لا اله الا الله وهى الكلمة العليا حتى صارت الدعوة توحيديه والامة محمديه والملة ربانيه والعقيدة اسلاميه وآله أهل الرتب العليه وأصحابه صحبتهم هى الصحبة المرضيه فصلاة الله وسلامه عليهم تنزل بها الالطاف فى جميع الامور المقضيه واعلم أيها البطريق ان الله تبارك وتعالى يقول ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده وانا قد ملكنا بأيدينا ما أغنانا الله به عن صدقاتكم واحل لنا أموالكم واباح لنا نساءكم وأولادكم وأورثنا أرضكم وبلادكم واسلابكم حتى تقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فان أقررتم بالتوحيد عصمتم دماءكم وأموالكم منا فان أبيتم فتعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون فان أبيتم فالحرب بيننا وبينكم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين والله ينصر من يشاء واعلم بأن الحرب والقتال اشهى الينا من الصلح وأما قولك فانه لم يكن فى الامم أضعف منكم فأنتم عندنا بمنزلة الكلاب فان الواحد منا بمعونة الله تعالى يقاتل منكم ألفا وما هذا خطاب من يطلب الصلح فان كان هذا طمع ترجوبه ان تصل الى بانفرادى عن أصحابى فذلك منك بعيد وان أردت القتال فها أنا معتزل وأنت معتزل عن أصحابنا فدونك وما تريد فانى كفؤلك ولقومك ان شاء الله تعالى

(قال الراوى) فلما سمع البطريق بواص اللعين الخبيث كلام خالد رضى الله عنه وثب وقال ليس لك عندى الا هذا السيف ثم جرد سيفه وقبض عليه ودنا من خالد رضى الله عنه وضرب يده فى درعه ومنطقته ووثق بعضه ببعض قال واستعان الملعون بأصحابه وقال لهم بادروا الى فقد مكننى الصليب من أمير العرب فتبادرت البطارقة الزنادقة اليه من كل جانب حتى خرج كردوس عظيم نحو مائتى فارس وجردوا السيوف وأتوا الى خالد رضى الله عنه قال فلما نظر خالد اليهم وهم مقبلون عليه وثب وثبة الاسد وصاح بجواده فانتزع نفسه من البطريق بعد أن أحاطت به الروم وجاء كردوس آخر وجعل خالد رضى الله عنه يضرب فيهم يمينا وشمالا طولا وعرضا والملعون بواص يريد قتل خالد وهو يقول يا ويلكم خذوه قبل أن يفوتكم

(قال الراوى) وكان ضرار بن الازور والفضل بن العباس وعلى بن عقيل وعبد الله ابن جعفر وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن طلحة وسليمان بن خالد بن الوليد وعبد الله بن المقداد رضى الله عنهم وقوفا على كثيب عال قريبا من عسكر الروم فلما رأوا السيوف مجذبة صاح بعضهم على بعض وقالوا لقد احيط بخالد فركبوا خيولهم كانهم السباع الضارية فكان أول من ابتدر الحرب ضرار بن الازور رضى الله عنه وهو ينشد هذه الابيات

عليك ربى فى امورى المتكل * فاغفر ذنوبى اذ دنا منى الاجل
وفقنى ربى الى خير العمل * فانجح الهى سيدى كل الزلل
انا ضرار الفارس القرم البطل * مالى سواك يا الهى من امل
سيفى الى أعدائنا قد وصل * أفنى به الروم الى ان تضمحل

(قال الراوى) حدثنى رفاعة بن قيس قال حدثنى حامد بن عياض عن أبيه عن جده عن نافع عن ابن علقمة الربيعى قال كنت فى القلب فى عسكر عمرو بن العاص يوم وقعة الروم بمرج دهشور قال بينما نحن ننتظر ماذا يكون اذ رأينا السيوف مجذوبة واحاطت الروم بخالد رضى الله عنه فخرجنا كردوسا واحدا على جياد الخيل من السادة المشهورة فى الحرب من طرف الميمنة وبادرنا فطلقناهم واذا بضرار وأصحابه قد سبقونا فكان أول من قدم على عسكر الروم ضرار بن الازور رضى الله عنه وهو عارى الجسد فى سرواله فقط قابضا على سيفه وهو يهدر كالاسد والقوم من خلفه وهو أمامهم على جواده مسرعا كالسبع الضارى وهو يهز سيفه زاحفا على يواص البطريق قال فارتعدت فرائصه وقال يا خالد رد عنى هذا الشيطان واتلنى أنت ولا تدعه يقتلنى فانى تشاءمت من طلعته على فقال له خالد رضى الله عنه هو قاتلك يا خائن لا محالة هذا سيد الاقران هذا قاتل وردان هذا قاتل ملك التركمان هذا مبيد عبدة الاصنام والصلبان ومن يكفر بالرحمن قال فبينما نحن فى المحاورة واذا بضرار قد أقبل وهز سيفه وصاح به وصرخ فى وجهه وقال يا عدو الله وعدو رسوله لن تغنى عنك خديعتك ولا غدرك بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ثم انه اراد أن يضربه بالسيف فصاح به خالد اصبر يا ضرار حتى آمرك بقتله قال ووصلت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وكل منهم مبادر الى قتله فقال لهم خالد رضى الله عنه اصبروا حتى آمركم بقتله ونظر عدو الله يواص لعنه الله الى ما حل به وقد جذبه ضرار فاقتلعه من

سرجه وضرب به الارض فغشى عليه وأشار بأصبعه الى خالد وقال الامان فقال له خالد رضى الله عنه يا كلب النصرانية انما يعطى الامان لاهل الايمان وأنت كافر بالله الملك الديان وأردت أن تمكر بنا والله خير الماكرين ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله قال فلما سمع ضرار رضى الله عنه ذلك لم يمهل دون أن ضربه بالسيف على عاتقه الايمن أطلع السيف يلمع من عاتقه الايسر فسقط الملعون يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وتبادرت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين ووضعوا السيوف فيهم

(قال الراوى) فلما رأت الروم مانزل بهم حملوا بأجمعهم وتقدمت أصحاب الافيلة والرجال فوقها بالحراب والكرابيج قال فلما راى المسلمون ذلك تبادروا اليهم وتلقوهم بقلوب حاضرة ونيات صادقة والتقى الجمعان واصطدم الفريقان واشتد القتال وعظم النزال واصطفت الصفوف وزحفت الالوف وتلفت النفوس وقطعت الرؤس وقتلت الرجال وزمجرت الابطال واتسع المجال وازداد القتال وعظم البلاء واسودت السماء وثار الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار وطمطمت السودان وكفروا بالرحمن وثار العجاج وهمهمت الاعلاج وحميت الحروب وعظمت البلايا والكروب وكادت الاجساد تذوب وسالت سواقى الدماء كالانبوب ورويت بدمائهم الارض وماجت أهلها بالطول والعرض وامتلأت مابين صريع ومار يح وقتيل وجريح وحام الحمام على الكفرة اللئام وأشرفت شوامق الآفات على الطوائف فلم تر الاهاربا غير واقف وانتثرت الرؤس نثرا والارض من سكانها عادت قفرا والرجال خمسا وعشرا والاقطار قد انقلبت والدماء من أوانى الاجسام قد انسكبت والانفس السالمة قد عطبت والارواح من الاشباح قد سلبت والرقاب من كثرة الضرب قد عدمت ونار الحرب قد أوقدت وما خمدت والدماء على الابدان كالاكباد قد جمدت والاعين من كثرة الغبار قد رمدت والرؤس طائرة والسيوف قد لمعت والحادات الحنوق بالنفوس قد حدت ولم ينفع فى ذلك اليوم نصح الناصح ولا نياحة النائح وظهرت القبائح والناجى من ذلك اليوم رابح

(قال الراوى) وقاتلت أصحاب الافيلة قتالا شديدا وقدموا الافيلة وقسموها على أربع فرق فرقة مما يلى الميمنة وفرقة مما يلى الميسرة وفرقة مما يلى القلب وفرقة أمام العسكر وتصايحت النوبة والبجاة والروم فلله در الامير خالد رضى الله عنه لقد قاتل فى ذلك اليوم قتالا شديدا فتارة يكون فى القلب وتارة يكون فى الميمنة وتارة يكون

وصلوا الى عبد الرحمن وعبد الله فضرب الفضل فارسا من احاطوا بعبد الرحمن على رأسه فقطع البيضة والرفادة ونزل السيف الى اضراسه فانجدل صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار قال فلما سقط عدو الله عن جواده ابتدر عبد الرحمن رضي الله عنه اليه فركبه وقاتلوهم قتالا شديدا حتى هزموهم عن أصحابهم *(قال الراوي)* وكانت طائفة من الاوس وهمدان مما يلي الجناح الايسر فحمل عليهم كردوس من الروم والسودان فقال مالك الاشتر رضي الله عنه وقد اثخنوا بالجراحات وتكاثرت الروم والسودان عليهم فأزالوها عن مواضعهم واخرجوهم عن مراتبهم ففروا من بين أيديهم فصاح بهم أبو هريرة وابن عمه عبد الله ومالك الاشتر رضي الله عنهم يا قوم لا تولوا الادبار ولا تفروا من الموت وهو ملاقيكم اتريدون أن تكونوا عارا عند العرب فاعذركم غدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اما سمعتم قوله تعالى فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير الله الله الجنة تحت ظلال السيوف والموعد عند حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلم يلتفتوا الى قولهم ولم يسمعوا كلامهم حتى وصلت الهزيمة الى غانم بن عياض الاشعري وأصحابه والنساء والصبيان

(قال الراوي) فلما رأت النساء تلك الرجال منهزمين صحن في وجوههم وفعلن كما فعلن يوم اليرموك وضربن وجوه الخيل بالاعمدة ونادين الى أين الى أين ما هكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كان يثبت في الحرب ولا يزول ولو انكشف عنه الرجل وانفرد بنفسه وبارزته الابطال لا يولي ولو اشتد القتال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فارجعوا الى الميدان فهناك نعيم الجنان ورضى الرحيم الرحمن قال فرجعوا الى الحرب رقد قاتلت خولة بنت الازور قتالا شديدا قال فلما رأى غانم بن عياض ذلك وكان معه قيس بن الحارث ورفاعة بن زهير المحاربي وخمسمائة من أصحاب الشدة والنجدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضوان الله عليهم اجمعين صاح غانم رضي الله عنه الجنة الجنة يا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال فتواثبوا اليه كالاسود الضارية وحملوا معه حملة واحدة بنية صادقة وثبات قلب فلما رأت الروم ذلك ولوا منهزمين وقتل منهم مقتلة عظيمة

(قال الراوي) ولم يزل السيف يعمل والدماء تنزل والرجال تقتل والابطال تنجدل من ارتفاع الشمس الى وقت العصر وجاء الله بالنصر لأصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم قال وكانت الافيلة تضرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال على ظهورهم يضربون بالنشاب فجاءه مفرج بن عيينة الفزاري الى فيل مقدم الافيلة وطعنه في احدى عينيه فاشتبك الرمح في عينه وخلى مفرج الرمح في عينه فولى ذلك الفيل منهزما والقى ما على ظهره من الرجال فداسهم برجليه فقتلهم قال فتبعته الافيلة جميعا هاربة خلفه وقد القوا ما فوق ظهورهم من الرجال وداسوهم بارجلهم فصاح مفرج باصحابه دونكم وخراطيمها ومشافرها فانها مقاتلها فسارعت بنو فزارة وبنو ذبيان وبنو عبس وجعلوا يضربون اعين الافيلة ومشافرها حتى قتلوا منها مائة وستين فيلا وقتلوا ما على ظهورها من الرجال

(قال الراوي) ولم يزالوا في الكر والفر والقتال الشديد والامر العتيد حتى جاء الليل وحجز بين الفريقين ورجعت الروم والسودان الى اماكنهم ورجع المسلمون الى خيامهم قال فتفقد المسلمون من قتل منهم فاذا هم مائتان واربعون رجلا اكرمهم الله بالشهادة وقضى لهم انهم من اهل السعادة وتفقد المشركون من قتل منهم فاذا هم خمسة آلاف من النوبة والبجاة والروم

(قال الراوي) وبات الفريقان يتحارسان الى الصباح والمسلمون طول ليلهم يدفنون قتلاهم الى ان اصبحوا وهم يقرؤن القرآن ويصلون على محمد سيد الانس والجان صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الى ان اصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح صلى المسلمون الصبح وتاهبوا الى اصطلاح شأنهم واذا بالروم والسودان قد اقبلوا في عددهم وعديدهم وقد اظهروا زينتهم واصطفوا خمسة صفوف كل صف اربعون الفا والرجال بين ايديهم خمسون الفا قال قيس بن علقمة رضي الله عنه لقد دخلت العراق والشام ورأيت جنود كسرى والجراجمة واليرموك واجنادين ورأيت وقعة مصر والقبط وشهدت فتح الاسكندرية ودمياط ما رأيت مثل كثرة الروم والسودان بمرج دهشور ولا شدة قتالهم

(قال الراوي) فلما رأيناهم قد ركبوا ركبنا خيلنا ورتبنا صفوفنا للقتال وركب خالد رضي الله عنه وجعل يتخلل الصفوف ويقول انكم معاشر المسلمين لا ترون بمصر والصعيد جيوشا بعد اليوم اكثر من هؤلاء فان كسرتموهم ونصرتم عليهم فلا تقوم لهم بعد هذا اليوم قائمة ابدا فاصدقوا في الجهاد في طاعة رب العالمين وعليكم بالصبر والنصر لدينكم واياكم ان تولوا الادبار فيعقبكم ذلك دخول النار واصدقوا

المناكب وهزوا القواضب ولا تحملوا حتى آمركم

(قال الراوي) وأما عسكر الروم فإنهم لما رأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تهيؤا للحرب حرض بعضهم بعضا وقال لهم البطريق بطروس أخو بولص المقتول اعلموا أنكم إذا انكسرتم في هذا اليوم لا تقوم لكم قائمة بعد هذه أبدا وتملك العرب بلادكم ويقتلون رجالكم ويسبون نساءكم ويستأسرون أولادكم فعليكم بالصبر ولتكن حملتكم حملة رجل واحد ولا تتفرقوا وقدموا الأثقال أمامكم والرجال خلف ظهوركم واعلموا أن لكل ثلاثين منكم واحدا منهم فاستعينوا عليهم بالصليب فهو ينصركم

(قال الراوي) وأما ما كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن عمرا وخالدا رضي الله عنهما قالا من يكشف لنا عن القوم وثوابه على الله الجنة قال فوثب الفضل بن العباس رضي الله عنه وقال أنا وسار حتى أشرف على القوم ونظر إلى زينتهم وأهبتهم وإلى شعاع البيض والبوارق ولمعان الزرد وخفقان الرايات والأعلام كأجنحة النسور فلما رآه المشركون قالوا هذا فارس من فرسان العرب يريد أن ينظرنا للقوم ولا شك أنه طليعة فأيكم يبتدره فخرج إليه ثلاثون فارسا مسرعين في طلبه مجدين قال فلما رآهم الفضل ولى كأنه منهزم من بين أيديهم وركض قليلا حتى أبعدهم عن أصحابهم ثم لوى عنان جواده نحوهم وعطف عليهم وطعن أول فارس منهم في صدره أخرج السنان يلمع من ظهره ثم فعل بالثاني والثالث كذلك فدخل الرعب في قلوبهم فانهزموا من بين يديه كالغنم فتبعهم وهو يصرع منهم فارسا بعد فارس حتى قتل عشرين فارسا وانهزم الباقون قال فلما قرب الفضل من عسكر الروم كر راجعا إلى المسلمين وأعلمهم بذلك فقالوا لقد خاطرت بنفسك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن القوم طلبوني فاستحييت من الله أن يراني منهزما وقد قال جل من قائل يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فجاهدت بالإخلاص أعداء الله واحتسبت بالله فنصرني عليهم وإنهم لنا غنيمة إن شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(قال الراوي) فعند ذلك تقدم عمرو بن العاص وخالد رضي الله عنهما يرتبان أصحابهما ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين كما تقدم في اليوم الأول فجعلا على الساقة زياد ابن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في ألفي فارس حول الذرية والبنين والأموال وكانت معهم النساء المتقدم ذكرهن في أجنادين واليرموك وهن عفيرة

بنت عفار وام ابان بنت عقبة اخت هند وخولة بنت الازور ومزرعة بنت عملاق وسلمى
بنت زارع ولبنة بنت سوار وسلمى بنت النعمان وهند بنت عمرو زينب الانصارية فهؤلاء
من النساء اللاتى عرفن بالشجاعة فقال لهن خالد يا بنات العرب لقد فعلتن فعلا
ارضيتن به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وقد بقى لكن ذكر يتحدث به
الناس جيلا بعد جيل وأبواب الجنان لكن قد فتحت كما أن أبواب النيران
لاعدائكن سعرت وانى احرضكن اذا جاءت الروم والسودان اليكن ان تقاتلن عن
انفسكن كما فعلتن يوم اجنادين ويوم اليرموك وان رأيتن أحدا قد ولى منهزما
فدونكن واياه بالعمد واشرن اليه بولده وقلن له الى اين تفزع عن أهلك وتولى من
ولدك وحريمك قال فعندها قالت النساء له يا أميرنا يا أبا سليمان ما يفرحنا الا اذا
قدمتنا امامك لنضرب فى وجوه الروم والسودان يمينا وشمالا حتى لا يبقى لنا عذر
قال فشكرهن على ذلك ثم عاد خالد رضى الله عنه الى الصفوف وجعل يجول بينهم
بفرسه ويحرض الناس على القتال وهو يقول أيها الناس ان الله عز وجل قال
فى كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وقاتلوا
من كفر بالله ورسوله واحتسبوا أنفسكم فى سبيل الله فانها خالقه وملكه واصبروا
على قتال اعداء الله وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم ولا تحملوا حتى آمركم وانكس سهامكم
كأنها تخرج من قوس واحد فان السهام اذا خرجت جملة لم يخط منها الا القليل يا أيها
الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون واعلموا انكم
لم تروا بالوجه الجنوبى يعنى الصعيد مثل هذه الفئة لان فيها ملوكهم وبطارقتهم وحماتهم
(قال الراوى) فسمع الناس قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم وقف خالد
فى القلب مع عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن أبى بكر وقيس بن هبيرة ورافع بن عميرة
والمسيب بن نجبة الفزارى وذى الكلاع الحميرى وربيعة بن عامر ومالك الاشتر
والعباس بن مرداس السلمى ونظرائهم من الامراء رضى الله عنهم أجمعين ثم انهم
زحفوا على الروم بسكينة ووقار متوكلين على الواحد القهار العزيز الغفار ويصلون على
نبيه المختار فلما رأت الروم والسودان ذلك من المسلمين زحفوا جميعا فملؤا الارض طولها
والعرض فالتقى الجمعان وتزاحم الفئتان وقد اظهر اعداء الله فى عسكرهم الاعلام
والصلبان ورفعوا أصواتهم بالكفر والطغيان والعدوان
(قال الراوى) فبينما الناس كذلك اذ خرج من الروم راهب كبير السن معظم

عندهم عليه جبة سوداء وقلنسوة وزنار ثم نادى بلسان عربي أيكم الأمير يخرج الى
فيخاطبني لا كلمه فيما يكون بيننا فخرج اليه الامير خالد رضي الله عنه فقال له
الراهب أنت أمير القوم قال خالد كذا يزعمون ما دمت على طاعة الله عز وجل وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم فان أنا غيرت أو بدلت فلا طاعة لي عليهم ولا امارة فقال
له الراهب وبذلك نصرتم علينا ولكن اعلم أيها الامير انك سلكت بلادا ما قدر عليها
أحد من الملوك ولا تعرض اليها أحد ولا دخلها الا أنت وأمثالك وان الملوك قبلك
تعرضوا لها فانقلبوا عنها خائبين والنصر لا يدوم وقد أرسلتني الملوك اليكم ان قبلتم مني
فنجمع لكم مالا جزيلا ولكل واحد منكم ثوب وعمامة ودينار ولك أنت مائة دينار
وعشرة أثواب ولكل واحد منكم حمل من البر وحمل من الشعير ولك عشرة أحمال
ولصاحبكم عشرة آلاف دينار ومائة ثوب ومائة حمل وارحلوا عنا وأنتم موقرون
لانفسكم فاننا عدد الجراد المنتشر ولا تظنونا كمن لاقيتم من الفرس وبلاد الروم وأهل
الشام والقبط فان في هذا الجيش من النوبة والبجاوة والسودان والروم وكبار البطارقة
والاساقفة ما لا يحصى ثم تجمع عليكم بعد ذلك ما لا طاقة لكم به من بلاد السودان
والواحات وبرقة وكانكم بهم وبالنجدة وقد وردت علينا وان بقية الملوك لم تأت
الى الان وانما ارسلوا من يقاتلكم عنهم فقال الامير خالد رضي الله عنه والله ما نرجع
عنكم الا باحدى ثلاث اما ان تدخلوا في ديننا وهو الاسلام فتعصموا منا دماءكم
وأموالكم واما ان تعطوا الجزية عن يد وانتم صاغرون واما القتال بيننا وبينكم حتى
يحكم الله وهو خير الحاكمين واما ما ذكرت انكم عدد الجراد فان الله تعالى وعدنا بالنصر
على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانزل ذلك في كتابه العزيز فقال تعالى يعذبهم
الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويتوب الله على من
يشاء والله عليم حكيم واما ما ذكرت انكم تعطونا من الثياب والعمائم فعن قريب
نسلبكم الثياب والعمائم والبلاد وما فيها وأنتم ملك لنا كما ملكنا الشام والعراق واليمن
ومصر والحجاز وأهلها

(قال الراوي) فلما سمع الراهب ذلك الكلام قال أنا أرجع وأعلم أصحابي بذلك
فاني قد أتيت من قبل البطليوس صاحب مدينة البهنسا وقد أرسلني الى صاحب
اهناس واتفقت الملوك والبطارقة على ذلك وارسلني اليكم وأنا أرجع اليهم واخبرهم
بذلك ثم ان الراهب رجع من حيث أتى واخبر أصحابه بذلك فكاتبوا ملوكهم فأرسلوا

طوالعهم للقتال

(قال الراوى) ثم تقدمت الروم والسودان وقدموا الافيلة وامامهم الرجال بالقسى والسيوف والدرق والكرابيج والمزاريق قال فصاح الفضل بن العباس ورفاعة بن زهير المازنى والقعقاع بن عمرو التميمى وشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقداد بن الاسود الكندى ومعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنهم وقالوا يا معاشر المسلمين ان الجنان قد فتحت لكم والملائكة قد أشرفت والحور العين قد تزينت ثم قرأ قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم قال ثم انهم رتبوا صفوفهم فتقدم خالد وقال لهم افرجوا المناكب واثبتوا واعلموا انهم أكثر منكم وعشرة أمثالكم وأزيد فطاولوهم الى وقت العصر فانها ساعة النصر على اعداء الله واياكم أن تولوا الادبار وتركنوا الى الفرار فتستوجبوا غضب الجبار وازحفوا على بركة الله وعونه

(قال الراوى) وتزاحمت السودان والبربر والنوبة والبجاة فلما التقى الجمعان أرمت أصحاب الافيلة بنشابها فكانت كالجراد المنتشر وانسل المضد رفقتلوا رجالا وجرحوا أبطالا فكان الامير خالد رضى الله عنه تارة يضرب بسيفه فى الميمنة وتارة فى الميسرة وكان فى أصحاب الافيلة من السودان والبربر من أعلى برسوا كن الاقصى سودان يعرفون بالقواد شفة أحدهم العليا مشقوقة وفيها خزام من نحاس فاذا كان وقت الحرب لا يخرجون تلك القواد الا اذا حمى الحرب واشتد الامر وكثر القتل قال وكانوا سودا طوالا كل واحد منهم طوله عشرة أذرع فاذا أرادوا الحرب يجعل كل واحد منهم سلسلة فى ذلك الخزام وهى طويلة مشقوقة نصفين فيمسك كل واحد منهم بطرفها والآخر بالطرف الثانى فاذا زحفوا قدموا تلك القواد عند شدة الحرب فيكبر ذلك ويعظم عند الناس فان لم يصطلم وازحفت القواد وأطلقوا السلاسل ودفعوا لهم أعمدة من الحديد طوالا فيضربون بها الفارس والفرس معا فيقتلونهما ومنهم من يركب الافيلة ويقاتل عليها

(قال الراوى) فلما التقى الجمعان خرجت تلك القواد وعلى أجسادهم جلود النمورة وفوق اكتافهم وعلى صدورهم وفى أوساطهم مثل ذلك وهم عراة الاجساد والرؤس

وبأيديهم الاعمدة والرجال يمسكون تلك السلاسل من النوبة والبجاوة وسودا كن وهم بين الجيوش ينتظرون متى يؤمرون بالحملة قال فلما رأى المسلمون ذلك هالهم أمرهم فمنهم من ثبت جنانه ونفسه ومنهم من فزع

(قال الراوى) ثم برز بطروس أخو الملعون بولص المقتول وهو راكب على جواد عال وعليه تجفاف من جلود الافيلة وقاتل ذلك اليوم قتالا شديدا تارة يضرب بالسيف وتارة يرمى بالنشاب حتى قتل من الاسد ومذحج نحو عشرين فارسا

(قال الراوى) حدثنى خالد بن أسلم عن طريف بن طارف وكان من الاسد قال لما فعل ذلك البطريق ما فعل ولت الاسد من بين يديه منهزمين واذا بفارس قد أقبل يركض جواده وهو عارى الجسد حتى قرب من القوم وهو ينشد ويقول هذه الابيات

لقد ملكت كفى سنانا وصارما * ومازال فيكم يا بنى الكفر هادما
وأتركتكم وسط القتال كالهبا * ترون قتيلا أو أسيرا ومهزما
والافكما لاغنام قلن بقفرة * وأصبح راعيهن عنهن نائما
سيصبح كل منكم عند حتفه * على نفسه يبكى ويأسف نادما
ونحن ليوس ثم أنتم فرائس * سطا كل ليث بالمخالب قاصما

(قال الراوى) ثم صاح أنا ضرار بن الازور أنا قاتل ملوك الشام أنا ناصر دين الاسلام والمتسلط على الكفرة اللئام أنا قاتل بولص الكذاب نزيل النيران ذا الكفر والطغيان قال فلما سمع الروم كلامه عرفوه فتقهقروا منه الى ورائهم فطمع فيهم وحمل عليهم فقال بطروس من هذا البدوى الذى لم يزل عارى الجسد ويقاتل بالسيف مرة وبالرمح اخرى قالوا هذا ضرار بن الازور فصيرا الملعون وقال هذا قاتل اخى ولقد اشتهيت أن آخذ بثارى ثم انه عزم على الخروج اليه فسبقه دلاص رأس بطارقة الكورة وقال أنا آخذ بثارك منه

(قال الراوى) ثم انه حمل على ضرار وحمل ضرار عليه فتجاولا طويلا واعتركا مليا فما كان أكثر من ساعة حتى طعنه ضرار طعنة صادقة فى صدره فخرقت الدرع وخرج السنان يلمع من ظهره فانجدل صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرارة قال بطروس هذا اما هو الاجنى وليس للانس بقتال الجن طاقة

(قال الراوى) ثم انه لبس لامة حربه وتعصب بعصابة من اللؤلؤ الرطب ولبس من فوق درعه مثله وخرج يطلب الرهبة على ضرار بعد أن ركب جوادا أشقر طاليا من

حضرات الخيل وهم ان يرمح عليه قال فسبقه شوماد رس أحد بطارقة الكورة وحلف لا يخرج اليه أحد غيري ثم انه أطلق جواده فخرج من تحته كالبرق الخاطف وحمل على ضرار رضي الله عنه وقال دونك والقتال قال فلم يمهله ضرار فيما يقول ثم انه حمل عليه قال فأخرج البطريق صليبا من الذهب كان معلقا في عنقه وجعل يقبله فضحك عليه ضرار رضي الله عنه وقال له أنتم تستعينون بالصلبان ونحن نستعين عليكم بالله الواحد الديان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال ثم ان كل واحد منهما أورى صاحبه من الحرب ما ادهش الناظرين قال فصاح عمرو وخالد وبقية الامراء رضي الله عنهم ما هذه الفطرة يا ضرار والجنة قد فتحت لك والنار أضرمت لاعدائك

(قال الراوي) فاستيقظ ضرار رضي الله عنه وحمل على البطريق وصاحت الروم بصاحبهم وصارا في حرب عظيم وحميت عليهما الشمس واشتدت نار الحرب بينهما حتى كل منهما الساعدان وعرق من تحتهما الجوادان قال فأشار البطريق الى ضرار أن يترجل ويترجل البطريق شفقة منه على جواده واذا بفارس من بطارقة أهناس قد أخرج له جوادا مجللا بالحرير فركبه قال فلما نظر ضرار الى ذلك صاح بجواده وأمره في اذنه وقال له اثبت معي في هذه الساعة والا شكوتك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذرفت عين الجواد بالدمع وحمحم وجرى أقوى من جريه المعتاد قال والتقيا ضرار والبطريق وحمل عليه وطعنه بعقب الرمح فأرداه وأخذ جواده وأراد قتله واذا بكردوس عظيم قد خرج من الروم ومعهم الملك الكبير روشال ملك الاشمونين وأحاطوا بضرار وكان على رأس روشال تاج من الذهب قال فلما رأى الامراء رضي الله عنهم خروج ذلك الكردوس ونظروا الى التاج وهو يلمع خافوا على ضرار فقالوا لخالد رضي الله عنه ما يقعدنا عن نصرة صاحبنا وقد أحاطت به الروم قال فعندها اخرج خالد رضي الله عنه في عشرة من خيار قومه وهم الفضل بن العباس بن عبد المطلب وأخوه عبد الله بن العباس وجعفر ومسلم وعلي أولاد عقيل بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر ابن أبي طالب وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله ابن عمرو بن العاص وعبد الله بن المقداد بن الاسود الكندي رضي الله عنهم أجمعين قال وأطلقوا الاعنة وقوموا الاسنة بعد أن أحاطت الروم بضرار وقد صبر لهم صبر الكرام الى أن وصلت اليه تلك الامراء رضي الله عنهم وقالوا له ابشر يا ضرار فقد أتاك الله بالفرج وأذهب عنك الضيق والخوف والحرج فلا تضعف من الكفار واستعن

بالله الواحد القهار فقال ضرار ما أقرب فرج الله عند الشدة

(قال الراوى) فلما التقت الرجال بالرجال ومالت الابطال بالابطال جال الامير خالد رضى الله عنه فى الميدان وطلب صاحب التاج وضرار مع خصمه وقد اراد الهرب منه فعندها القى ضرار نفسه من اعلى جواده وتبعه حتى لحقه ثم انه رمى الرمح من يده وتواخذا بالمناكب وتصارعا قال وكان عدو الله كانه قطعة من جبل وضرار نحيف الجسد غير ان الله اعطاه حيلا وقوة وهيبة وشجاعة

(قال الراوى) فلما طال بينهما العراك ضرب ضرار يده فى مراق بطن عدو الله وجذبه الى الارض ورفعه على يده ثم جلد به الارض فصاح عدو الله يستنجد بالبطارقة قال فعندها تصارخت الروم والسودان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يمهل ضرار دون ان برك على صدر عدو الله وهو يعج تحته كالبعير قال فعندها اظهر ضرار سيفه ومكنه من نحر عدو الله فذبحه فصرخ صرخة سمعها العسكران قال فلما رأت الروم والسودان ذلك حملوا بعددهم جميعا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وضرار رضى الله عنه قد احتز رأس عدو الله وقام عن صدره وهو ملطخ بالدم ثم ركب جواده وكبر وكبرت المسلمون واختلط العسكران ودنا الفريقان بعضهما من بعض والتحمت الابطال وقوى القتال وعظم النزال وسال العرق وقلبت الحدق وعظمت الرزايا وكثرت البلايا واظلمت الدنيا ودارت راحات الحرب وقوى الطعن والضرب وضاقت الصدور واشتدت الامور وضاقت المذاهب وتقطعت المناسب فلا ترى الا دما فائرا وكفا طائرا وجوادا غائرا هذا وقد زحفت السودان واصحاب السلاسل اللئام وضربوا بالعمد الحديد وكان ذلك اليوم هو اليوم الشديد وبانت الشجعان وفر الجبان حيران هذا وعمرو بن العاص رضى الله عنه يحرض الناس على عادته فى القتال ويقول ايها الناس اذكروا غرف الجنان يا حملة القرآن يا صوام شهر رمضان فازدادوا نشاطا وقويت قلوبهم قال وسارت السودان يضربون الفارس والفرس فيقتلونهما معا وهم اصحاب السلاسل وكذلك اصحاب الاقفلة يرمون بالنشاب ويضربون بالحراب الى وقت العصر وقد قتل من الفئتين خلق كثير هذا وقد ظفر خالد رضى الله تعالى عنه بخصمه روشال المخذول المذلول فضربه بالسنان فى صدره فخرج يلمع من ظهره فوقع على الارض صريعا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار

(قال الراوى) فلما عظم البلاء قام رفاعة بن زهير المحاربى فانتخب من لبيد وبنى

مالك وسحارب خمسمائة فارس وقصد الافيلة وقال يا وجوه العرب دونكم واعينها قال ودنا من الفيل الابيض الاعظم وهو امام الافيلة ومقدم خمسمائة فيل وتقدم اليه والسيف في يده وهو ينشد ويقول

يا لك من ذي جثة كبيره * لقيت كل كربة خطيره
اليوم قد ضاقت بك الحظيره * حتى ترى ملقى لدى الحظيره

قال ثم ضربه بالسيف في مشفره فولى هاربا وبرك وكان عليه علج من السودان في قبة من اديم قال فلما برك الفيل في الارض قام العلج الذي كان على ظهره وفي يده عمود وضرب به رفاعة فزاغ منه فضربه رفاعة بالسيف في عاتقه الايمن فخرج يلمع من عاتقه الايسر فسقط عدو الله يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار قال وتلاحقت العرب باصحاب الافيلة وساروا يطعنون الافيلة في اعينها فولت الافيلة منهزمة

(قال الراوي) وتقدم خالد والمقداد والامراء الذين مضى ذكرهم رضي الله عنهم الى القواد الذين ذكرناهم وقصدوهم وطلبوا النصر والثبات من الله رب الارض والسموات بارئ البرايا وصاروا يأتونهم فارسا عن اليمين وفارسا عن الشمال فيقبضون مسالك السلاسل ثم يمسكون باطراف السلاسل ويطلقون اعنة خيولهم فينقادون معهم كالابل الشاردة ثم يأخذون الاعمدة التي في ايديهم ويقتلونهم اشر قتلة قال فلم يزل القوم في قتال ونزال وجدال حتى جاء الليل وحجز بين الفريقين وقد قتل من الفئتين خلق كثير فاما المسلمون فاستشهد منهم مائة وخمسة وثلاثون رجلا فالسادات منهم مروان بن مصعب وسنان بن نافع وحنظلة بن نافع ومالك بن راشد وخزام بن سعد وحازم بن حازم والبقية من اخلاط الناس وقد اختصرنا في اسمائهم خوف الاطالة وقتل من الروم والسودان اثنا عشر ألفا ومن الملوك والبطارقة خمسة عشر وبات الفريقان يتحارسان الى الصباح

(قال الراوي) وكان قد اثخن بالجراح جماعة من المسلمين في ذلك اليوم فكانت طائفة من المسلمين يدفنون القتلى وطائفة يداوون الجرحى وطائفة يقرؤون القرآن وطائفة يصلون وطائفة نيام واما خالد والمقداد بن الاسود الكندي والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهم وغيرهم من اصحاب الهمم يدورون حول جيش المسلمين الى الصباح

(قال الراوى) فلما لاح الصباح ونادى المؤذن حى على الفلاح قام المسلمون الى الصلاة بحضور قلوبهم وخلوص نياتهم وصلى عمرو بن العاص رضى الله عنه بالناس صلاة الصبح وقد اجرى الله على لسانه سورة الفتح بعد الفاتحة فى الاولى وسورة الصف فى الثانية ثم توجهوا الى الله عز وجل يسألونه ان يرزقهم النصر على الاعداء قال فلما فرغوا من الصلاة أسرعوا الى خيولهم فركبوها والى سيوفهم فتقلدوها والى رماحهم فاعتقلوها وأنفسهم لله عز وجل باعوها ورتبوا صفوفهم واقبلت الامراء يحرضون الناس على القتال وقد جعلوا على الساقة رافع بن عميرة الطائى والحارث ابن قيس ورفاعة بن زهير فى خمسمائة فارس

(قال الراوى) حدثنا عبادة بن رافع قال حدثنا سالم بن مالك عن عبد الله بن هلال وكان فى خيل رافع قال لما ترتبت الصفوف والتقى الجمعان وكثر القتال وكل قد اشتغل بنفسه ونحن نذب عن النساء والصبيان الذين تقدم ذكرهم ونقاتل اشد القتال اذ خرج كردوس عظيم من البطارقة والسودان والجبابرة ومعهم نحو ألف وستمائة فارس ومعهم الاثقال ونحن غافلون من شدة القتال وقد اقتطعوا قطعة كبيرة من الابل والرجال والنساء والصبيان زهاء عن الفى بعير ومائتى امرأة واخذوا المتاع وغير ذلك وكان فى تلك القطعة زيد بن رباح البكرى وعباد بن العاصم الفهرى ومعهم مائة فارس قال فقتلوا قتالا شديدا حتى اثخنوا بالجراح وقاتلت النساء بالاعمدة والسيوف والخناجر أشد القتال فلله در عفيرة بنت عفار وسلمة بنت زاهر وامثالهن لقد قاتلن قتالا شديدا حتى ضربن بالسيوف على رؤسهن وسال الدم على وجوههن وهن ينادين الله الله يا بنات العرب قاتلن عن انفسكن وأولادكن والذرارى والا صرتن بأيدى العلوج والسودان فقاتلن فاما أن يجعل الله فرجا ومخرجا واما الشهادة قال وقتل من المسلمين خمسة عشر فارسا ختم الله لهم بالشهادة وفازوا بالسعادة

(قال الراوى) وساق الروم تلك النساء والصبيان فرجع فارس من الصحابة الى خالد رضى الله عنه فأخبره بذلك وهو فى أشد القتال قال فصاح المسلمون وخرج جماعة من الامراء من وسط المعركة وهم الفضل بن العباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن ابى بكر الصديق وزياد بن ابى سفيان وعبد الله بن طلحة وضرار بن الازور وجماعة من الامراء رضى الله عنهم ولحق بهم ستمائة فارس من صناديد العرب فادركوا اوائل الخيل يريدون عسكر الروم قال فصاح ضرار والفضل بن العباس الى

أين يا أعداء الله تذهبون قال فتراجعت الروم والسودان واقتتلوا قتالا شديدا فابتدر ضرار مقدام السودان وطعنه في صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وكذلك الفضل رضي الله عنه تقدم الى بطريق عظيم وطعنه في لبته أطلع السنان يلمع من نقرة قفاه فانجدلا صريعان يخوران في دمهما وعجل الله بروحهما الى النار وبئس القرار

(قال الراوي) وتواثبت الامراء كالاسود يقتلون ويأسرون حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة قال فلما رأت الصحابة ما حل بقومهم ألقوا ما في أيديهم من الغنيمة وعمد الفرسان الى العدو وردوا السبي والحريم وخلصوا أسارى المسلمين وساعدتهم النساء بالاعمدة والسيوف والخناجر وكانت النساء يضربن وجوه الخيل بالاعمدة والسيوف فتنكبوا بأصحابها فتتعلق المرأة بالفارس وتجذبه الى الارض وتقتله حتى قتلن من الروم جماعة كثيرين والسودان والبجاة وغيرهم

(قال الراوي) فلما رأت الروم وغيرهم ذلك ولوا الادبار منهزمين وتبعتهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى قتلوا منهم خلقا كثيرا أيضا وأسروا منهم نحو سبعمائة من الروم والسودان ورجعوا وقد غنموا خيامهم وسلاحهم وأسلابهم

(قال الراوي) هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر العسكر فانهم لم يزالوا في قتال شديد وأمر عتيد وضرب وطعن وقتل رجال وفرسان وأبطال وقد قام الحرب على ساق وضربت الاعناق وجالت الفرسان وصالت الشجعان وولى الجبان حيران ودارت رحات الحرب واشتد الطعن والضرب وقطعت المعاصم وطارت الجماجم وحامت طيور المنايا وحلت بأهلها الرزايا واشتد الزحام وعظم المرام وحام حاسر الحمام وضاقت الصدور واشتدت الامور وثار الغبار وقل الاصطبار وقاتلت الامراء بالرايات وخفقت الاذيات وبربرت السودان بلغاتها وصاحت الروم بأصواتها وضربت ببوقاتها وطعنت بحرابها ورمت بنشابها فحارت الافكار وعميت الابصار وثار الغبار وأظلم النهار ونادى المنادي يا معاشر المسلمين في ذلك اليوم الصبر الصبر يأتي نصر الله انزل وصبر المسلمون صبر الكرام يريدون بذلك وجه ذي الجلال والاكرام فلله در الفضل بن العباس والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود الكندي وعقبة بن عامر والمسيب بن نجبة الفزاري ومثل هؤلاء السادات ونظرائهم من الامراء رضي الله عنهم فلقد قاتلوا قتالا شديدا

(قال الراوي) وكان ذلك اليوم يوم بلاء وابتلى الله المؤمنين فيه بلاء حسنا فغفر الله

لهم ذنوبهم وطهر قلوبهم وأكرمهم بالشهادة وبلغهم الحسنى وزيادة والحقهم بشهداء العصر المتقدم وهو عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأما خالد بن الوليد وعمرو ابن العاص والقعقاع بن عمرو وسعيد بن زيد رضى الله عنهم لقد كانوا يقاتلون قتال الموت

(قال الراوى) وزحفت الافيلة برجالها وقاتلت الروم وأبطالها والسودان وأفيالها ولقد كانت الافيلة تعطف على خيل العرب والرجال الذين هم فوق ظهورها يرمون المسلمين بالنشاب فيخرج كالجراد المنتشر فتلفت فى ذلك اليوم عيون كثيرة فما كنت تسمع الا صليل السيوف ووقع الاسنة فهذا يصيح واعيناه وهذا يصيح وايداه والافيلة تحطم الرجال والسودان يرمون الابطال

(قال الراوى) فلما رأى ذلك رفاعة بن زهير المحاربى رضى الله عنه وقد اشتد الحال على المسلمين أقبل على عمرو وخالد رضى الله عنهما وقال لهما أيها الاميران ان دام هذا الامر والحال كذلك هلكنا عن آخرنا فقال له خالد فما الرأى يا أبا حازم قال رضى الله عنه الرأى أن نجمع هذه الرماح ونجعلها رشا ودهنا ونجعلها على رؤس الرماح ونجعل فى أعلاها نارا ثم نأمر رجالا يحشون القيصوم وغيره ونجعله فى غرائر على ظهور الجمال عريا ونشغل القوم بالقتال ثم تأتى الفرسان بأمعهم وتسوق عليهم الجمال وتشعل النار وتضع الحراب فى أجناب الابل فاذا أحست الجمال بالنار حطمتهم فلا يصبرون على ذلك والمعونة من الله عز وجل

(قال الراوى) فعندها استصوب عمرو وخالد رأيه وشكراه على ذلك واعدوا برأيهم جميعا لذلك الامر رجالا يشغلونهم فيه والحرب قائم فلم تكن الا ساعة حتى تهيأت تلك المكيدة واجتمع من الابطال ألف فارس ووضعوا تلك الهدوم فى الزيت والدهن والنار على رؤس الاسنة وملؤا الغرائر بالقيصوم وغيرها ووضعوها على ظهور الجمال واشعلوا فيها النار ووضعوا الحراب فى أجناب الابل قال فلما أحست الابل بالحراب فى أجنابها والنار على ظهورها حطمت على الروم والسودان فلما رأت الافيلة ذلك طارت عقولها فقطعت سلاسلها وداست قوادها وألقت ما على ظهورها من الرجال وداستهم بأخفافها وجفلت خيول الروم وبراذينهم وهربت بغالهم ورجالهم

(قال الراوى) فوضع المسلمون السيوف فى أعداء الله وطعنوهم بالرماح ورموهم بالنشاب قال المسيب بن نجية الفزارى رضى الله عنه لقد رأينا طيورا انقضت علينا

مثل النسور فكان الطائر منهم يرفرف بجناحيه على وجه الكافر ورأسه ثم يضع مخالبه في عينيه فيرميه الى الارض قال فلم تكن الا ساعة وذلك بعد صلاة العصر حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاؤا ويأسرونهم كيف شاؤا حتى جاء الليل واظلم الجو

(قال الراوى) فوصلت الهزيمة الى القرية المعروفة بالدير والى اللاهون والى اهناس والى هيدوم وتبعهم الصحابة في تلك الليلة كلها وقد تفرق شملهم وتبدد جمعهم واسروا منهم نحو خمسة آلاف فارس فرموهم من خيولهم وقتل منهم ما لا يحصى عددا قال رافع بن أسد الجرهمى فلما رجعنا الى المعركة وجدنا الارض قد امتلأت من القتلى من الروم والسودان والبجاة وغيرهم قال واختلط فيهم جماعة من قتلى المسلمين فلم يعرفوا منهم وكان بأيديهم صلبان والمسلمون ليس لهم ذلك فميزناهم منهم وجمعنا جريد النخل والقصب ووضعنا على كل قتيل جريدة أو قصبة وذلك في مكان المعركة ثم جمعناهم وأحصيناهم فاذاهم تسعون ألفا وقتل منهم في الجبال والطرقات ما لا يحصى وتفقد المسلمون من قتل منهم فاذاهم خمسمائة وخمسة وثلاثون من الامراء واخلاط الناس وقد اختصرنا في اسمائهم والقابهم خوف الاطالة

(قال الراوى) وجمع المسلمون الغنائم والاموال ثم قسموها واخرج عمرو بن العاص رضي الله عنه الخمس لبيت المال وكتب كتابا لامير المؤمنين عمر بن الخطاب بالفتح والنصر وما جمعه من الخمس واستدعى بالأمير هاشم بن المرقال وضم اليه ثلاثين فارسا من خيار الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وأمره بالمسير الى المدينة وأقام المسلمون بالمرج بعد الوقعة خمسة أيام حتى استراحوا وجفت جراحاتهم ورجع من كان خلف المنهزمين قال ثم ان الصحابة رضي الله عنهم اجتمعوا ودخلوا على عمرو بن العاص رضي الله عنه واستأذنوه ان يسيروا الى الوجه القبلي فأذن لهم وودعهم وودعا لهم وقال يعز على فراقكم ولولا ان امير المؤمنين لم يأمرني بالمسير لما فارقتكم قال ثم انه رجع بثلاثة آلاف فارس ومائة وعشرين فكان جملة من قتل من الصحابة ثمانمائة وثمانون رجلا ختم الله لهم بالشهادة وفازوا بالسعادة وقيل ألف وقيل تسعمائة وأربعون على اختلاف الروايات والله أعلم

(قال الراوى) رحمه الله ما انخدت في هذا الكتاب العجيب والفتوح المطرب الغريب الذى لم يجمع مثله الا على قاعدة الصدق والمعونة من الله تعالى لما ملكت المسلمون

البلاد ذات اهم العباد وذات لهم أهل الكفر والفساد والعناد فهم الرجال الاخيار والسادة الامراء الابرار والمهاجرون والانصار أصحاب محمد النبي المختار الذين فتحوا بسيوفهم الامصار وأذلوا الطغاة والكفار وأرضوا بفعالهم العزيز الغفار وباعوا أنفسهم لله الواحد القهار بجنات تجري من تحتها الانهار

* (قال الراوى) * ولما رجع المنهزمون الى البطارقة والملوك وأخبروهم بذلك وقع الرعب في قلوبهم وحاروا في أمورهم ولم يدروا ما يدبرون وما يصنعون قال وعظم ذلك على بطريق اهناس وعلى البطلوس صاحب البهنسا ما جرى على بطارقتهما فعولوا على الحصار وصاروا يخزنون ما يحتاجون اليه وقالوا لا بد للعرب أن يملكوا أرضنا وبلادنا وتيقنوا بذلك وكذلك بطارقة الصعيد وملوكهم وضاقت عليهم أنفسهم

* (قال الراوى) * ووصل الكتاب بالاسارى والغنائم الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففرح بذلك فرحا شديدا وقرأ الكتاب على علي بن أبي طالب وعلى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم أجمعين قال ففرحوا بذلك فرحا شديدا وحمدوا الله تعالى لظهور دين الاسلام وقسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الغنائم على اهل المدينة وقسم لنفسه كاحد الناس من المسلمين ثم كتب جواب الكتاب وختمه ودفعه الى هاشم بن المرقال وأمره أن يدفعه الى عمرو بن العاص رضي الله عنه وأمره في كتابه هذا بالحث على فتح الصعيد

* (قال الراوى) * واما عمرو بن العاص رضي الله عنه فانه لم يرجع الى مصر حتى قسم الغنائم بين اصحابه وتفقد أهل البلاد وأهل السابقة ورجع الى مصر بعد ان جهز العساكر للرحيل

* (قال الراوى) * ولما فارق عمرو بن العاص خالدا والصحابة رضي الله عنهم أجمعين استشار بعضهم بعضا الى أي جهة يقصدون فاتفق رأيهم انهم يوجهون طائفة ألف فارس ويؤمرون عليهم قيس بن الحارث ومعه جماعة من امرائهم وهم رفاعة بن زهير المحاربي والقعقاع بن عمرو التميمي وعقبة بن عامر الجهني وذو الكلاع الحميري رضي الله عنهم فيسيرون وسط البلاد فمن أطاعهم وطلب الامان امنوه ووضعوا عليه الجزية ومن أبى قاتلوه ومن أسلم تركوه

* (قال الراوى) * وسار خالد وبقية الجيش يريدون مدينة اهناس فانها كانت

أعظم مدائن الوجه القبلي بعد البهنسا والمكورة وكانت حصينة آهلة بالخيل وأنواع الآلات

(قال الراوي) فلما احس ملك اهناس بمسير الصحابة اليه رضوان الله عليهم جمع البطارقة بعد أن انكسرت جنودهم وخمدت نيرانهم وكاتبهم بانهزام جيوشهم وشاوروهم في أمره وقال لهم خذوا أهبتكم وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم والا صرتم عبيدا للعرب يفعلون بكم ما يشاؤن كما فعلوا بغيركم وان أردتم معهم صلحا صالحناهم حتى تنظروا ما يكون من أمرهم قال وما أراد الملعون المفتون الجبار المغبون بذلك الا ليختبر بطارقته وشدتهم قال فأجابوه وقالوا لا نسلم بلادنا الا بعد الغلبة ونجمع أموالنا في هذه المدينة الحصينة ونقاتل فان غلبناهم والا نحن على الحصار فيها قال واتفق رأيهم على ذلك فكان من وافقهم على ذلك خرج اليهم بماله ونفسه ومن لم يجبهم اقام في محله وكذلك بطارقة البهنسا منهم من رحل الى البهنسا ونقل أهله وأولاده وماله اليها منهم من اقام في بعض المدائن حتى عولوا على الاقامة والقتال والحصار

(قال الراوي) وسار خالد رضي الله عنه بالجيش حتى قرب من اهناس وبين يديه الطلائع من الامراء رضي الله عنهم اجمعين وهم يشنون الغارات على السواحل والبلاد فمن خرج اليهم وصالحهم صالحوه وعقدوا معه صلحا ولهم عليه الميرة والعلوفة والضيافة ومن أبى دعوه الى الاسلام فان أبى طلبوا منه الجزية فان أبى قاتلوه وصاروا يشنون الغارات حتى وصلوا قريبا من اهناس قال وبلغ الخبر الى عدو الله فقال لابد من لقائهم وقتالهم حتى انظر ما يكون من امرهم ثم انه خرج الى ظاهر المدينة بجانب السور ولم يبعد عنها

(قال الراوي) وكان للمدينة اربعة ابواب فاغلق ثلاثة أبواب وفتح الباب الشرقي واخرج الخيام والسرادقات وأكثر من الزينة والعدة وقال ان دخلنا المدينة من غير قتال تطمع العرب فينا ثم انه فرق بطارقته واعرض جيشه فكانت عدتهم خمسين ألفا وقال لهم اثبتوا وقاتلوا وذبوا عن حريمكم وأولادكم والا تكونوا أول من انخذل واقاموا يتهيؤن وينتظرون قدوم الصحابة رضي الله عنهم

(قال الراوي) واما خالد رضي الله عنه فانه لما قرب من اهناس استدعى بالزبير ابن العوام رضي الله عنه وضم اليه ألف فارس من الامراء وغيرهم وأمره بالمسير (ثم) استدعى بالفضل بن العباس رضي الله عنه وضم اليه ألف فارس وأمره بالمسير على

اثر الزبير بن العوام (ثم) استدعى بميسرة بن مسروق العبسى رضى الله عنه وضم اليه الف فارس وسيره على اثر الفضل بن العباس (ثم) استدعى بزياد بن ابى سفيان رضى الله عنه وضم اليه الف فارس وسيره على اثر ميسرة (ثم) استدعى بالمقداد رضى الله عنه وضم اليه الف فارس وسيره على اثر زياد (ثم) استدعى بمالك الاشتر رضى الله عنه وضم اليه الف فارس وسيره على اثر المقداد

(قال الراوى) وسار خالد رضى الله عنه ببقية الجيش وبه قال حدثنا عون بن سعيد قال حدثنا هاشم بن نافع عن رافع بن مالك العدوى قال كنت فى خيل الزبير بن العوام فلما توسطنا البلاد فرّ منا أهلها فشننا الغارة على السواحل فوجدنا قطيعا من البقر وقطيعا من الغنم ومعهم رعاة فلما احسوا بنا تركوها وذهبوا فسقناها ثم سرنا قليلا واذا نحن برجال ونساء وصبيان وهم نصارى من الروم وغيرهم وقد حملوا امتاعا واثاثا فلما رأونا فروا من بين ايدينا وكان معهم عشرون فارسا من العرب المتنصرة من لخم وجذام وغيرهم ونحو ثلاثين فارسا من البطارقة ومعهم بطريق عظيم وعليه الزينة قال فلما ابصرونا فروا من بين ايدينا فبادرنا وشننا عليهم الغارة فما كان غير قليل حتى ادركناهم وقبضنا عليهم وسألناهم فقالوا انهم من قرى شتى وانهم يريدون مدينة اهناس فعرضنا عليهم الاسلام فامتنعوا فاردنا قتلهم فمنعنا الزبير رضى الله عنه من ذلك وقال حتى يحضر خالد رضى الله عنه وينظر فى أمرهم قال وسرنا حتى اذا كنا قريبا من اهناس ورأينا المضارب والخيام والسرادقات

(قال الراوى) فاعلن الزبير رضى الله عنه بالتهليل والتكبير والصلاة على محمد البشير النذير قال وكبرت المسلمون حتى ارتجت الارض لتكبيرهم وخرجت الروم الى ظاهر خيامهم ينظرون الينا وعدو الله مانوس المنحوس بن ميخائيل الضليل بن اهناس ينظر اليهم والحجاب وارباب الدولة والبطارقة حوله وعليهم اقبية الديباج وعلى رؤسهم التيجان المكللة بالدر والجوهر وبأيديهم اعمدة الذهب والسيوف يحجبونه عن يمينه وشماله

(قال الراوى) فلما اقبلنا عليهم تصايحوا علينا وطمطموا بلغاتهم واعلنوا بكلمة كفرهم واستقلونا فى أعينهم قال فلما قرب الزبير رضى الله عنه من القوم هز الراية وانشد يقول شعرا

أيا أهل اهناس الطغاة الكوافر * ويا عصبة الشيطان من كل غادر

اتتكم ليوث الحرب ساداة قومها * على كل مشكور من الخيل ضامر
فان تخبروا سوف تلقون ذلة * ونقتل منكم كل كاب وفاجر

(قال الراوي) ثم نزل قريبا من القوم فلم يكن غير قليل حتى اقبل الفضل بن العباس وحوله السادات والامجاد من بني عمه رضي الله عنهم قال فكبر وكبر واممعه ثم انه هز الراية وانشد يقول هذه الابيات

أيا أهل اجناس الكلاب الطواغيا * اتتكم ليوث الحرب تفني المعاديا
فقروا بأن الله لا رب غيره * والا تروا أمرا عظيما مدانيا
وقروا بأن الله أرسل أحمدا * نذاكريما للخلائق هاديا
والا ابدنا كم بحد سيوفنا * ونقتل منكم كل من كان باغيا

(قال الراوي) ثم نزل قريبا من اصحاب الزبير رضي الله عنه فلم تكن الا ساعة وقد اقبل ميسرة بن مسروق العبسي رضي الله عنه فكبر وكبر اصحابه رضي الله عنهم واعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير فهز الراية وانشد يقول هذه الابيات

اتينا الاجناس بكل غضنفر * على كل ممدوح من الخيل جيد
فان هم اطاعونا شكرنا فعالهم * والا ابدناهم بكل مهند
ونخرب اجناسا ونقتل اهلها * اذا خالفوا دين النبي محمد

ونزل قريبا من الفضل رضي الله عنه فلما كان قريب غروب الشمس اقبل زياد بن أبي سفيان بن عمه رضي الله عنهم أجمعين فكبر وكبر أصحابه وأجابهم اخوانهم المسلمون بالتكبير والتهليل ثم انه هز الراية وانشد يقول هذه الابيات

هلموا الى اجناس يا آل هاشم * ويا عصبة المختار نسل الاكارم
فدونكم ضرب الحسام بنصرة * وقطع رؤس ثم فلق جماجم
انصروا دين الهاشمي محمد * نبي الهدى المبعوث من نسل هاشم

(قال الراوي) وبات اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤن القرآن ويصلون على محمد سيد ولد عدنان وهم يتحارسون حتى لاح بارق الفجر ثم اقبل المقداد باصحابه رضي الله عنهم فلما قربوا من القوم كبر وكبر المسلمون رضي الله عنهم معه ثم انه هز الراية وانشد يقول هذه الابيات

أنا الفارس المشكور في كل موطن * وناصر دين الهاشمي المؤيد

لعلى انال الفوز عند إلهنا * ويا فوز من أضحى نزيل محمد
ونقتل عباد الصليب جميعهم * باسمر خطى وعضب مهند

(قال الراوى) ونزلوا قريبا من الفضل قال وتكاملت امراء القوم المتقدم ذكرهم رضى الله عنهم اجمعين فلما رأتنا اهل الناس ظنوا ان ليس غيرنا يأتيهم واقمنا ذلك اليوم لا نكلمهم ولا يكلموننا فلما كان اليوم الثانى عند طلوع الشمس واذا بغبار قد طلع وقتام قد ارتفع ثم انكشف عن خيول عربية وبيض عادية ودروع داوديه وسيوف هنديه ورماح خطيه وابطال حجازيه ورايات اسلاميه واعلام محمديه ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والتوحيد والتقديس والتمجيد والتحميد لله العظيم والصلاة على المخصوص بالفتح المبين والنصر العزيز محمد الممدوح من الله بالتأييد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لا تنقضى ولا تبيد ويسعد بها كل سعيد وتفيد كل مستفيد وأجابهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهليل والتكبير وقالوا ما ابركه من صباح ثم خرجت الامراء لالتقائهم قال واذا فى أوائلهم الفارس الشديد والبطل الدرغام الصنديد سيف الله فى أرضه أبى سليمان خالد ابن الوليد رضى الله عنه والى جانبه غانم بن عياض الاشعرى وأبو ذر الغفارى وأبو هريرة الدوسى وبقية الامراء والمهاجرين والانصار

(قال الراوى) فلما رأت الروم الكفار اللئام أهل دين الاسلام وما عليهم من الوقار والاحتشام وما علاهم من النور التمام تغيرت منهم الالوان وعلاهم الذل والهوان ودخل الرعب فى قلوبهم فنزل خالد ومن معه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم قريبا من الناس أيضا وتفرق كل أمير فى مكان بأصحابه وأقاموا ذلك اليوم فلما كان اليوم الثانى جمع خالد الامراء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم اجمعين واستشارهم فيمن يمضى الى ملك الناس فقال المقداد رضى الله عنه أنا له فقال له خالد بارك الله فيك وعليك أنت له وخذ معك من شئت قال فأخذ معه ضرار بن الازور وميسرة بن مسروق العبسى رضى الله عنهم وقال لهم خالد رضى الله عنه ادعوه اولا الى الاسلام فان ابى فيعطى الجزية فان أبى فالقتال ونرجوا ان يكون غنيمة لنا ان شاء الله تعالى وانظروا كيف تكونون عند رد الجواب وتوكلوا على رب الارباب وخذوا حذركم منهم على أنفسكم قال فساروا حتى قربوا من عسكر الروم ودانوا من خيامهم الخيام والمضارب والسرادقات

فصاحت بهم الحجاب من تكونوا قالوا نحن رسل الامير خالد رضي الله عنه قال فاعلموا
البطريق بذلك فأمر باحضارهم فلما وصلوا قريبا منه صاحت بهم الحجاب والنواب
ان انزلوا عن خيولكم فلم يلتفتوا الى قولهم ولم ينزلوا عن خيولهم الا على سرادقات
الملك فوقفوا على الباب فاستأذنوا لهم بالدخول فدخلوا عليه وقد اطلقوا لجم الخيل
فأراد الغلمان ان يمسكوها فامتنعوا من ذلك فأشار اليهم البطريق فتركوها
ثم دخلوا عليه فاذا هو جالس على سرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والياقوت
والجوهر وحوله البطارقة جلوس والحجاب وأرباب الدولة قيام بين يديه وبأيديهم
السيوف مجذبة والعمد والاطبار قال فلما رآهم تغير لونه واخذته الدهشة فأذن لهم
بالجلوس فقالوا لا نجلس على هذا الفراش لانه حرام علينا فأمر ببسط الحرير فرفعت
ثم فرش انطاعا وبسطا من صوف ثم اشار اليهم ان اجلسوا فقالوا لا نجلس حتى تنزل
عن سريرك هذا وتكون معنا على هذا الفراش قال فطمعت الروم بقتلهم وأرادوا
ان ينزعوا سيوف أصحاب رسول الله فامتنعوا من ذلك رضي الله عنهم فأشار الملك الى
الروم ان اسكتوا فسكتوا وكلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلسوا فأبوا
الا ان ينزل عن سريره قال فنزل وجلس معهم وكلمهم بلسان عربي وسألهم عن حالهم
فأجابوه انهم لا يفارقونه حتى يسلم هو وقومه أو الجزية أو القتال فامتنع من ذلك
وقال اذهبوا فالموعد بيننا وبينكم القتال في غد وان شئتم دفعنا لكم أموالا وترجعون
من حيث جئتم قال فامتنعوا من ذلك وجرت بينهم مشاورة وكلام كثير وقد اختصرنا
فيه خوفا من الاطالة قال فخرجوا من عنده على القتال ورجعوا الى خالد رضي الله
عنه وأعلموه بذلك فتهيأت الامراء للحرب والقتال قال فلما اصبح خالد رضي الله عنه
صلى بأصحابه صلاة الصبح وبادروا للحرب وصاحوا النصر النصر يا خيل الله اركبوا وفي
الجنة ارغبوا وللثواب اطلبوا قال فركب المسلمون خيولهم ونشروا راياتهم واصطفوا
ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وثبت خالد رضي الله عنه في وسط الجيش وجعل على
الساقة ميسرة ابن مسروق العبسي ومالك الاشتر في خمسمائة فارس من المهاجرين
والانصار رضي الله عنهم قال فلم تكن الا ساعة حتى برزت الروم واظهرت صلبانها
وبه قال حدثنا رافع بن مالك عن عباد بن مازن عن محمد بن سلمة الانصاري رضي
الله عنهم قال لما اقبلت رايات الروم وصلبانهم عددناهم فاذا هم خمسون صليبا
تحت كل صليب ألف فارس

(قال الراوى) فكان اول من فتح باب الحرب بطريق عليه ديباجة حمراء وعلى راسه بيضة مجوهرة مجلية وهو معصب بعصابة من جوهر ثم جال فى الميدان وطلب البراز فبرز اليه فارس من خثعم يقال له زيد بن هلال الخثعمى فقتله وبرز اليه آخر فقتله ثم طلب البراز فبرز اليه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فلم يمهله عبد الله دون ان ضربه بالسيف على عاتقه الايمن اطلعه يلمع من عاتقه الايسر فانجدل عدو الله صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار قال وجال على جواده وطلب البراز فبرز اليه فارس فقتله وآخر فقتله ثم طلب البراز فلم يبرز اليه أحد فغاص فى وسط القوم فقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة وشوش صفوفهم وقتل ابطالهم ثم عاد الى القلب وخرج شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل كفعله ثم حمل من بعده غانم بن عياض الاشعرى ثم حمل من بعده الفضل بن العباس ثم حمل من بعده العباس بن مرداس السلمى ثم حمل من بعده أبو ذر الغفارى ثم بادر المسلمون فحملوا حملة واحدة رضى الله عنهم أجمعين

(قال الراوى) فلما رأت الروم ذلك ايقظوا أنفسهم وحملوا فى عددهم وعديدهم وتظاهروا بالبيض والدروع وقادوا الجنائب وحمل الطائفتان بعضهما على بعض فلم يزل القتال بينهم حتى توسطت الشمس فى حد الاستواء فعندها حمل خالد بن الوليد رضى الله عنه وغاص فى الميمنة قلبها على الميسرة والميسرة قلبها على الميمنة وقاتلت العرب قتالا شديدا حتى جاء الليل وحجز بين الفريقين وبات المسلمون يتحارسون الى الصباح قال وتفقد المسلمون من قتل من أصحابهم رضى الله عنهم فاذا هم اثنان واربعون رجلا ختم الله لهم بالشهادة فالاعيان منهم ربيعة بن غانم الدوسى وزيد بن ربيع المازنى وغانم بن نوفل المحاربى وصفوان بن مرة اليربوعى والبقية من اخلاط الناس وقتل من اعداء الله ألف وثلثمائة وأزيد من ذلك قال ولما خلا عدو الله بأصحابه وذكروا له ما وقع لهم من الحرب وما حصل لاصحابه من شدة الطعن والقتل والضرب وما قاسوه من المسلمين عظم عليه وكبر لديه ولكن شجعته البطارقة وقووا قلبه واعتدوا للقتال

(قال الراوى) فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قام المسلمون لصلاة الصبح فلما قضيت الصلاة وثبوا الى خيولهم فركبوها واصطفت لهم الروم وبرزوا البطارقة

وتظاهروا

وأظهر وازدتهم وبرزلهم بطريق زنديق اثيم يقال انه صاحب طنبذا وعليه لامة حربه وطلب البراز فبرز اليه الفضل بن العباس رضي الله عنه فتجاولا طويلا واعتركا طلبا فتقاتلا بضربتين فكان السابق بضربته الفضل رضي الله عنه فضرب الملعون بالسيف على رأسه فوصل الى أضراسه فانجدل صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم خرج بطريق آخر فقتله ولم يزل كذلك حتى قتل أربعة من خيارهم

(قال الراوى) فعندها حملت الروم حملة رجل واحد فحمل المسلمون وحمل ضرار ابن الازور وأظهر شجاعته وحمل مذعور بن غانم الاشعرى والوليد ومحمد بن عقبة ابن أبي معيط ومسلم وجعفر وعلى أولاد عقيل بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر وسليمان بن خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والفضل بن العباس أولهم رضي الله عنهم أجمعين قال وتتابعت الامراء وعظم الخطب وكثر الطعن والضرب وثار الغبار حتى صار النهار كالليل وتراشقوا بالنبال واشتد القتال وقطعت الهامات وطارت الجماجم فما ترى الا فرسا غائرا ودما فائرا واشتد المصاب وانقطعت الاسباب وسال العرق واحمرت الحدق والقوم ما بين مجروح وسالم ومنهزم وهارب وما جت الفلاة وتخضب كل أحد بدمائه فضاقت عليهم الارض والسماء وقتلت الابطال العظماء فكم من بطل ثقل عليه درعه فرماه ونال الحذر منه مناه وبالغ الشجاع بصبره ما تمناه وصدم الجمع وكثر الفزع والدمع وطاب العطاء والمنع واقتحمت الابطال خمسا وأى قمع وحامت عليهم العقبان والنسور وطمعت في أكل أعينهم الطيور والدماء تفور واشتعلت نار الحرب مثل اشتعال التنور فما يشبه ذلك اليوم الا يوم البعث والنشور وعيل صبر الصبور وضاقت الصدور وجرى المقدور وتزايدت الامور ونشر عليهم الموت جناحه وطلبت النفوس الراحة وبان من الشجاع الوقاحة وظهر من الجبان فزعه وافتضاحه ورأى سلامة روحه نهايته وارتياحه ووقع القتال بين العسكرين ونزل الوبال على الطائفتين وانفطرت المرائر وانهتكت السرائر وقاتل الشجاع الصابر وفر الجبان النافر وهم ما بين مكسور وكاسر ومقهور وقاهر ومقتول وقاتل وصارت الاولاد يتامى والنساء أرامل وبطل قول القائل وصار على وجوه القوم للموت دلائل

(قال الراوى) وحمل الامير خالد رضي الله عنه حملة الاسد الضرغام وأزبد وقال فعندها رفع غانم الاشعرى رضي الله عنه طرفه الى السماء وقال يا عظيم العظماء

ويا باسط الارض والسماء يامن له الاسماء الحسنى نسألك بحق محمد نبيك المصطفى ورسولك المجتبى صلى الله عليه وسلم أن تنزل علينا نصرك كما أنزلته علينا فى مواطن كثيرة وانصرنا على القوم الكافرين يا أرحم الراحمين

(قال الراوى) وآمنت الامراء رضى الله عنهم على دعائه فما كان الا ساعة حتى رأيت الرجال من الابطال الكفار تتساقط كالورق اليابس من الشجر ولا ندرى من يقتلهم قال فلما رأى الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فتبعتهم المسلمون يقتلون وينهبون ويأسرون هذا والاحجار تأخذهم من فوق الاسوار وهم لا يلتفتون الى ذلك ودخلوا الابواب ودخل الملعون صاحب اهناس من الباب وساق خالد وجماعته من الامراء خلفه فلم يلحقوه فظفروا بقطعة من الروم نحو خمسة آلاف فارس وكان المسلمون قريبا من ألفى فارس فاقتتلوا عند الباب قتالا شديدا ثم رموهم بالحجارة من فوق الاسوار وخرج من الباب نحو ثلاثة آلاف فارس فانجدوا تلك القطعة ودخلوا وأغلقوا الباب وعلوا على الاسوار واشتد الحصار ورموا بالحجارة والنبال حتى جاء الليل وحجز بين الفريقين

(قال الراوى) فأقام المسلمون على حصار اهناس ثلاثة أشهر وهم فى كل يوم يشاغلون أهل اهناس بالقتال والاسوار منيعة والابواب وثيقة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل يوم يشنون الغارة حتى يصلوا الى أطراف الكورة

(قال الراوى) فلما ضعف من أهل اهناس الجلد وانقطع عنهم المدد وضاقت أنفسهم وطمعت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بفد سيوفهم فيهم قال فاستشار خالد أصحابه رضى الله عنهم ماذا يصنعون وقد اعياهم فتح الباب فقال له الامير المرزبان رضى الله عنه وهو من أمراء كسرى وكان قد أسلم وخرج للجهاد واحتسب نفسه لله عز وجل وهو المقتول بالبهنسا قريبا من البلد شرق البحر اليوسفى فى وقعة صاحب طما ذات الاعمدة وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى فى موضعه ان عندنا فى بلاد الفرس اذا حاصرنا مدينة ولم نقدر على فتحها أخذنا زيتا وكبريتا وجعلناه فى صناديق من خشب وجعلنا له أعوادا ويحملها الرجال ونحن نذب عنهم الى قرب الباب ويجعلون النار فى تلك الصناديق ويلصقونها بالابواب ويولون فتتعلق النار بالابواب ويذوب الحديد فتنفتح الابواب وتتعلق النار فى الحجارة فتهدمها فقال خالد رضى الله عنه نفعل ذلك ان شاء الله تعالى

قال

(قال الراوى) فلما أصبحوا فعلوا ذلك وأسرعوا باتمام ما ذكرنا وما أشار به عليهم المرزبان ووضعوه فى الصناديق وجعلوا فى أطرافها أعوادا طوالا من أسفلها واحتملها الرجال وخرج من خلفهم الفرسان يقاتلون والمرزبان رضى الله عنه امامهم يعلمهم كيف يصنعون وهم مستترون بالدرق والحجف والحجارة والنبال تتساقط عليهم من فوق الاسوار حتى وصلوا أول باب من أبواب المدينة وهو الباب الشرقى وهو أعظم أبوابها قال فقربوا من ذلك ورفعوا الصناديق على أعلى العيدان وألقوا النار فى الزيت والكبريت ووضعوا ذلك فى الباب ورجعوا

(قال الراوى) فلم تكن الا ساعة حتى تعلقت النار فى الباب والاخشاب والحديد والحجارة وثارت النار الى أعلى السور حتى وصلت الى البرج فاحترق وسقط البرج بما فيه من الروم وهلك منهم جماعة كثيرة قال فبادروا المسلمون وملؤا قرب الماء وطفوا تلك النيران ودخلوا من الباب وقصدوا قصر الملك وكان حصينا على أعمدة من الحجارة المنحوتة فأغلق أبوابه وعلا فوق الباب وتحصن ففعلوا به كما فعلوا بالباب الاول قال فلما رأى الملعون صاحب اهناس ما حل به لم يطق صبرا وأمر بفتح الباب وصاح الامان ومعه جماعة من حشمه وبطارقته قال فعرضوا عليهم الاسلام فامتنعوا الا قليلا منهم فأمر خالد رضى الله عنه بضرب عنق الملك ومن أسلم تركوه ومن أبى قتلوه واستغاثت بهم السوقة والرعية وقالوا نحن كنا مغلوب على أمرنا فمن أسلم تركوه ومن أبى وأراد البقاء على دينه ضربوا عليه الجزية وخربوا بقاعا عظيمة وهدموا دورا وأماكن حتى صارت تلالا وغنم المسلمون أموالا كثيرة من أوانى الذهب والفضة والفراش الفاخرة

(قال الراوى) وتركوا فيه عبادة بن قيس ومعه ثلثمائة من المسلمين رضى الله عنهم وخرجوا بظاهر المدينة ولم يبق الا من أسلم أو أعطى الجزية وجعلوا فيها مسجدا قال ولما فرغ خالد رضى الله عنه من ذلك جمع الغنائم وخمسها وأرسل الخمس الى عمرو ابن العاص رضى الله عنه ليرسله الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرسل الى عمرو بن العاص سهمه ولاصحابه المقيمين بمصر ونواحيها قال وأقام خالد بعد ذلك باهناس هو ومن معه من الصحابة رضى الله عنهم أربعين يوما

(قال الراوى) ثم ان خالدا استدعى بعدى بن حاتم الطائى رضى الله عنه وضم

اليه ألف فارس ومعه ميمون بن مهران وأمره أن ينزل على أول بلاد البطلوس الأمين
وينازل أهل الكورة واذا وصل الى قيس بن الحارث المتقدم ذكره رضى الله عنه
يأمرهم بالمسير الى قريب البهنسا ويقاتل من قاتله ويسالم من سالمه ويصالح من صالحه
حتى يأتيه المدد ثم استدعى غانم بن عياض الاشعرى رضى الله عنه وضم اليه ألف
فارس منهم الفضل بن العباس والمسيب بن نجبة الفزارى وأبوذر الغفارى والمرزبان
الفارسى وجعفر ومسلم وعلى أولاد عقيل بن أبى طالب وعبد الله بن عمر بن سعيد بن
أبى وقاص وشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم
أجمعين وقال لهم خالد رضى الله عنه سيروا الى مدينة البهنسا وانا على آثاركم ان شاء
الله تعالى وادعوهم الى الاسلام فمن أجابكم فله ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى فالجزية
ومن أبا فالحرب والقتال بيننا وبينه حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين ونازلوا المدائن
وأقربوا المواكب ولا تسيروا الايد واحدة وفرقوا الكتائب وكونوا قريبا بعضكم
من بعض واذا وقعتم فى جماعة لا طاقة لكم بهم ابتدؤا هممكم وأخلصوا نياتكم وقووا
عزائمكم فاذا وصلتم الى البهنسا التى هى دار مملكتهم ومحل ولايتهم فأرسلوا الى الملك
وادعوه الى الاسلام فان أطاع فاتركوه وملكه وان أبى فالجزية عن يد وهم
صاغرون وان أبى فالسيف حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا وبلغنى أنها مدينة
حصينة عظيمة كثيرة الخيل والرجال وحولها مدائن وبلاد ورساتيق فكونوا على
حذر ومن سالمكم سالموه ومن قاتلكم قاتلوه وعليكم بالحزم واخلاص النية وصدق
العزيمة فقد قال الله تعالى فى كتابه المكنون يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ثم استدعى بالمغيرة بن شعبة رضى الله عنه جد زياد
الذى بقرية تعرف بدبروط قريبا من طنبدا وسيأتى ذكر زياد بن المغيرة وأصحابه
هنالك ان شاء الله تعالى عند وقعة الدير رضى الله عنهم واستدعى بسعيد بن زيد أحد
العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم أجمعين وأبان بن عثمان بن عفان وجدد عليهم
الوصية وودعهم وساروا رضى الله عنهم

(قال الراوى) وسار عدى بن حاتم الطائى وميمون بن مهران حتى وصلا أول
أقليم البهنسا وهو ميدوم وجزيرة وما حولهما فوجدوا قيس بن الحارث رضى الله عنه قد
صالح تلك الارض وعقد واله صلحا وأقروا له بالجزية وكذلك أهل برنشت بعد قتل
بطريقهما ونحو تلك البلاد ونادوا فى ذلك الاقليم وأوجبوا لقيس مالا على الصلح

والجزية وقد عدي بجماعة من المسلمين وهم رفاعة بن زهير المحاربي وعقبة بن عامر الجهني وذو الكلاع الحميري وألف فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم وشنوا الغارات من العقبة التي هي قريب من حلوان على تلك القرى والبلاد فمن صالحهم صالحوه ومن قاتلهم قاتلوه وغنموه حتى وصلوا الى اطفيح ثم الى البرنبل وكان هناك بطريق يسمى بوصول فخرج اليهم في جماعة ووقع بينه وبين المسلمين قتال شديد فقاتلوه فكان غريمه عدي فظفرت المسلمون به وبجماعته وقتلوها شر قتلة وعجل الله بأرواحهم الى النار وبئس القرار وبعد ذلك توجهوا الى القرية التي تسمى بدمياض فخرج اليهم اهلها وصالحوهم على الجزية وعدوا من هنالك وسار عدي بن حاتم رضي الله عنه حتى اجتمع بقيس بن الحارث رضي الله عنه قريبا من القرية المعروفة بقمن ونزل ميمون هو وأصحابه رضي الله عنهم بالقرية المعروفة بالميمون فقال له قيس بن الحارث لا نبرح من هذا المكان حتى نفتح ما حولنا من البلاد ويأتينا اذن الامير خالد بن الوليد رضي الله عنه فأجابه الى ذلك ونزل عدي بأولاده بالقرية المعروفة بدنى عدى ثم ساروا وترك ابنه حاتم واخوته واختلطوا بالقرية وسار قيس واصحابه رضي الله عنهم حتى وصلوا القرية المعروفة ببوش والبلد المعروفة بدلاص فخرج اليهم اهلها بعد قتل بطارقتهم وصالحوهم على الجزية وتوسطوا البلاد على ساحل البحر حتى نزلوا بالكبرى وغانم بن عياض الاشعري رضي الله عنه على اثرهم وكان بها دير عظيم يعرف بدير ابي جرج وكان له عيد عظيم يجتمعون اليه من جميع البلاد فوافق قدوم الصحابة رضي الله عنهم قربا من العيد فجاءهم رجل من المعاهدين فأعلمهم بذلك فعند ما انتدب قيس بن الحارث رضي الله عنه جماعة من أصحابه نحو خمسمائة فارس وأمر عليهم رفاعة بن زهير المحاربي رضي الله عنه وامرهم ان يشنوا الغارة على الدير

(قال الراوي) وكان في ذلك الدير جماعة من رؤساء الكورة من الروم وهم حول الدير ومعهم الخيول تحرسهم وهم في اكلهم وشربهم وزينتهم الفاخرة الى قرب الصبح وكانت ليلة مقمرة فأتت الصحابة الى مكان متسع وقالوا لبعضهم اكمنوا هنا فانها ليلة مقمرة فسمي المكان بالقمرية الى يومنا هذا قيل وكان هنالك قرية فاكمنوا في جانبها فلما كان آخر الليل قريب الصباح ساروا وغاروا على السوق ومن فيه وهم في اكلهم وشربهم وزينتهم مطمئنين فلم يشعروا الا والخيول فوق رؤسهم

فما قاتلوا غير قليل وانهزموا في جهة الدير والبلد فنهبت الصحابة رضي الله عنهم
جميع ما في السوق من الاثاث والانعام وحملوا الاثاث على الانعام وساقوها واتوا الى
الدير واحاطوا به من كل مكان فقاتلت الروم من اعلى الدير وصاروا يرمون بالحجارة
والنشاب وقد احتاط المسلمون بالباب وكسروا الاقفال وقطعوا السلاسل وتعلق
جماعة على الحيطان ودخلوا الدير وقاتلوا الكفرة اللئام من داخله وفتحوا الباب
ودخلت بقية الفرسان فما كان الا ساعة حتى غنموا ما فيه من اثاث واواني من ذهب
وفضة واسروا منهم نحو مائة اسير وساروا حتى توسطوا البلاد وكان بالقرب قريبا من
البحر اليوسفي قرى كثيرة وبلدان وكان فيهم مدينة تعرف بسنجاب وكان حولها
بلاد كثيرة وكان بها بطريق من عظماء بطارقة البطليموس فلما بلغه قدوم الصحابة
رضي الله عنهم جمع جنوده الى حد البلاد المعروفة بقنهس والى البلاد المعروفة
بشمسطا واليسقنون والى منابة وجمع الخيل من الروم والفلاحين كما قيل ستة آلاف
فارس وخرج بهم الى قتال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

* (قال الراوي) * وكان قيس بن الحارث ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم لما
صالحوا أهل ببا واقروا بالجزية ساروا فلما قربوا من القرية المعروفة الآن بدير صالح
فبينما هم يسيرون واذا بالغبار قد لاح لهم من بعيد وبعد ساعة انكشف وبان عن
خيول وفرسان وعلى رؤوسهم ستة صلبان تحت كل صليب ألف فارس من الشجعان
وهم لابسون الدروع المذهبة والسيوف والرماح المتقنة وهم في زي عظيم فلما رأى
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم ما عولت عليه الكفرة اللئام
من الحرب والاصطدام ايقظوا همتهم في الحال واستعدوا للقائهم بالقتال واعلنوا
بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير وحملوا عليهم حملة الأسود
الضارية وصدموهم صدمة الابطال الذين باعوا أنفسهم رغبة في جنة عالية ودارت
رحات الحرب واشتد بينهم الطعن والضرب وثار الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار
واظلم النهار والجبان في أمره قد حار والتقت الفرسان وبانت الشجعان فلله در رفاعة
ابن زهير المحاربي وعقبة بن عامر الجهني وعمار بن ياسر العبسي ابن عم ميسرة بن
مسروق العبسي ليس هو عمار بن ياسر العبسي الذي كان بصفين مع الامام علي بن
أبي طالب رضي الله عنهم اجمعين

* (قال الراوي) * وقاتل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم

ت ذلك اليوم قتالا شديدا وصبروا على البلاء صبرا شديدا فكان في الملاعين بطريق عنيد يسمى لاوى ابن ارمياه وهو صاحب انطاكية وكان فارسا مشهورا وبطلا مشهورا فصال وجال وصدم الرجال وقتل الابطال وهو يرمح في المجال فبرز اليه فارس من المسلمين يسمى سنان بن نوفل الدوسي فتضاربا وتطاعنا بالرماح وتضاربا بالصفاح وكان البطريق صاحب مكر وخداع فخدع الفارس ومال عليه بعجلته وضربه فقتله وختم الله له بالسعادة وبقى عدو الله يصول ويجول ويطلب المبارزة ويسأل الانجاد من الفحول وهو يقلب بنفسه بين الصفين ويلعب بسيفه وترسه بين الدرقتين قال فعندها خرج اليه عمار بن ياسر العبسي وحمل عليه حملة منكرة فتجاولا وتعاركا وتضاربا وتصادما وتلاطما وتطاعنا فكان بينهما طعان اقوى من الحجر وعدو الله ثابت ويقاتل عن نفسه ويدافع بلبوسه وترسه هذا وقد كل ساعده وضاقت طرقه ومذاهبه فلما رآه الامير عمار رضي الله عنه وعلم منه التقصير حمل عليه فاستقبله بضربتين حادتين قاطعتين فكان السابق بالضربة عمار الفارس العبسي القهار فطعنه بالرمح في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره فوقع عدو الله قتيلا يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فعند ذلك غضبت الروم لقتل صاحبهم وحملوا على عمار كتيبة عظيمة من المشركين وعقروا الجواد من تحته وتكاثروا عليه وقتلوه رحمة الله تعالى عليه فقد ختم الله له بالسعادة وقتل من المسلمين خمسة عشر فارسا من الذين كانوا يدافعون عنه فانه لما قتل الفارس المتقدم ذكره صعب عليهم قتله فرموا انفسهم على القتال والهلاك وشجعوا انفسهم وصاروا يقاتلون قتالا شديدا

* (قال الراوى) حدثنا نوفل عن مالك بن رافع عن غانم اليربوعي وكان في خيل عمار ابن ياسر ورفاعة بن زهير المحاربي رضي الله عنهم اجمعين قال بينما نحن في اشد القتال واعظم النزال وأيسنا من الحياة لما رأينا من اهوال الحرب ورفاعة بن زهير رضي الله عنه يحرض الناس على القتال ويقوى عزائمهم ويعضدهم على قمع الابطال وهو ينشد ويقول

يامعشر الناس والسادات والهمم * أهل الصفا والوفا يامعدن الكرم

فاصدقوا العزم لا تبغوا به فشلا * ومكنوا الضرب في الهامات والقمم

وصيروا القوم في الغبرا ملوحة * على الثرى رمما بالذل والنقم

وصار رضي الله عنه يقاتل ويمانع ويقتل الابطال ويجندل الرجال ويصول ويجول

ويطعن فرسان اعداء الله ويقول يا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا واصبروا واعلموا أن النصر مع الصبر والجنة تحت ظلال السيوف وان لم تكسروهم لم تقم لهم قائمة بعد هذه ابدا وابشروا بالجنة وبالحور والولدان في غرف الجنان قال وقد اشتد الحرب وزاد الطعن والضرب وقلت الرجال وتجندلت الابطال وعلا الغبار وطمعت في المسلمين الكفار وضاقت النفوس وتطعت الرؤس

(قال الراوى) فبينما نحن في أشد القتال واذا بغبرة قد لاحت وارتفعت وانكشفت عن ألف فارس ليوث عوابس عليهم الدروع الداودية وعلى رؤسهم البيض الجاهلية متقلدين بالسيوف الهندية متقلين بالرماح الخطية راكبين الخيول العربية فتأملناهم فاذا هم سليمان بن خالد بن الوليد وعبد الله بن المقداد وعبد الله بن طلحة واخوه محمد وزياد بن المغيرة ومحمد بن عقبة وعبد الرحمن بن ابي هريرة وجماعة من الامراء وابنائهم وبقية أصحابهم رضي الله عنهم اجمعين وكان غانم بن عياض الاشعري رضي الله عنه قد جهز طليعة امامه فلما رأونا كبروا وكبرنا لتكبيرهم وتقدموا الى وسط المعركة وطلب كل واحد بطريقا من البطارقة فقتله فلما رأت الروم ذلك القتل فيهم ولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتبعهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلا ونهبا وسلبا الى شدة ثم الى البهنون وما حولها من السواد الى البقوس وأسروا منهم نحو خمسمائة أسير وقتلوا منهم نحو ثلاثة آلاف وهرب الباقون الى البلاد والقرى فلما قتل البطريق وحصل الضيق خرج اليهم أهل البلد والسوقة من النصارى وعقدوا لهم صلحا واتفقوا على اداء الجزية وكذلك ما حولهم من القرى ونزل في البلد المذكورة عمرو بن الزبير فأقام فيها هو وجماعة معه من المسلمين ثم صار قيس بن الحارث امام الصحابة رضي الله عنهم أجمعين حتى نزلوا قريبا من مدينة طنبدا والبلد المعروفة باشنين وكان فيها بطريق يسمى اوليانس بن بطروس وكان كافرا لعينا فخرج الى لقاء المسلمين هو وجماعته واخرج معه ميرة وعلوفة لهم وكان ذلك منهم مكيدة ومكرا وتقدم المسلمين صلحا وتوافق معهم على اداء الجزية عن بلده وعن اشنين وكانت تحت حكمهم وارتحل قيس بن الحارث ومن معه رضي الله عنهم وأقام زياد بن المغيرة رضي الله عنه بالقرية المعروفة بدير وط فعقد مع اهلها صلحا ونزل سليمان بن خالد بن الوليد وعبد الله بن المقداد رضي الله عنهما وجماعة قريبا من البلد ومنهم من نزل عند القرية المعروفة بالمنية وصار جماعة يدخلون البلد ليلا ثم يعودون خوفا من المكيدة ولا حذر ينفع من

قضاء

قضاء وقدر

(قال الراوي) وكان المتخلفون خمسمائة فارس فجعلوا يسيرون على جانب البحر اليوسفي ويشنون الغارات على السواحل فمن صالحهم صالحوه ومن أسلم تركوه ومن أبى قتلوه وأما قيس بن الحارث رضي الله عنه فانه سار حتى نزل بالقرية المعروفة بالقيس وبه سميت الى يومنا هذا وكان بها بطريق من بطارقة البطليوس وكان ابن عمه واسمه شكر بن ميخائيل وكانت السودان قد دخلت البلد فحاصرها قيس ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم حصارا شديدا شهرين ثم أعانهم الله عز وجل فحرقوا بابا من أبوابها وفتحت ودخلوها وكان ذلك بعد وقعة وقعت بينهم في مكان يعرف بكوم الانتصار فهزموهم هناك وحاصروهم وهم بالقيس كما ذكرنا وفتحوا المدينة وقتلوا البطريق المذكور ابن عم البطليوس ونهبوا الأموال وأخذوا جميع ما فيها بعد أن دعوهم الى الاسلام فامتنعوا من ذلك ثم شنوا الغارات على ما حولها من البلدان الى البلد المعروفة بمطاى ثم الى الكفور فخرج اليهم بطريق وكان ابن عم المقتول بمرج دهشور فأمنهم الله وعقد مع المسلمين صلحا وأعطاهم الجزية ثم سارت العرب الى البلد المعروفة بالدير وسملوط وما قرب من البلدان ونزل زهرة وجماعة من العرب في المكان المعروف بزهرة وأما بقية أهل السواد الذي حول البهنسا شرقا وغربا لما تحققوا مجيء العرب هربوا الى نحو البهنسا بأموالهم ونسائهم وذراريهم وأنعامهم وتركوا السواد خرابا وكان البطليوس لعنه الله تعالى أرسل لهم بطارقة فحملوهم الى البهنسا واتخذوا للحصار جميع ما يحتاجون اليه

(قال الراوي) هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من أمر [illegible] صاحب [illegible] فانه كاتب البطليوس يقول اني لم اصالح العرب الا مكيدة واني لا اريد الا الغدر بهم فجهز لي جيشا من البطارقة أملي أن أظفر بجيش المسلمين ونأخذ ثارنا منهم قريبا قال وكان عدو الله البطليوس في كل يوم تأتيه الاخبار من العرب المتنصرة وغيرهم من أهل البلاد والسواد بما يجري من العرب وبأخبار من يقتل من البطارقة وبأخذ البلاد والاموال فحمل البطليوس هما عظيما ولم يظهر ذلك لاحد من بطارقته وانما كان يطيب قلوبهم ويشجعهم ويقول بلدنا حصينة وان قاتلونا قاتلناهم وان غلبونا دخلنا اليها فلو جاءنا أهل الحجاز جميعهم ما وصلوا الينا ولو أقاموا عشر سنين ولم يعلم بأن الله غالب على أمره وناصر دين الاسلام ومذل الكفرة اللئام فلما بلغ البطليوس مكاتبة

عدو الله اولياس لعنهما الله فرح بذلك فرحا شديدا واستدعى ببطريق من بطارقته
يسمى روماس ودفع له خمسة آلاف من الروم وشيرهم من أهل القرى وامرهم ان
يسيروا تحت ظلام الليل فجاءه نصف الليل الاوهم في مدينة طبرية ودخلوا على عدو
الله اولياس البطريق ففرح بذلك فرحا شديدا واستعدوا للهجمة على المسلمين

(قال الراوي) فلما اصبح الصباح وصلى المسلمون صلاة الصبح واذا بالخيل قد اقبلت
عليهم من الروم فصاح المسلمون النفير النفير دهينا يا اصحاب رسول الله ورب الكعبة
فركب المسلمون خيولهم وساروا الى قريب من الدير واذا الروم قد اقبلت عليهم نحو
العشرة آلاف فارس وكان اعداء الله قد اكمنوا للمسلمين كمينا قريبا من قناطر كانت
هنالك وبحر يجري فيه النيل في أوانه يمينا غربي الدير المذكور قريبا من البلد

(قال الراوي) فلما رأت المسلمون رضي الله عنهم لمعان الاسنة وتمايل الاعنة
وخفقان الاعلام وبريق سلبان الشام من الذهب والفضة اعلنوا بالتهليل والتكبير
والصلاة على البشير النذير واقبلوا مسرعين نحوهم ولم يفزعوا من كثرتهم وحرض
بعضهم بعضا على القتال وكانوا قد سبقوا الى شرذمة من المسلمين كانوا نزولا قريبا من
الدير ووضعوا فيهم السيف واحاطوا بهم واتسع المجال واشتد القتال قريبا من القرية
المعروفة بديروط فخرج سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد وعبادة بن الصامت
وعامر بن عقبة وشداد بن اوس وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فعند ذلك
عظم النزال واشتد القتال وعميت الابصار وقدحت حوافر الخيل الشرار ولمعت الاسنة
وقرنت الاعنة ودهشت النظار وحارت الافكار واحاطوا بالمسلمين من كل جانب
وكان فلله در سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد رضي الله عنهما فلقد قاتلا قتالا
شديدا وابليا بلاء حسنا ولله در زياد بن المغيرة رضي الله عنه لقد كان تارة يقاتل
في الميمنة وتارة في الميسرة وتارة في القلب واحاط بهم اعداء الله من كل جهة حتى صار
المسلمون بينهم كالشامة البيضا في جلد البعير الاسود فصبروا لهم صبر الكرام وكان
اكثر المسلمين قد اثخنوا بالجراحات واشتد الكفاح هذا والمسلمون قد استدبروا ابطالا
وجعلوها خلف ظهورهم وقاتلوا قتالا شديدا واعداء الله محتاطون بهم وحجزوا بينهم
وبين البلد وقاتل سليمان واصحابه قتالا شديدا ووطنوا انفسهم على الموت وشجع
بعضهم بعضا وسار سليمان يقول الله الله الجنة تحت ظلال السيوف والموعد عند
حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل قتالا شديدا حتى اثخن بالجراحات وقد

قتل من المسلمين نحو مائتين وعشرين قريبا من التل الذى غربي البلد المذكورة وما قتل الرجل الواحد حتى قتل من أعداء الله خلقا كثيرا

(قال الراوى) فلما رأى سليمان بن خالد رضى الله عنه ما حل به وبأصحابه صار يكر باليمنى على اليسرى واليسرى على اليمنى وساعده بالجملة عبد الله بن المقداد وبقية الصحابة رضى الله عنهم وقد تقدم سليمان بن خالد رضى الله عنه وطعن بطريق اثنين طعنة صادقة فأرداه عن جواده وغاص فى القلب حتى أفنى منهم جماعة كثيرة (حدثنا) اوس بن شداد عن علقمة بن سنان عن زيد بن رافع قال كنت فى الخيل صحبة سليمان بن خالد رضى الله عنه وقد هزمنا المشركين فتقهقروا من بين أيدينا ولم نشعر ان لهم كمينا اذ خرج الكمنون علينا واحاطوا بنا وكانت عدة فرساننا خمسمائة فارس من الصحابة رضى الله عنهم فقاتلناهم قتال الموت وقتلنا منهم جماعة نحو الالفى فارس وقتل سليمان رضى الله عنه من الصناديد والبطارقة من خيارهم نحو ثلاثين فارسا وكذلك عبد الله بن المقداد رضى الله عنه وصبرا على البلاء صبر الكرام فأحاط بسليمان رضى الله عنه كردوس نحو الفى فارس لما رأوا ما حل بخيارهم وهم الرؤسا والبطارقة من القتل فحملوا عليه حملة رجل واحد وعقروا جواده من تحته فضرب بالسيف فيهم وهو على رجليه حتى قطعت يده اليمنى فتناول السيف بيده اليسرى حتى قطعت فأحاطوا به رضى الله عنه فلما ايقن أنه مرتحل الى واسع الرحمة التفت وقال الله الله والله يعز عليك يا خالد أن ترى ما حل بولدك ولكن هذا فى رضا الله عز وجل وكان قد طعن فى صدره نحو عشرين طعنة حتى قتل حوله وسقط على الارض ثم تبسم وقال الساعة نلقى الاحبة محمدا وحزبه فقتلوه رحمة الله عليه فلما رأى عبد الله بن المقداد رضى الله عنه ما حل بسليمان صاح لا حياة لى بعدك يا أبا خالد والملتقى فى جنات عدن ثم هاج وصال وقتل الرجال والابطال فأحاطت به اللئام فضربوه بالسيف وطعنوه بالحسام حتى اصابته ضربات وطعنات كثيرة وهو يمسح الدم عن وجهه ويقاتل حتى سقط به الجواد وهو صحيح واشرقاه الى لك يا مقداد ثم تبسم وقال مرحبا ثم مات رحمة الله عليه وايقنا أن الهزيمة من هنالك واذا بغبرة قد لاحت وانكشفت عن اعلام ورايات اسلامية وعصبة محمدية وفى اوائل القوم القعقاع بن عمرو التميمى والمسيب بن نجية الفزارى وسمرة بن جندب والفضل بن العباس وزياد بن أبى سفيان وسادات بنى هاشم وبنى المطلب وسادات الاوس والخزرج وغانم بن عياض الاشعرى ومن معه

من الامراء والسادات رضي الله عنهم فلم يزالوا دون ان حملوا على الروم حملة واحدة بنيات خالصة لله عز وجل فلما رأى الامراء والسادات القتلى صاحوا باجمعهم وأحاطوا ثم وثبوا على الروم وتبعوا الاسود وقتلوا البطريق اولياص لعنه الله أشر قتلة وبطريق البطلوس روماس وانهزمت اعداء الله من بين ايديهم وتبعتهم السادات المسلمون بالقتل والاسر حتى بلغت الهزيمة الى البحر اليوسفي وغرق منهم جماعة كثيرة وقتل منهم في المعركة نحو أربعة آلاف رجل واسروا منهم الفين ومائتي أسير وهرب جماعة منهم واختفوا الى الليل فأتوا الى البطلوس وأعلموه بذلك فضاقت الدنيا عليه وضاق صدره وحار امره وزاد فكره واستعد للقاء المسلمين

(قال الراوي) هذا ما جرى لهؤلاء واما اهل مدينة طنبدا واهل اشنين وآبا فانه بلغهم أمر البطارقة وقتلهم وقتل الروم ومن غرق منهم وقامت أهل آبا على بطريقهم وكان اسمه لوص وكان نصرانيا ولم يكن روميا وسألوه أن يقاتل العرب فأبى عن القتال فسميت البلد بذلك الى يومنا هذا وقال لا حاجة لي في قتال العرب فولوا عنه فلما انهزمت البطارقة اعداء الله خرج لوص ومعه جماعة من أهل البلد المذكورة الى لقاء المسلمين وطلبوا منهم الصلح فصالحوهم وخرج أهل طنبدا وأهل اشنين من السوقة والرعية وغيرهم باولادهم وذراريهم وبكوا في وجوه المسلمين وقالوا نحن قوم رعية وكنا مغلوبين على أمرنا فادعونا فانا أهل ذمتكم وجواركم فقالوا نعم بشرط أن تدلونا على من هرب منكم فأجابوهم الى ذلك وصاروا يأخذون المسلمين ويدخلون بهم الدور ويقبضون على الروم ويسلمونهم الى المسلمين وكان النصراني يقبض على الرومي ويأتي به حتى قبضوا من طنبدا واشنين نحو ألف وخمسمائة من المطامير والابيار وغير ذلك ولما جمع الاسارى امر غانم بن عياض الاشعري بضرب اعناقهم على تل هناك يعرف بالكوم ورجع المسلمون الى مكان المعركة فلما عاينوا القتلى ورأوا سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد وبقية الشهداء رضي الله عنهم اجمعين بكوا عليهم بكاء شديدا فعند ما بكى عمار ابن ياسر وجعل يرثي سليمان بن خالد وعبد الله بن المقداد ومن معهما من الاصحاب وهو ينشد هذه الابيات

يا عين جودي بالدمع الصبيب * ثم اندبي يا عين فقد حبيبي
وابكي لمقتول تردى في الفلا * أسفا له من ميت وغريب
وابكي سليمانا أسى لا تغفلي * في موته من زفرة ونحيب

قد كان لينا الوذ عيا فاتكا * لم يكترث يوم الوغى بحروب
يلقى العدا بجنان قلب ثابت * لوانهم فى العدد مثل كثيب
فيا حمام الايك نوحى بالدجا * على فتى للنائبات مجيب
فلالقى البطلوس خيرا عمره * واجناده الانذال أهل صليب
فدا كنوا جيش الناس عامدا * قوم الرذالة معشر التكذيب
واعلى المقداد عما قد جرى * فى كل قرم فى الامور مصيب
فورحق من أهدى الينا نصره * من كل فتح مبعد وقريب
لنأخذن الثار من أعدائنا * حقا ونطفى حر نار لهيب

وجعل يقول لفقد زياد وعبيد هذه الابيات

احباى عينى كالسحائب تدمع * وقلبى من فقد الاحبة يفزع
وأظلمت الدنيا على بنورها * وكاد فؤادى بالجوى يتقطع
لفقد زياد أحرق البين مهجتى * وفقد عبيدان قلبى مولع

(قال الراوى) وان غانم بن عياض رضى الله عنه جمع الشهداء وصلى عليهم جميعا فى ثيابهم ودروعهم وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله يوم القيامة وجراحاتهم تقطر دما اللون لون الدم والريح ريح المسك قال وأقام غانم رضى الله عنه بعد أن دفن الشهداء قريبا من التل بحرى البلد المذكور ثلاثة أيام والامراء أيضا يشنون الغارات على السواحل والسواد وأما عدى وجابر بن عبد الله الانصارى وأبو ايوب وأبو دجانة والمسيب بن نجى الفزارى وابن عقبة رضى الله عنهم فساروا فى ألف على الشرق فخرج اليهم بطريق يعرف بسندراس الجاهل وبطريق شرونة وبطريق اهريت فى خمسة آلاف فارس واقتتلوا قتالا شديدا عند سفح الجبل قريبا من الدير فبلغ الخبر الى غانم بن عياض رضى الله عنه فجهز اليهم طائفة اخرى صحبة أبى لبابة بن المنذر والفضل بن العباس والمرزبان فى ألف فارس رضى الله عنهم قال فلما رأت الروم ذلك وقع الرعب فى قلوبهم وكان بينهم حرب عظيم ثم ان الفضل بن العباس رضى الله عنه حمل على البطريق الجاهل وضربه ضربة هاشمية على رأسه فتلقاه بالترس فقطعت الترس والخودة الى ان سمع خشخشة السيف فى اضراسه فسقط عدو الله قتيلا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فكبر وكبرت المسلمون رضى الله عنهم

لتكبيره وكان الفضل بن العباس رضى الله عنه فارساً نجيباً وشجاعاً قلبياً انغاص فى وسط المشركين ووضع فيهم السيف وحمل المرزبان رضى الله عنه على المأمون بطريق اهريت فقتله وحمل ابن المنذر على بطريق شرونة فقتله فلما رأت الروم ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فتبعتهم المسلمون قتلا ونهبا ووصلوا الى المكان المعروف بالدير واهريت وغرق فى البحر منهم خلق كثيرون وقتل منهم الف وخمسمائة فارس وتحصن من الروم والنصارى جماعة بمدينة الجاهل وكانت حصينة فحاصرها المسلمون سبعة ايام وحرقوا الابواب وهدموا الجدران واخرجوهم من البيوت واخربوا تلك المدينة الى يومنا هذا وخرج الى المسلمين نصرانية شرونة واهريت وعقدوا مع المسلمين صلحا ووضعوا عليهم الجزية وانزلوا ربيعة الكلابى رضى الله عنه فى مائتين من أصحابه وغيرهم وابن خالد بن أخى عمرو بن العاص فى المكان المعروف ببنى خالد فى مائتى فارس وعدى المسلمون البحر ونزل عامر بالقرب فى مائتى فارس قريبا من طنبدا واشنين وارتحل غانم بن عياض الاشعرى رضى الله عنه ببقية الجيش ولما تكامل جيش المسلمين ارسل بين يديه المسيب بن نجى الفزارى والعباس بن مرداس السلمى والفضل بن العباس الهاشمى وعامر بن عقبة الجهنى وزياد بن أبى سفيان بن الحارث رضى الله عنه فى ألف وخمسمائة فارس فساروا الى مكان يعرف بالجسر نوس وكان هنالك قلعة فى المرج للملك البطلوس وكان فى زمن الربيع ينزل هنالك فى الخيام والمضارب حول القلعة وتجتمع عنده البطارقة ويقيمون شهرا ثم يركب ويدور على الاقاليم وبعد ذلك يعود الى البهنسا

*(قال الراوى) فلما علم بطريق القلعة المذكورة وهو فانوس بمجئ العرب أرسل الى البطلوس اعلمه بذلك فارسل له جيشا صحبة بطريق من بطارقته يسمى شلقم وبه سميت البلد التى هى بالقرب من البهنسا وكانت عدة الجيش المذكورة عشرة آلاف فارس (حدثنا) مسلم بن يسار اليربوعى عن شداد بن مازن عن طارق بن هلال انه كان فى خيل العباس بن مرداس السلمى قال بينما نحن نسير اذ رأينا غبرة قد ثارت وكان ذلك فى وقت الضحى فتأملناها فانكشفت عن عشرة صلبان من الذهب الاحمر فتأهبنا للحملة وتأهبوا لنا ولم يمهلونا الا دون ان حملوا علينا وطمعوا بلقائهم واغتروا بكثرة كفرهم وحملنا عليهم فالتقى الجمعان واصطدم الفريقان وصبرنا لهم صبر الابطال وقاتلناهم قتال الرجال ونحن فى غاية الثبات كما تقدم فى الوقعات فلله در

عامر بن عقبة والمسيب بن يحيى الفزاري والفضل بن العباس وزياد بن أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنهم أجمعين قاتلوا قتالا شديدا وعصب الفضل رضي الله عنه بعصابة حمراء وكذلك فعل زياد بن أبي سفيان بن الحارث كما كان يصنع عمهما حمزة رضي الله عنهم أجمعين وقاتلا قتالا شديدا فلم تكن الا ساعة حتى حمي القتال وقوي الحرب وقد اشرف علينا غانم بن عياض ببقية الجيش رضي الله عنهم فازددنا قوة وكبرنا فأجابونا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير صلى الله عليه وسلم وتقدم الفضل بن العباس رضي الله عنهما الى البطريق شلقم لعنه الله وكان فارسا شديدا وبطلا صنديدا وكان عليه ديباجة مقصبة بالذهب وفي وسطه منطقة مجوهرة وقد عصب رأسه من فوق البيضة بعصابة من الجوهر وبيده عمود من الذهب طوله ثلاثة اذرع وازيد وهو تارة يضرب بالسيف وتارة يضرب بالعمود فلما رآه الفضل ظن انه يريده فحمل الفضل رضي الله عنه على ذلك الملعون حملة منكرة وهو ينشد هذه الابيات

يا كافرا في الحرب جاء عاتيا * اذ جاءنا بجيشنا معاديا

ابشر فقد وافيت لينا ضاريا * قد حاز سيفا للاعادي مفنيا

قد كان لي رب العباد واقيا * من كل علج رام حربي طاغيا

(قال الراوي) فلم يفهم البطريق ما يقول الفضل وحمل عليه وتعاركا وتجاولا وضرب الفضل ضربة فحاد عنها فعطف عليه الفضل رضي الله عنه كالاسد الضاري وانتزع العمود الذهب من يده وضربه ضربة هاشمية قرشية ابان رأسه عن بدنه ونظر اليه فلم يسقط وعاد عليه وهو جثة بلا رأس فتلقاه فارس من المسلمين يسمى زهير فوجده مكلبا بكلاليب في سرجه فنزع الكلاليب فسقط عدو الله كالطود بعد ان تضمخ تاجه ومنطقته فقال له الفضل رضي الله عنه ان السلب لي ولكن قد وهبتك اياه فقال له لا اعدمنا الله مكارمكم يا بني هاشم وعطف فارس على قانوس فقتله وصار كل أمير يقصد بطريقا فيقتله حتى قتلت البطارقة وحمل المسلمون رضي الله عنهم عليهم حملة بدد بها شملهم فولوا من بين أيديهم منهزمين فتبعتهم المسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون ويسلبون الى النهر اليوسفي فلم ينج منهم الا قليل وكان هناك قصر لبطريق من بطارقة البطلوس فمضى منهزما الى البطلوس وقال من دهوته وصات العرب في القصر وباقوله فسميت القرية بذلك فقصده من جماعة بقلعة المرج فاحاط المسلمون بها واحرقوا الابواب وهدموا الجدران واستخرجوا ما فيها

وقتلوا من الروم مقتلة عظيمة نحو ثلاثة آلاف واسروا نحو الف وغرق منهم نحو الف
وازيد وقتل من المسلمين ستمائة واربعون رجلا الاعيان منهم سيف الانصاري وسالم
وعبد الله بن بكر وزياد بن الحارث رضي الله عنهم أجمعين وكان زياد بن المغيرة رضي
الله عنه وجماعة نزولا في اماكنهم قريبا من طنبدا كما ذكرنا حول البلد المعروفة
بديروط وكان زياد رضي الله عنه صديقا للامير سليمان بن خالد رحمة الله عليه فارسل
الى الامير خالد رضي الله عنه كتابا يعزيه فيه بولده المذكور وأنشد يقول شعرا

أبا سليمان ان الدهر أفجعنا * في سيد كان يوم الحرب مقداما
مجدل الضد في الهيجا اذا جمعت * وللفوارس يوم الحرب خصاما
يا طول ما هزم الاعدا بصارمه * وكم رأوه تنكيسا وارغاما
لا علاك الضد من أبطالنا أهلا * ان جار ساعده الخصام صمصاما
كأنه الليث وسط الغار اذ وردت * به العدا وعلى الاشبال قد حاما
يا عين جودي عليه بالدموع دما * واندبي فارسا قد كان ضرغاما
والسيد الليث عبد الله قد حكمت * به المنايا وحكم الله قد داما
نجل الفارس المقداد خير فتى * قد كان في ملتقى الاعدا هماما

(قال الراوي) فلما وصل الكتاب الى الامير خالد رضي الله عنه وكان نازلا بالنويرة
ببقية الجيش قريبا من الدير وهو ينفذ السرايا وأهل البلاد يأتونه بما صالحوه عليه من
المال وغيره وقد جهز عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن عمرو وعقبة بن نافع الفهري
والزبير بن العوام رضي الله عنه بالف فارس الى الفيوم وسيأتي ذكر ذلك ان شاء الله
تعالى فعندها فتح الكتاب وقرأه فسقط في الارض مغشيا عليه فلما أفاق من غشيته
استرجع وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون اللهم اني
احتسبت سليمان اليك اللهم اجعله لي فرطا وذخرا واعقبني عليه صبرا واعطني بذلك
أجرا ولا تحرمني الثواب برحمتك يا أرحم الراحمين (ثم قال) والله لاعدن فيه ألف
[illegible] من ساداتهم ولا قطعن به فرسانهم واني لارجو ان آخذ بثاره قريبا ان شاء
الله تعالى ولا قتلن بطارقتهم أشر قتلة واشفي بذلك غليل صدري وحرارة كبدي
باذن الله عز وجل ولكن على يدي خراب ديارهم وانهزام جيوشهم ان شاء الله تعالى
وهطلت مدامعه رضي الله عنه على وجنتيه أحر من الجمر ثم جعل يسترجع ويقول
هذه الابيات

جرى مدمعي فوق المحاجر وانهمل * وجمر الغضا قد زاد في القلب واشتعل
وهد فؤادي يوم اخبرت نعيه * وضاقت بي الدنيا ودمعي قد هطل
وزادت بي الاحزان والهم ضرني * وعن قلبي المحزون بالله لا تسل
سأبكي عليه كلما أظلم الدجا * وما ابتسم الصبح المنير وما ابتهل
لقد كان بدرا زانه الحسن طالعا * فأصبح بعد النور والزهو قد أفل
وكان كريم السم والخال سيدا * اذا قام سوق الحرب لم يعرف الوجل
أحاطت به خيل اللئام بأسرهم * وقد مكنوا منه المهند والاسل
فوا أسفا لو انني كنت حاضرا * بأبيض ماض للجماجم منتصل
تركتهم وسط المهامه جيفة * عليها تمادى الطير في السهل والجبل
وحق الذي حجت قريش بيته * وأرسل طه المصطفى غاية الامل
لاقتل منهم في الوغى ألف سيد * اذا سلم الرحمن وانفسح الاجل

(قال الراوي) وأقبلت الامراء والصحابة رضي الله عنهم يعزون خالدا رضي الله عنه ومدامعهم تسيل من عيونهم ويقولون أعظم الله لك اجرا وأعقبك عليه صبرا وجعله لك غدا في المعاد ذخرا والله لقد هد موته منا القوى وقد ابيد كل قلب منا وانكوى ونحن القتلة ذاهلون فانا لله وانا اليه راجعون وكذلك يعزون المقداد في ولده عبد الله واتى الخبر الى عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو بمصر فكتب كتابا لهما بالتعزية وأيضا بلغ الخبر امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاسترجع هو وعثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب وطلحة بن عبد الله ومن كان من الصحابة بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم اجمعين وكتب الى خالد والمقداد رضي الله عنهما كتابا بالتعزية فلما وصل الكتاب اليهما قرآه ففرحا به واطمأنا بما فيه من التعزية لهما

(قال الراوي) هذا ما جرى لهؤلاء واما البطليوس لعنه الله فانه لما تحقق مجيء العرب الى مدينة البهنسا فتح خزائن الاموال وصرف ما فيها وفتح خزائن السلاح وفرق ما فيها من اللبوس وآلات السلاح وهي الدروع والجواشن والبيض والقسي والرماح والسيوف والسروج واللجم وغير ذلك مما يحتاجون اليه من الآلات على البطارقة وغيرهم من الجند وكانت جميع دولته عنده في الحضرة فعند ذلك توجه الى البيت المقفول الذي ذكرناه اولا الذي فيه صور العرب وأسماؤهم فأمر بفتحه وهو يظن ان فيه اموالا قديمة مدخرة وفيه من التحف وغير ذلك ففتحه القسيسون والرهبان من قبضه

وهم يقولون له ان فتحت هذا البيت فان العرب تملك المدينة منك وانه مرصود للعرب حتى اذا فتح ملكوا المدينة فأبى ولم يسمع قولهم وفتح البيت فلم يجد فيه غير أسماء العرب وصفاتها كما ذكرنا فى أول الكتاب فنظر لذلك ودخل الكنيسة وجلس على سريره وجمع حوله البطارقة والرهبان واستشارهم فى أمرهم وماذا يكون مع العرب فقام شيخ كبير راهب وكان معظما عندهم مسموع الكلام كبير السن قد بلغ من العمر مائة وعشرين سنة ولبسه من الصوف الاسود وعلى رأسه قلنسوة وفى وسطه زنار وفى يده عكاز من الابنوس مطعم بالذهب والفضة فرقى منبر الهيكل وتكلم بكلام لا ينبغى ثم قال (يا أهل دين النصرانية وبنى ماء المعمودية قد كانت دولتكم قائمة وكلمتكم مسموعة ما دمتم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتعدلون فى الرعية وتأخذون للضعيف حقه من القوى وتنصفون المظلوم من الظالم ولا تمدون ايديكم الى شئ من أموال الرعية وتنهون عن الزنا فكانت الدولة لكم وقلوب الرعية منجذبة اليكم وداعية لكم فاهذا كان الملك معكم فلما اذ لا تأمرون بمعروف ولا تنهون عن منكر وتظلمون الرعية وتجورون فى احكامكم وتحكمون بغير الحق ومددتم ايديكم الى اموال الرعية وفشت فيكم المعاصى وتغيرت منكم قلوب الرعية ومدوا أيديهم بالدعاء عليكم بعد ان كانوا يدعون لكم ودعاء المظلوم مستجاب وكثرة الظلم خراب فيوشك أن تنزع هذه النعمة من أيديكم وتعود الى غيركم لكثرة ذنوبكم وشؤم معاصيكم ولاجل ذلك سلط الله عليكم العرب فملكوا بلادكم وقتلوا رجالكم ونهبوا اموالكم وسكنوا منازلكم فتيقظوا الساعة من غفلتكم وذبوا عن حريمكم واولادكم وهذه مقالتى) فلما سمع البطلوس كلام القس وما تكلم به التفت الى بطارقته ونوابه وقال لهم هل سمعتم ما قال ابوكم قالوا سمعنا قال فما عندكم من الرأى قالوا نحن معك وبين يديك نقاتل العرب ولا نطمعهم فينا مثل ما طمعوا فى غيرنا وان غلبونا استندنا للحصار وعلونا على الاسوار وقاتلناهم وعندنا من الميرة والعلوفة ما يكفينا عشر سنين وأزيد وبلادنا حصينة ولا نسلم أنفسنا ولا نكون عارا عند الملوك قال فشكرهم البطلوس عند ذلك فوثب قس آخر يناظر ذلك القس فاستخرج كتابا قديما كان عنده فى صندوق من الابنوس مقفول عليه باقفال من الفولاذ وقال يا اهل دين النصرانيه وبنى ماء المعموديه اسمعوا وانصتوا الكم العلماء والكهان القدماء ان الله يبعث نبيا فى آخر الزمان يسمى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم من بنى عدنان يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه يبعثه الله تعالى

عز وجل نبيا الى جميع البشر مولده بمكة وهجرته بطيبة ثم يقيم اياما ويتوفاه الله تعالى
ثم يتولى الامر من بعده رجل يسمى ابا بكر ويقاتل بعض العرب ويجهز العساكر الى
الشام ثم يلبث الا قليلا ويتوفاه الله عز وجل ثم يتولى الامر من بعده الرجل الاصلع
عمر بن الخطاب تفتح على يده الامصار وهو والله صاحب الفتوح ومصباح الملوك
وتدب سراياه في جميع الاقطار وانا نجد في الكتب القديمة ان هذه المدينة تفتح على يد
رجل اسمر اللون وهو فارس شديد وبطل صنديد يسمى خالد بن الوليد فان سمعتم
لقولي قبلتم فاعقدوا مع العرب صلحا فان الدولة لهم ودين الحق معهم والله ناصرهم
ولو قاتلهم اهل المشرق غلبوهم وانتصروا عليهم ببركة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم
وقد نصحت لكم جهدي فان خالفتم قولي علا كم الندم وهذه مقالتي والله الموفق قال
فلما سمع البطلوس الملعون والبطارقة قوله غضبوا غضبا شديدا وارادوا قتله فمنعهم
البطلوس من ذلك والتفت الى الراهب وقال كانك خفت من سيوف العرب وانا
اعلم ان القسيسين والرهبان لا قلوب لهم لانهم ليس لهم الا اكل العدس والزيت
والاشياء الرديئة ولا يعرفون اللحم فلاجل ذلك ضعفت قلوبهم فتجنبوا الحرب
والقتال فلولا مقامك من قديم الزمان ورؤيتك الملوك القدماء لبطشت بك ولئن
عدت الى مقالتك هذه قتلتك اشر قتلة قال فعندها سكت القسيسون والرهبان
وخرج البطلوس من وقته وجلس في قصره ذي الاعمدة المتقدم ذكره في اول الكتاب
واستدعى ببطارقته وخلع عليهم الخلع ودفع لهم الاعلام والصلبان واعرض من عنده
من الجيوش من المقاتلين واستحصاهم فاذا هم ثمانون الف فارس خارجة عن السوقة
والمشاة ففرح بذلك فرحا شديدا ثم استدعى ببطريق من بطارقته اسمه باسيل بن
فرعيا وكان احد جلساء السرير وكان لا يقطع امرا دونه فخلع عليه ودفع له ثلاثين
الفا وامره بلاقاة العرب ثم استشار خواص دولته بالاقامة في البلد او الخروج الى
ظاهرها فقال له ذو والرأي من البطارقة ايها الملك انك اذا اقمت ههنا في قصرك هذا
في المدينة استضعفوا امرنا واذا كنت خارج المدينة لا تجسر العرب علينا ولا يصلون
بسوء الينا او ضعل البلد نخاف ظهورنا ونقاتل امام الابواب وتساعدنا الرجال بالاحجار
وغيرها من فوق الاسوار فاذا عظم الخطر واشتد البلاء والكرب ندخل ونغلق
الابواب علينا ونعلو على الاسوار ونقاتل من يعتدي علينا ولا ندخل الا من امر عظيم
وهذا ما عندنا من الرأي الصواب فاستصوب رأيهم ثم انه امر الفراشين والخدم ان

تضربوا الخيام والسرادقات والقباب بظاهر المدينة فأخرجوها وأخرجوا له سرادقا عظيما طوله سبعون ذراعا وارتفاعه عشرون ذراعا على أعمدة من عالي الخشب المصفح بالذهب والفضة مفروش بالحرير الملون الازرق والاحمر والاصفر والاخضر والاسود مقضب بقضبان الذهب والفضة مرصع باللؤلؤ فيه تصاوير من داخله وظاهره من جميع اجناس الطيور والوحوش وغير ذلك وفرشوا فيه بسطا من الحرير الملون ووضعوا فيه الوسائد والمساند والانطاع واطناب السرادق من الحرير الملون مدفوق لها سنابك من عاج وابنوس في حلق من الذهب والفضة ووضعوا له فيه سريرا من الذهب طوله سبعة اذرع في عرض خمسة اذرع وارتفاعه مثل ذلك يصعد اليه بدرج من خشب مصفح بالذهب والفضة وعليه فرش من حرير ووسائد ومساند ونمارق وحوله ثمانون كرسيا مصفحة بالفضة تجلس عليها ارباب الدولة واصحاب الصولة وضربوا حوله من الخيام والسرادقات ما لا يوصف حدث بذلك المغيرة بن شعبة واصحابه رضي الله عنه وعنهم حين ارسلهم غانم بن عياض الاشعري رضي الله عنه الى البطلوس على ما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وضرب لبطريق من بطارقته اسمه سمعان بن شاول خياما وسرادقات عند باب الجبل ودفع له عشرة آلاف فارس وانزله عند باب توما وهو الباب القبلي ودفع لبطريق آخر اسمه اصطانيل عشرة آلاف فارس وامرهما ان يكونا في الجانب الشرقي المقابل باب البحر حول القلعة (ثم امر) بكنيسة من الخشب المنحوت منقوشة بالذهب والفضة مزخرفة ارتفاعها عشرون ذراعا وسعتها ثلاثون ذراعا فيها تصاوير مدهونة مطلية بالذهب والفضة لها عجل يجرونها عليه بسلاسل فنصبت مقابل الباب وكانت هذه عادة ملوك الروم اذا سافروا يأخذونها ويحملونها واذا نزلوا اقاموها فاذا كان المكان قريبا جروها بالسلاسل وقدمت الاعلام السود واكثروا من الصلبان على اعلى الاسوار وعلى الابراج وزينوا الرايات ورتبوا الرماة بالسهام وغير ذلك

*(قال الراوي) هذا ما جرى لهؤلاء واما الامير غانم بن عياض الاشعري رضي الله عنه فانه لما قرب من البهنسا استدعى اصحابه رضي الله عنهم وقال لهم تفرقوا ثم استدعى بابي ذر الغفاري وابي هريرة الدوسي ومعاذ بن جبل بن هاشم المخزومي ومالك الاشتر وذي الكلاع الحميري ومعهم الف فارس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم اجمعين وامرهم بالنزول من الجهة الشرقية وقال لهم ان قاتلوكم فقاتلوهم

ونازلوا القلعة حتى تأخذوها بمعونة الله عز وجل وعاد الامير غانم رضى الله عنه من الجهة البحرية ومعه اصحاب الرايات من الامراء والسادات وهم الفضل بن العباس ومسلم وجعفر وعلى اولاد عقيل بن أبى طالب وعبد الله بن جعفر وزياد بن أبى سفيان وعبد الله بن العباس ثم تتابعت الامراء والسادات خلفهم مثل نعيم بن عدى وهشام ابن العاص وعبد الله الدوسى وسعيد بن جبير الدوسى وحسان الطائى وجبير ابن سعيد الحميرى وسيف بن أسلم وسنان بن أسلم الانصارى ومخلد بن عون الكندى وربيعة بن مالك والقعقاع بن عمرو التميمى ومسروق العبسى والمسيب بن نجى الفزارى ومحكم بن عدى والمغيرة بن شعبة وراشد بن سعد وسعيد بن نجم وجابر ابن عبد الله الانصارى والحارث بن ربيعة الانصارى ومالك بن الحارث ورافع ابن سهل وزيد بن عامر وعبيد بن اوس وعبد الله بن ظفير وأبو لبابة بن المنذر وعون ابن ساعدة والعباس بن مرداس وعبد الله بن قرطبة وزيد بن خالد الجهنى وعبادة ابن غنيم وظافر بن حمزة وكعب بن عجرة وابن زيد الخيل ومثل هؤلاء السادات وأصحاب الرايات رضى الله تعالى عنهم أجمعين وتتابعت الكتائب يتلوا بعضها بعضها وأعداء الله فى الجانب الغربى

(قال الراوى) فبينما هم يسيرون واذا بعدو الله باسيل قد اقبل بالبطارقة المتقدم ذكرهم فلما التقى الجمعان عند سفح الجبل تحت القارة أشار البطريق المذكور على أصحابه بان يقفوا ويمسكوا عن المسير فصعد على رابية عالية ثم الى جانبه فارس من متنصرة العرب ونادى باعلى صوته ابعثوا الى البطريق رجلا منكم فوثب جبير بن نوفل الحميرى رضى الله عنه وأتى الى الامير غانم رضى الله عنه ثم قال له أيها الامير أتاذن لى ان أمضى اليه وأكلمه فقال نعم امض اليه وان طلب الصلح ورفع القتال صالحناهم حتى يحضر الامير خالد رضى الله عنه ويفعل أمره وان اسلموا تركناهم وان أرادوا القتال قاتلناهم واستعنا بالله عز وجل وهو حسبنا ونعم الوكيل

(قال الراوى) فعندها سار جبير رضى الله عنه حتى وقف بازاء البطريق وقال له قل حاجتك أيها البطريق وماتريد قال له انت أمير القوم فقال لا ولكنى متكلم عن الامير فخاطبه وقال له بلسان عربى لماذا تركتم بلاد الشام والنعم العظام وأتيتم الى هذه البلاد وقد كنتم بالحجاز تقاسون جوعا وعريا وضرا فذقتم فواكه الشام وتمر الحجاز وخيرات اليمن فلم يكفكم ذلك ولم يقنعكم حتى أتيتم الى مصر وقهرتم القبط وملكتم

بلادها ولم يكفكم ذلك حتى أتيتم الى بلادنا وهجمتم علينا فى منازلنا وقتلتم أبطالنا ونهبتم أموالنا ونحن نتغافل عنكم ونمهلكم ونتمهل اموركم حتى غلبت شوكتكم فقصدتم شرنا ومدينتنا التى هى دار ملكنا ومحل حكمنا وقد طلبتها قبلكم الفراعنة والجبابرة والقبط فعجزوا عن ذلك ولم نعط لاحد من الملوك ضيعة وان المقوقس فى أيام ولايته كان يحمل الخراج لقيصر ملك الروم فلم يتجاسر علينا وكان يكتفى شرنا وكذلك قيصر ملك الروم كاتب المقوقس فى شأننا فلم يتجاسر علينا وتغافل عنا ولا عنع الملك عنكم الا استحقاره لكم واستضعافه بكم وقد عظمت نفسه عليه أن يخرج اليكم وهو الآن مستعد لكم فقل لنا ما الذى تريدون منا فان كنتم تريدون مالا وترجون مناصدقة عليكم وترجعون الى بلادكم فقد أنا بذلك عن الملك بشرط أن تردوا لنا ما ملكتم من بلادنا فان الملك لا يخالف لى أمرا وان كان غير ذلك فأعلمنى فقال جبير رضى الله عنه هل فرغت من كلامك يا اشم قال نعم فقال جبير خذ جواب كلامك أما قولك اننا كنا فى ضيق حال فهو كما ذكرت لكن أنعم الله علينا بالاسلام وهو أول منة وأعظم نعمة أنعمها علينا ثم أمرنا بالجهاد لاعلاء كلمة الله عز وجل فامتثلنا والله عز وجل أباح لنا أموال المشركين ما داموا لنا محاربين وأمرنا أن نقاتلهم حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يقوموا بالجزية أو نقاتلهم حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (وأما) قولك اننا ننزل عن بلاد ملكناها منكم فهذا امر لا يكون ولو جرعنا كاسات الردى ولنلحقن مدينتكم بما ملكنا ان شاء الله تعالى (واما) قولك المال فليس هو غرضنا وليس لنا حاجة به وعن قريب نأخذ ما بقى من بلادكم واموالكم ونقسمها بيننا فلما سمع البطريق ما قاله جبير غضب غضبا شديدا وقال انا كفؤ لكم دون الملك ثم امر بالحملة عليه قال جبير رضى الله عنه ما لوت عنا حوادى وجعت الا والروم ادركتنى فحمانى الله تبارك وتعالى منهم

* (قال الراوى) * فحين عاين الصحابة رضى الله تعالى عنهم انى مطرود تواثبت فرسان المسلمين وصار القتال وتبادرت الرجال وصممت الابطال واشتد النزال ورشقت النبال وكثرت الاهوال وتطاعنت الفرسان وبانت الشجعان وولى الجبان واصطدم الجمعان فلله در عبد الله بن ظفير وعون بن ساعدة وعياذ بن تميم والفضل بن العباس رضى الله عنهم لقد قاتلوا قتالا شديدا وابتلوا بلاء حسنا وفرقوا جيش الروم ميمنة وميسرة وبرز الواقى فقاتل شديدا واستمر عنده من ارتفاع الشمس الى وقت

العصر فعندها وثب عبد الله بن جعفر الى البطريق باسيل المذكور وضربه فجادعنها عدو الله وولى منهزما فحمما حملا عظيما على الروم نحو ثلثمائة فارس وانذادت الاهوال وصالت الابطال ولم يزالوا فى نزال وقتال حتى غابت الشمس وافترق الجمعان وقد قتل من المسلمين نحو خمسين فارسا الاعيان منهم عمارة بن نافع وسالم بن عمار وهلال ابن وهب ويسار بن مسروق الحميرى وعامر بن جابر والبقية من اخلاط الناس رحمة الله عليهم أجمعين وقتل من الروم نحو الف فارس

(قال الراوى) وصبر أعداء الله الى الليل وفروا تحت الظلام هاربين الى البطلوس لعنه الله فلما رآهم زهقت نفسه وضاقت حضيرته والتفت اليهم مغضبا ووبخهم توبيخا عظيما وقال لهم بأى وجه تفرون من العرب ولم تصبروا لهم يوما واحدا وقد فشلتم وجزعتم واهلكتم فرسانكم وأبطالكم بدون ما اقول فقال له البطريق باسيل أيها الملك ليس الخبر كالعيان وهؤلاء ليسوا اناسا وانما هم يشبهون الجان ولولا الاجل حصين ما كنت عدت اليك وسوف تظهر للملك مقالتى فانهم لا يرهبون الموت ولا يخافون الفوت قال فلما سمع الملك منه هذا المقال غضب منه فى الحال وقال له اسكت لا لقيت خيرا انما تمكن الخوف من قلبك وسترى ما يكون ثم باتوا فى قلق عظيم حتى اصبح الله بالصباح فشاوروا بعضهم فقال لهم الملك امهلوا حتى ننظر خبر العرب

(قال الراوى) فلما اصبح المسلمون رضى الله عنهم صلوا صلاة الصبح وتبادروا الى خيولهم فركبوها وتفقدوا أعداء الله فاذا هم قد هربوا وانهزموا ولم يجدوا لهم أثرا فعندها ساروا حتى قربوا من المدينة المذكورة وهى البهنسا فلاحت لهم الصلبان والمضارب والخيام والسرادقات والاعلام (ربه قال) حدثنا قيس بن هلال عن عامر بن هلال عن زيد الخيل رضى الله عنهم قال لما أشرفنا على مدينة البهنسا ورأينا تلك المضارب والخيام والقباب والصلبان التى ما سمع بمثلها فى الآفاق ورأينا تلك المدينة عالية الجدران حصينة الاسوار والبنيان منيعة الابراج والاركان وحولها تلك المضارب والخيام فدعا الامير عياض بن غانم رضى الله عنه بقوله اللهم خذهم وانصرنا عليهم انك على ما تشاء قدير يا أرحم الراحمين وامن المسلمون رضى الله عنهم على دعائه واقبلت الصحابة رضى الله عنهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير صلى الله عليه وسلم فلما اقبلنا وكبرنا خرجت اعداء الله الى ظاهر

الخيام وبأيديهم السيوف المجذبة والدرق المكوكبة والقسى والنبال والسهام ولم يكترثوا بنا فأراد جماعة من المسلمين الحملة عليهم فمنعهم الامير غانم رضي الله عنه وبقية الامراء من ذلك وقالوا لا حملة الا بعد انذار

(قال الراوى) واما ما كان من أعداء الله فانهم استخفوا بنا واستقلونا فى أعينهم وطمعوا فينا ولم يأتوا الينا ولم يناشدونا ونزل عسكر المسلمين رضي الله عنهم بجانب الجبل عند التل الاصفر قريبا من البنيان الذى على القارة بحرى المدينة هذا ما جرى لهؤلاء واما أبو ذر الغفارى وأبو هريرة الدوسى ومعاذ بن جبل ومسلمة بن هاشم ومالك الاشتر وذو الكلاع الحميرى رضي الله عنهم فانهم ساروا حتى نزلوا قريبا من القوم وباتوا تلك الليلة فلما أصبحوا خرج أعداء الله الى لقائهم فقال مالك الاشتر رضي الله عنه يا قوم ان أعداء الله خرجوا الى لقائكم فاشغلوهم بالقتال وارسلوا جماعة منكم يقطعون الجسر واستعينوا بالله فعندها خرج الامير المرزبان ومعه نحو ثلثمائة فارس رضي الله عنهم حتى وصلوا الى الجسر والحجارة تتساقط عليهم من أعلا السور فاستعانوا بالله تبارك وتعالى وقطعوا الجسر وجعلوا فى أماكن المخاضات حراسا بسيوف مجذبة فبينما هم كذلك واذا بالروم للئام أقبلت فاقتتل الفئتان قتالا شديدا واشتد القتال وعظم النزال واصطدم الابطال وقتلت الرجال فأقاموا فى ذلك الحرب سبعة أيام وكلما أتوا مكان المخاضات وجدوها محروسة بالفرسان ومحصنة بالشجعان من السادات والاصحاب رضوان الله عليهم أجمعين وصار كل ليلة يهرب منهم جماعة ويخرجون على وجوههم وخرج منهم جماعة أيضا وساروا بليل يريدون الهرب الى الصعيد فلقاهم رافع بن عميرة الطائى وسرية من أصحاب قيس بن الحارث رضي الله عنهم عند البلد المعروفة بالقار وكانوا حول البحر اليوسفى يشنون الغارات على ذلك السواد فبينما هم كذلك اذ سمعوا دوى الخيل وقعقعة اللجم فظنوا أنهم مسلمون فكلموهم فلم يجاوبوهم واذا هم الهاربون وكانوا نحو سبعمائة فارس فغروا من بين أيديهم فتبعوهم وقتلوا منهم نحوا المائتين وقتل من المسلمين رضي الله عنهم ثلاثة فرسان عند مخاضة كانت قبلى المدينة واسروا الباقين فسألوهم عن سبب خروجهم فأخبروهم انهم خرجوا هاربين فعند ذلك أوثقوهم كتافا وأتوا بهم كذلك الى بين يدى قيس بن الحارث رضي الله عنه فعند ذلك أمر قيس عمرو بن مالك رضي الله عنه ان يأخذ معه ثلثمائة فارس ويمضوا بالاسارى الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فساروا

فلما طلعت الشمس الا وهم عند القلعة المذكورة فأعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير صلى الله عليه وسلم فنفرت اليهم الروم والاسارى معهم واقبلت المسلمون اليهم فوجدوا الاسارى معهم ففرحوا بذلك فرحا شديدا رضي الله عنهم ثم عرضوا الاسارى على الامراء المتقدم ذكرهم فعرضوا عليهم الاسلام فامتنعوا من ذلك فضربوا رقابهم والروم ينظرون الى ذلك ثم زحفت عليهم المسلمون براياتهم واقتتلوا قتالا شديدا وحمى الحرب وكثر الطعن والضرب من ارتفاع الشمس الى وقت العصر فعند ذلك جالت الامراء رضي الله عنهم وصالوا وهم كالاسود الضارية وأوقعوا القتل في الروم فتساقطوا عن خيولهم فلما رأوا ذلك ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فدخلوا المدينة واغلقوا الابواب واستعدوا للحصار ونصبوا آلة المنجنيق فوق الاسوار

(قال الراوي) هذا ما جرى لهؤلاء في الجانب الشرقي واما الذين هم في الجانب الغربي فانهم نزلوا في سفح الجبل في المكان المتسع من الجهة البحرية الى الجهة الغربية فلما جاء الليل أوقدوا نيرانهم واجتمع كل بني قبيلة مع اخوانهم وبني اعمامهم وباتوا يقرؤن القرآن ويصلون على سيد ولد عدنان عليه الصلاة والسلام وباتوا منهم الامين وهو راكع وساجد ومبتهل الى الله عز وجل على أن ينصرهم على عدوهم (وأما الروم اللئام فانهم باتوا يشربون الخمور من داخل المدينة ومن خارجها ويضربون بقرونهم ونواقيسهم ويعلنون بكلمة كفرهم حتى ضجت الارض منهم واستغاثت الى الله تعالى فناداها عز وجل بلسان القدرة والعظمة ابشري فوعزتي وجلالي وكرمي وكمالي لاهلكن الطغاة والجبابرة والكفرة منك قريبا ولاسكننك قوما يوحدوني ويمجدوني ويكبروني ويهللوني ويشكروني من خيار خلقي من أهل الايمان وحملة القرآن يملكون أهل الكفر والطغيان ولاجعلن تلك الكنائس والبيع مساجد للصلوات والجمعة والجماعات

(قال الراوي) عن بعض العارفين من الاصحاب فلما سمعت تلك الارض الخطاب من قبل رب الارباب استبشرت بالفرح والسرور باذن الملك القهار الغيور من خضعت لهيبته جميع الاقطار وقهرت من عظمته الطغاة والجبابرة سرت الارض فرحا وطربا وتاهت دلالا وعجبا وبقيت منتظرة لوعد ربها الذي وعدها وذكرها فلم يكن غير قريب حتى أزال الله عز وجل عنها أهل الكفر اللئام واسكنها امة محمد صلى الله عليه وسلم خير الانام وصارت تلك البيع مساجد للصلوات ورباطات وزوايا لاهل

الطاعات وبدلت تلك الكنيسة بجامع عظيم المقدار فيه تقام الصلاة في الليل والنهار
وجعلت تلك البرية مدفنا للسادات الشهداء الاطهار وصار عليها بعد الظلام أنوار
وصارت زيارتها تحط الخطايا والاوزار ببركة من فيها من الائمة الاخيار ثم نرجع الى
ما كنا فيه من سياق القصة العجيبة والدرة المطربة الغريبة

(قال الراوى) فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح صلى المسلمون صلاة الصبح
ثم جلسوا ينتظرون ما يكون من أمر الروم واذا بقسيس قد اقبل راكبا على بغلة وعليه
مدرعة من شعر وقلنسوة وزنار فسار حتى قرب من عسكر المسلمين ثم تكلم بلسان
العربية وقال أريد أمير القوم وبه قال حدثنا قيس بن شماس عن كعب بن همام عن
شداد بن اوس وكان من أصحاب الرايات قال بينما نحن جلوس نتحدث مع الامير غانم
ابن عياض الاشعرى رضى الله عنه اذ اقبل عبد الله بن عاصم واخبره بأمر القسيس
فأذن له الامير غانم بالدخول فدخل فوجد غانما جالسا فى خيمته على فرشة محشوة
من الليف وفرش المشركين التى اكتسبوها مطوية لم تلتفت الصحابة رضى الله عنهم
اليها ولا الى ما غنموه من المشركين من الحلل الفاخرة ولا الى الحلى وغيره ووجد
حول الامير غانم رضى الله عنه الامراء والسادات مثل الفضل بن العباس بن عبد
المطلب وابن عمه الفضل بن أبى لهب وعبد الله بن العباس ومسلم وجعفر وعلى أولاد
عقيل وزياد بن ابى سفيان والحارث بن عبد المطلب واسامة بن زيد بن حارثة وأبى
البابة بن المنذر والوليد ومحمد بن عقبة ومعيط وأبو أيوب الانصارى وثوبان وفضالة بن
أبى معيط بن الاسقع ووائل بن حجر والاشعث بن قيس واوس بن حذيفة ووائلة
الثقفى وعبد الله بن أبى وعمران بن حصين وجرير بن عبد الله وزيد بن أرقم والبراء
ابن عازب وزيد بن ثابت وأبى قتادة وأبى مسعود البدرى وجندب بن عبد الله وعثمان
ابن العاص وعروة بن الجعد البارقى وأبى ذر المقلى وعبد الله بن يزيد وضمرة بن
لبان والمهاب الطائى وأبى زر بن العقيلى ومعاوية بن الحكم والمغيرة بن شعبة الثقفى
وبقية الامراء والسادات الكرام جالسين حول الامير غانم بن عياض وهو جالس
كأحدهم وسيوفهم على أفخاذهم وهم كأنما على رؤسهم الطير من الهيبة والوقار رضى الله عنهم
اجمعين فقال لى القس ايكم الامير فأشاروا الى غانم بن عياض رضى الله عنه فالتفت
له القس وقال له يا فتى انت اميرهم قال نعم كذلك يزعمون مادمت على طاعة الله
عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان انا غيرت او بدلت فلا امرية لى عليهم

فقال القس بذلك نصرتم على غيركم من الامم اعلم أيها الأمير ان البطلوس قد أرسلني اليكم يريد منكم من ذوي الرأي والخبرة جماعة يسألهم في امره فلعل ان يكون فيه شيئا يحقن الدماء بيننا وبينكم

(قال الراوي) فعند ذلك التفت الامير غانم الى أصحابه رضي الله عنهم وقال ماذا تقولون فيما أتاكم به هذا القس ومن ينطلق معه الى البطلوس ويخاطبه ويعود الينا ان شاء الله تعالى قال فوثب المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قائما وقال أنا امضي معه اليه وارسل معي عشرة رجال من السادات من ذوي البأس والمروآت فقال له اختر من شئت وفقك الله لما يحب ويرضى وسدد امورك وأعانك وردك علينا سالما غانما ببركة محمد صلى الله عليه وسلم فالتفت المغيرة الى من خلفه وقال ابن سعد بن عبيد ابن ابو ايوب ابن خالد بن ثابت ابن ثابت الانصاري ابن مسعود البدوي ابن جبير بن مطعم ابن أبو ذر الغفلي ابن الحكيم الثقفي ابن عمران بن حصين ابن زيد بن أرقم فاجابه بالتلبية رضي الله عنهم فقال لهم تأهبوا وانطلقوا معي على بركات الله تعالى وعونه فقالوا سمعا وطاعة وبادروا رضي الله عنهم الى خيامهم ولبس كل واحد منهم درعه وشد وسطه بمنطقته وحجفته وتقلد بسيفه واعتقل برمحه واخذ عبده خلفه على دابة واما المغيرة رضي الله عنه فانه دخل الى خيمته ولبس درعه وشد وسطه بمنطقته وهي أديم مطلية بفضة فيها خنجران واحد على اليمين وواحد على الشمال مطلي بالفضة وتقلد بسيف مجوهر واعتقل برمح أسمر وركب فرسه الدهما واخذ معه عبده مبارك راكبا على بغلة شهباء وركب الامير غانم والسادة الامراء خيولهم وودعوا المغيرة واصحابه رضي الله عنهم والتفت الامير غانم الى المغيرة رضي الله عنهما وقال له يا ابن شعبة ما الذي تتكلم به عند هذا الملعون فاعهد نلك الا دهقانا فقال له ادعوه او لا الى الاسلام فان أجاب فله ما لنا وعليه ما علينا وملكه باق له ونترك عنده من يعلمه شعائر الاسلام هو وقومه وما فرض عليهم من الصلاة والزكاة والحج والصيام وما ابيح من حلال وحرام فان أبى فالجزية في كل عام وان مكث على عناده وكفره فالقتال بحد السيف والحسام ونرجو النصر التام من الملك العلام ان شاء الله تعالى بجاه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام والامل بالله الملهم للصواب المعونة في رد الجواب فدعا الامير غانم والسادات الامراء له ولاصحابه رضي الله عنهم أجمعين وساروا وعبيدهم مردفون خلفهم معهم وهو راكب على بغلته وهم يعلنون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير

النذير السراج المنير صلى الله عليه وسلم قال زيد بن ثابت رضي الله عنه لما ودع المغيرة وأصحابه رضي الله عنهم الامير غانم وفارقوه نظرت اليه رضي الله عنه فاذا عيناه تذرفان بالدموع حتى بلت دموعه لحيته وهو يقرأ القرآن فقلت أيها الامير ما هذا البكاء فقال رضي الله عنه والله هؤلاء هم انصار الدين فان اصاب رجلا منهم شيء في امرية غانم فما يكون عذره وجوابه عند الله عز وجل قال وسار المغيرة وأصحابه رضي الله عنهم حتى أشرفوا على عسكر عدو الله البطليوس واذا هو قد ملأ تلك الارض بالطول والعرض وهو نازل حول المدينة والسلاح يلمع في عسكره كالشمس فصاح المغيرة ومن معه رضي الله عنهم بقول لا اله الا الله محمد رسول الله الملك لله الواحد القهار فبينما هم كذلك اذ أقبل عليهم ملاقاتهم بطاريق من البطارقة ومعه رجل من متنصر العرب راكبا الى جنبه ومعهم ما ضوى المائتين فارس وساروا وهم يمرون على كراديس الروم وهم على أبواب الخيام والمضارب وقد أظهروا زينتهم وبأيديهم السيوف المجذبة والدبابيس المذهبة والدرق المكوكبة والمغيرة مطرق رأسه هو وأصحابه رضي الله عنهم لا يلتفتون الى شيء من ذلك ولا يسألون عنه ولا يفكرون في عدة القوم ولا فيما أظهروا من زينتهم وسلاحهم حتى وصلوا الى سرادق الملك

(قال الراوي) فلاح لهم البطليوس وهو جالس على سرير من الذهب الاحمر فعند ذلك خرجت اليهم الحجاب والنواب وأرباب الدولة وأصحاب الصولة وهم يقولون لهم قد بلغتم سرادق الملك فانزلوا عن خيولكم وانزعوا سيوفكم فقال المغيرة رضي الله عنه أما خيولنا فننزل عنها وأما سيوفنا فلا ننزعها فانها عزنا وما كنا بالذي ينزع عزه الذي يستعز به فأخبرت الحجاب والنواب الملك بذلك فأمرهم بالدخول وسيوفهم معهم فعندها نزلوا عن خيولهم وأقبلوا يخترقون صفوف الحجاب والنواب والبطارقة الى ان وصلوا الى النمارق والفرش والديباج والملك جالس على سريره الذهب

(قال الراوي) فلما نظروا تلك الزينة عظموا الله وكبروه وصلوا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فارتجت السرادق وتغيرت ألوان القوم فعندها صاحت بهم الحجاب والنواب ان قبلوا الارض بين يدي الملك فلم يلتفتوا لهم وأجابهم المغيرة رضي الله عنه بقوله انه لا ينبغي السجود الا لله الواحد المعبود ولعمري كانت هذه تحيتنا في الجاهلية فلما بعث الله تبارك وتعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم نهانا ان لا يسجد بعضنا لبعض قال فسكتوا ثم أمر الملك بكراسي من ذهب وفضة تنصب لهم فلم يجلسوا عليها

وكانوا حينئذ يمرون على فرش الديباج يزيلونها من قدامهم ولم يمشوا عليها فقالت لهم الحجاب قد أسأتم الادب معنا ولم تسجدوا للملك ونزعتم فراشنا فأجابهم المغيرة رضي الله عنه ان الادب مع الله تعالى لا معكم والارض أطهر من فراشكم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وقال الله تبارك وتعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى

(قال الراوي) ولم يكن بين المغيرة وأصحابه رضي الله عنهم وبين البطلوس ترجمان لانه كان أعرف الناس بالعربية فأمرهم بالجلوس فقالوا له اما ان تنزل عن سريرك هذا وتكون معنا على الارض أو نجلس معك على السرير لان الاسلام شريف وقد شرفنا الله تبارك وتعالى به فأشار لهم بالجلوس معه على سريره وذلك بعد ان أزالوا الفرش من أعلى السرير وجلس الى جانبه المغيرة رضي الله عنه فالتفت اليهم البطلوس لعنه الله وقال أيكم المتكلم عن أصحابه فأشاروا الى المغيرة رضي الله عنه وأيديهم مقبوضة على سيوفهم فقال البطلوس ما اسمك قال عبد الله المغيرة قال له يا مغيرة اني اكره ان ابدأك بالكلام فقال له المغيرة تكلم ما شئت فان عندي لكل كلام جواب فان شئت تبدؤني أو ابدؤك قال بل ابدأك فأوضح في كلامه البطلوس فقال الحمد لله الذي جعل سيدنا المسيح أفضل الانبياء وملكنا أفضل الملوك ونحن خير السادات وأراد ان يتكلم بقية كلامه فقطع الامير المغيرة رضي الله عنه كلامه فقالت الحجاب والنواب لقد أسأت الادب مع الملك يا أخا العرب فأبى المغيرة ان يسكت وقال الحمد لله الذي وفقنا للاسلام وخصنا من بين الامم بنبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فخلصنا من الضلالة وأنقذنا من الجهالة وهدانا الى صراط مستقيم والى دينه المتين القويم نحن خير أمة أخرجت للناس نؤمن بنبينا ونبيكم وجميع الانبياء وجعل أميرنا الذي هو متولي الامر علينا كاحدنا ولو زعم أنه ملك أو جار في حكمه عزلناه عنا فلسنا نرى ان له فضلا علينا الا بالتقوى وقد جعلنا الله نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونقر بالذنب ونستغفر الله منه ونعبد الله عز وجل لا شريك له في الملك ولو اذنب الرجل منا حتى بلغت ذنوبه ثقل الجبال ثم تاب منها قبلت توبته فان مات مسلما دخل الجنة فتغير لون البطلوس ثم سكت قليلا وقال الحمد لله الذي بلانا بأحسن بلاء ونصرنا على الامم وأعزنا فلم نذل ومنعنا من ان نضام فليس فيما أنعم الله به علينا ببطرين ولا باغين على الناس ولقد كانت جماعة منكم قبل اليوم يأتون الى بلادنا

يمتارون البر والشعير وغيره فنحسن اليهم ونجزيهم فكانت العرب تشكرنا ذلك وأنتم جئتم بخلاف ذلك تقتلون الرجال وتسبون النساء والاطفال وتغنمون الاموال وتهدمون المدائن والقلاع والحصون والاطلال وتريدون ان تخرجونا من بلادنا وديارنا وتغلبون على مدينتنا وقد طلبها من قبلكم من هو أكثر منكم عددا وأموالا وسلاحا فلم يظفروا بنا ورددناهم خائبين ورجعوا خاسرين وتركناهم ما بين قتيل وجريح ومقتول وطريح ولم نذعن لقيصر ولا للمقوقس بخراج وملكنا بلادنا بالسيف على رغم انف كل أحد وأنتم لم يكن في الامم أضعف منكم لانكم أهل الشعير والبر والتمر ومع ذلك جئتم تطمعون في بلادنا وأموالنا وحولنا جنود كثيرة وشوكتنا شديدة وعصبتنا عظيمة ومدينتنا حصينة وما اجراكم علينا الا لانكم ملكتم الشام والعراق واليمن والحجاز وجئتم الى بلادنا فأفسدتموها وأهلها وأخربتم مدائنها وقلاعها ولبستم ثيابنا وتعرضتم الى بنات الملوك ونسائهم البيض الحسان فجعلتموهن خدما لكم وأكلتم طعاما طيبا ما كنتم تعرفونه وملأتم أيديكم من الذهب والفضة والمتاع الفاخر واللؤلؤ والجوهر وملكتم أموالنا وأمتعتنا التي هي من قومنا وأهل ديننا ونحن نترك لكم ذلك كله فلا ننازعكم فيه ولا نؤاخذكم بما تقدم من عظيم فعالكم من قتل رجالنا ونهب أموالنا والآن فارحلوا عنا واخرجوا من بلادنا وانصرفوا عن مدينتنا وأنتم موفورون لانفسكم وان أبيتم وثبنا عليكم وثبة واحدة تركناكم كامس مضى ليس له عودة وان جنحتم للصلح فتحنا خزائن الاموال وأمرنا لكل رجل منكم بمائة دينار وثوب حرير وعمامة مطرزة بالذهب ولاميركم هذا بألف دينار ولكل أمير منكم مثله وللخليفة عليكم بعشرة آلاف دينار كاملة بعد ان نستوثق منكم بالامان انكم لا تعودون الى بلادنا ولا تقاتلونا هذا كله والمغيرة رضي الله عنه ساكت حتى فرغ البطلوس من كلامه فعند ذلك قال المغيرة رضي الله عنه الحمد لله الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال البطلوس نعم ما قلت يا بدوى فقال المغيرة رضي الله عنه وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المرتضى ونبيه المجتبى قال البطلوس لعنه الله لا أدري ما محمد رسول الله فقال له المغيرة رضي الله عنه محمد صلى الله عليه وسلم نعرف أصله ونسبه هو نبي صادق تقي نقي مهدى رسول الناس كافة قال تعالى وأرسلناك للناس رسولا وقال تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا

لأظهر الله به دين الاسلام وأباد بسيفه عبدة الصلبان والاصنام ثم ختم الله به النبيين قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين عرفنا به عبادة رب العالمين فصرنا أئمة هذا الدين المتين فنحن نعبد الله تبارك وتعالى ولا نعبد من دونه أوثانا ولا نتخذ من دونه وليا ولا نصيرا ولا نسجد الا اليه وحده لا شريك له مقرين بنبوة نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى المغيرة رضي الله عنه وقال يا اعرابي اخبرني ما أفضل الساعات فقال المغيرة رضي الله عنه الساعة التي لا يعصى الله فيها فقال قد أصبت يا أخا العرب فقد ظهر لي رجحان عقلك فهل في قومك من له رأي مثل رأيك وحزم مثل حزمك فقال نعم في قومنا وعسكرنا أكثر من الف رجل على عقول وافرة وثبات من الرأي لا يستغنى عن رأيهم ومشورتهم وخلفنا أمثال ذلك وهم قادمون عن قريب ان شاء الله تعالى فقال البطلوس الملعون ما كنا نظن ذلك فيكم وانما بلغنا عنكم انكم جماعة جهال لا عقول لكم فقال له المغيرة رضي الله عنه كنا كذلك جاهلية جهلاء لا يأمن بعضنا على بعض الا في الاشهر الاربعة الحرم حتى بعث الله عز وجل فينا محمدا صلى الله عليه وسلم فهدانا وأرشدنا فقال له البطلوس لقد أعجبتني في كلامك قولك في صحبتي فقال المغيرة رضي الله عنه يسرني ذلك اذا فعلت ما أقول لك قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وتشهد ان محمدا عبده ورسوله بشر به عيسى عليه السلام فقال له البطلوس لعنه الله لا سبيل الى ذلك ولكن أردت ان اقرب الامر بيني وبينكم فقال المغيرة رضي الله تعالى عنه الامر كله لله وحده وقد أمرنا سبحانه وتعالى ان نجاهد من كفر بالله ورسوله وحاد عن دينه واتخذ مع الله شريكا جل ربنا وعلا وهو واحد أحد قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم فمن تبعنا كان من حزبنا واخواننا وله ما لنا وعليه ما علينا ومن أبى الاسلام فالجزية يؤديها الينا عن يد وهو صاغر فاذا أداها احقن بها دمه واحرز ماله وولده ومن أبى الاسلام والجزية فالسيف حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين والجزية على كل رأس في العام دينار وليس على صبي وامرأة وراهب منقطع في صومعته جزية فقال البطلوس لقد فهمت قولك عن الاسلام فما قولك في الجزية عن يد وهو صاغر فاني لا أدري ما الصغار عندكم فقال المغيرة رضي الله عنه ان تؤديها وأنت قائم والسيف على رأسك فلما سمع البطلوس الملعون كلام المغيرة رضي الله عنه غضب غضبا شديدا وقام وقعد مما وثب المغيرة هو

وأصحابه رضي الله عنهم وسلوا سيوفهم من أغمادها وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله

(قال الراوى) حدثني مسلم بن عبد الله عن طارف بن هلال عن عبد الله بن رافع عن مسعود البدرى رضي الله عنه قال كنت مع المغيرة رضي الله عنه فجذبنا السيوف ووثبنا على القوم وأخذتنا غيرة الاسلام وما في أعيننا من جيوشهم شيء فلما رأى البطلوس ذلك منا وتبين له الموت من سيوفنا نادى مهلا يا مغيرة ولا تعجل فتهلك وأنا أعلم انك رسول والرسول لا يفعل ذلك وانما كلمتكم لاختبركم وانظر ما عندكم فاغمدوا سيوفكم وجلس قال فاغمدنا سيوفنا وتقدم المغيرة رضي الله عنه حتى صار في مكان البطلوس وزحزحه الى آخر السرير وكان المغيرة رجلا جسيما فاتكأ عليه حتى كاد أن يخلع فخذه من موضعه قال ثم التفت الى المغيرة رضي الله عنه وقال له فما قولكم في المسيح بن مريم قال المغيرة رضي الله عنه هو عبد الله ورسوله قال فمن اين خلق قال خلقه الله من تراب ثم قال له كن فيكان فقال عدو الله فما الذى دل على ان الله واحد قال المغيرة رضي الله عنه القرآن العظيم في قوله عز وجل على لسان نبيه المرسل محمد صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال اللعين فما رأيت مثل حذق جوابك يا أعور وكان المغيرة رضي الله عنه قد اصيب في احدى عينيه يوم وقعة اليرموك فقال المغيرة رضي الله عنه لا يعيبني ذلك يا عدو الله ولكن قد اصبت في الجهاد في سبيل الله من كاب مثلك ملعون فقتلته وقتلت معه خلقا كثيرا وسوف اقتلك ومن معك واملك بلادك ان شاء الله تعالى وآخذ بثأرى وثار من قتل من المسلمين والمعونة والثواب من الله عز وجل فقال البطلوس ما أحذق جوابك فهل في قومك مثلك قال قلت لك فينا من أهل العلم والرأى والمشورة والجهاد ألوف وأنا لا أساوى معهم شيئا وأنى رجل بدوى فلو رأيت ابن عم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاتل الكفار وقامع الفجار مبيد الاشرار الليث الكرار السيد الهمام والاسد الضرغام مظهر العجائب مبيد المغالب سيدنا ومولانا الامام على بن طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه فقال وهل هو معكم في هذا الجيش فقد سمعت به واريد ان انظر اليه فقال له المغيرة رضي الله عنه اخسأ يا عدو الله لم تسأل عن الامام ان الامام عليا رضي الله عنه وكرم وجهه اعظم من ان يسير بنفسه الى كلب مثلك ولكن ان شاء الله تعالى عن قريب نقتلك ونجز رأسك ونرسلها

اليه

اليه ويضرب بك المثل جيلا بعد جيل فقال عدو الله هل غيره من الامراء عليكم قال المغيرة نعم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب متولى أمر المسلمين وبعده عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبى عبيدة عامر بن الجراح والزبير بن العوام وامراء متفرقة بالحجاز واليمن والعراق ومصر وكل أمير متقوم بألف مثلك فى الشجاعة والقوة والبراعة رضوان الله عليهم أجمعين (وأما) الامير خالد بن الوليد رضى الله عنه أمير هذا الجيش فانه سيف الله فى أرضه على أعدائه ومعه جماعة من الامراء كأنك به وقد اقبل علينا ومعه الامراء الامجاد والفرسان الشداد رضى الله عنهم أجمعين ويكون قتلك ومن معك على يديه ان شاء الله تعالى فقال عدو الله اريد ان اصلح الامر بينى وبينكم واريد قبل الحرب أن انظر الى جماعة منكم فقال المغيرة رضى الله عنه عن قريب تحصل بذلك فى عنقك وتتوجه اليهم بنفسك ماشيا حافيا تعتذر اليهم ليرفعوا عنك السيف وتراهم ان شاء الله تعالى وهم كالسباع الضارية وكان الملعون قد اراد الغدر بالمغيرة وأصحابه رضى الله عنهم ففهم المغيرة منه ذلك فقال له يا كلب النصرانية فى غد آتيك برجال منهم تنظر اليهم ففرح الملعون بذلك وأضمر فى نفسه ان يصبر حتى يأتوا بأجمعهم فاذا أتوا عنده يقتلهم جميعا فرد الله كيده فى نحره ثم وثب المغيرة وأصحابه رضى الله عنهم وما صدقوا بالنجاة وخرجوا من عند عدو الله البطلوس وقدم لكل منهم جواده فركبه وساروا جميعا ثم أمر عدو الله بالحجاب والنواب ان يسيروا معهم الى قريب عسكرهم

(قال الراوى) فلما وصل المغيرة وأصحابه الى أصحابهم رضى الله عنهم أجمعين اعلموا الامير غانم بن عياض رضى الله عنه بما وقع من البطلوس فقال الامير غانم رضى الله عنه وحق صاحب الروضة والمنبر ما تركتكم الا خوفا من سيوفكم وهذا رجل عنيد لان الشيطان لعنة الله عليه غلب على عقله فأخذت الصحابة اهبتهم للحرب والقتال ولقاء العدو واقبلوا رضى الله عنهم على بعضهم وصاروا يتحرضون على القتال وتحققوا ان العدو مبارزهم صباحا ولم يبت أحد تلك الليلة الا وهو مستعد للقتال وكان الامير غانم رضى الله عنه قد ارسل جواسيس فى صفة العرب المتنصرة ليتقلوا اليه الاخبار فأتت اليه الجواسيس واخبرته بأن الروم متهيئون للقتال ومستعدون لنا غاية الاستعداد وانهم يصبحون المسلمين فى الصباح فعند ذلك تهيأت الفرسان واعتدت الشجعان فلما اصبح الصباح توضئوا وصلوا صلاة

الصبح وركبوا خيولهم ورتبوا صفوفهم ونظر الامير غانم رضي الله عنه الى الصفوف ميمنة وميسرة فجعل في الميمنة الفضل بن العباس وأخاه عبد الله بن العباس وأولاد عقيل وزياد بن أبي سفيان بن الحارث وبني هاشم وبني عبد المطلب والزبير بن العوام وجعل في الميسرة أبا أيوب الانصاري وفضالة وأبو سلمة ووائل بن الاسقع وعبد الله ابن أبي جبير وزيد بن أبي زيد العقيلي ومثلهم من الامراء وجعل في القلب القعقاع ابن عمرو التميمي والمسيب بن يحيى الفزاري ومعاوية بن الحكم والعباس بن مرداس السلمي وهاشم بن العاص وعمار بن أبي سفيان وفي الجناحين عبد الله بن عمرو الدوسي وحسان بن النعمان والطائي وجرير بن نفيل الحميري ومسلم بن فرقد اليربوعي وسالم ابن أسلم الطائفي ومعمر بن خويلد المكاسكي وحسان بن الأوس الانصاري ومخلد ابن عوف الكندي وربيعة بن مالك التميمي وبكر بن سعد وجابر بن عبد الله والحارث بن ربيعة وقد اختصرنا في أسمائهم خوف الاطالة رضي الله عنهم اجمعين

(قال الراوي) وكان على الساقة مع النساء والصبيان معاذ بن جبل وسعيد ابن عبد البر والضحاك بن قيس رضي الله عنهم قال وصار الامير غانم رضي الله عنه يتخلل الصفوف ويقول الله الله الجنة تحت ظلال السيوف يا أهل الجنة ان الصبر عز وان الفشل عجز ان الله مع الصابرين فالصبر من اسباب الرضوان والفشل من اسباب الخذلان وصار يقول ذلك لاصحاب الرايات جميعا رضي الله عنهم

(قال الراوي) فما فرغ الامير غانم رضي الله عنه من كلامه الا وعساكر البطلوس قد اقبلت وامامهم صليب من الذهب الاحمر وزنه المسلمون رضي الله عنهم بعد اخذها فاذا هو خمسة ارطال في اربع جوانبه اربع جواهر تضيء كالكواكب (حدثنا) سفيان عن ابي الحارث الفزاري عن شداد بن اوس وكان ممن حضر الفتوح وشاهد الوقعة قال لما اقبلت الصلبان علينا وصرت اعدها صليبا بعد صليب حتى عددت ثمانين صليبا تحت كل صليب الف فارس وبين ايديهم القسيسون والرهبان وهم يقرؤن الانجيل وقد اكثروا في عسكرهم الرايات فبينما نحن كذلك واذا ببطريق اقبل وعليه درع من الذهب ولامة حربه كذلك وصار يلطم بلامته وسأل البراز فبرز له فارس من الاوس فقتله وطلب البراز فبرز له القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنه فتعاركا

وتجاولا فطعنه القعقاع فى صدره اخرج السنان يلمع من ظهره فوقع الملعون فى الارض يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فخرج بطريق آخر غضبان من أجل صاحبه وكان من جلساء البطلوس الملعون وطلب البراز فبرز له رجل من الازد فمنعه الامير غانم رضى الله عنه وقال له اذهب فلست انت كفؤا له فبرز اليه المسيب ابن يحيى الفزارى رضى الله عنه وضربه ضربة هاشمية فلقيها بجحفته وضربه العلج ضربة فارمى السلاح من يده فلم يجد أحدا يناوله سلاحه واراد الرجوع واذا بالقعقاع رضى الله عنه عطف عليه وضربه بالسيف على عاتقه الايمن اطلعه من عاتقه الايسر فانجدل عدو الله صريعا يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأت الروم ذلك حملوا على المسلمين حملة واحدة واشتد القتال وعظم النزال

(قال الراوى) وكان عدو الله الملعون البطلوس فى القدم راكبا جوادا كان أهداه له ملك سافوله وكان فى ايام الحصار يصعد ويمرح به فوق الاسوار والابراج وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى وعليه درع من الذهب وفى وسطه منطقة من الجوهر وعلى رأسه تاج فيه جواهر تضئ كالكواكب والصلبان مشتبكة على رأسه وخواصه محدقون به وقد حمل كردوس من الروم على ميمنة المسلمين فصبروا لهم صبر الكرام ثم حمل كردوس آخر وثالث ورابع فلله در الفضل بن العباس وأخيه عبد الله وابن عمه الفضل بن أبى لهب واولاد عقيل وعبد الله بن جعفر وسادات بنى هاشم رضى الله عنهم لقد قاتلوا قتالا شديدا وقد تقدم الفضل بن العباس رضى الله عنه الى حامل الصليب وطعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره فسقط الصليب من يده فنظر اليه البطلوس فاغتاظ غيظا عظيما وايقن بالهلاك وهم ان يأخذه فمال من ركابه فلم يجد سبيلا الى ذلك واخذته حمية المسلمين فحمل الفضل وسادات بنى هاشم رضى الله عنهم على الروم لاخذ الصليب اذا خالطهم فتكاثرت عليهم الروم وحملوا على الفضل رضى الله عنه حملة منكرة قوية فاستنجد الفضل باولاد عمه بنى هاشم رضى الله عنهم فحولوا الروم عنه وقتلوا منهم جماعة وازدحم المسلمون على ذلك الصليب يريدون اخذه من الروم فعطف الفضل ومال من ركابه واخذ الصليب ورجع به الى المسلمين ثانيا وسلمه لعبده مقبل فأخذه منه ورجع به الى خيمة سيده قال وحمل الفضل ثانيا وحملت الامراء من الصحابة رضى الله عنهم واشتد القتال وكثرت الاهوال وسال الدم وقوى العزم وثار الحرب وزاد الطعن والضرب فلما راى البطلوس لعنه الله ما حل بالروم

وكان معه من البطارقة والفرسان نحو الخمسة آلاف فحمل على المسلمين وكانوا على جناح الميسرة فقتلوا جماعة منهم واثخنوهم بالجراح فصبروا لهم صبر الكرام هذا والفضل رضي الله عنه تارة يكر على الميمنة وتارة يكر على الميسرة وحملت الامراء جميعهم رضي الله عنهم فلله در القعقاع بن عمرو والتميمي والمسيب بن نجبة الفزاري ومعاذ بن جبل وابن زيد الخيل وزياد بن المغيرة وعمار بن أبي سفيان رضي الله عنهم وقد قاتلوا قتالا شديدا وابتلوا بلاء حسنا حتى كانت الدماء على دروعهم كانها اكباد الابل وتوسطت المسلمون المعركة واذا ببطريق عظيم الخلقة كانه جبل قد اقبل وحمل على سفيان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد أن يضربه واذا بطعنة أتته من خلفه أردته عن جواده فسقط عدو الله وهو يسمع خشخشة الرمح في أضلاعه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واخذ سلبه الذي كان عليه وكان الضارب له زياد ابن أبي سفيان رضوان الله عليه فلما رأت الروم ذلك حملوا جميعا وقام الحرب على ساق وضربت الاعناق وشخصت الابصار وحارت الافكار وتضاربوا بالصفاح وتطاعنوا بالرماح وطمطمت الروم بلغتهم ولم يزالوا في قتال ونزال من طلوع الشمس حتى غابت وافترق الجمعان وقد قتل من المسلمين نحو مائتين وخمسة ختم الله لهم بالشهادة ونالوا السعادة الاعيان منهم سالم بن رافع وجندب بن مادن والمرقال بن هاشم وعبد الله بن غانم وربيعة بن سلمة والحصين بن ثعلبة وشجاع بن ميسرة وحصين بن رفاعة وهجاج ابن سارقة ومنصور بن غالب والبقية من اخلاط الناس رحمة الله عليهم أجمعين وبات الفريقان يتحارسان والمسلمون رضي الله عنهم يقرؤن القرآن ويصلون على النبي المختار سيد ولد عدنان محمد صلى الله عليه وسلم وقد أوقدوا النيران وأتوا الى المكان الذي كانت فيه المعركة فنبذوا القتلى فلما رأت المسلمون ما حل بأولادهم وأصحابهم رحمة الله عليهم استرجعوا وقالوا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال وقد قتل من الروم أعداء الله الفان وخمسمائة وقتل من خيارهم من البطارقة نحو أربعين من أرباب الدولة وأصحاب الصولة من جلساء سرير الملك

(قال الراوي) فلما رأى عدو الله البطليوس ذلك وما حل بقومه من البطارقة وغيرهم عظم عليه وكبر لديه وجلس حوله كبراء دولته وبطارقته وأصحابه وحجابه ونوابه وسار يوبخهم توبيخا عظيما وقال مثلكم لا يصلح لخدمة الملوك فما هذا الخذلان الذي حل بكم والفشل الذي صار لكم والخوف الذي دخل عليكم أتريدون ان تكونوا اسيرة

بين الملوك لفعلكم هذا فقالوا والله أيها الملك انا في هذا اليوم ما أخذنا الهيبة وما كنا نظن
أن العرب فيهم هذه القوة (فعند ذلك) قال لهم ما عندكم من الرأي ترضون العار فيكم
وقد أخذوا الصليب من بين أيديكم وخذلتموه فخذلوكم وقد علتكم الذلة والهوان
والصغار فقالوا أيها الملك لا ترى منا بعد هذا اليوم الا ما يرضيك وفي غد نكمن لهم كمينا
ونخرج عليهم ونقاتلهم فيخرج الكمين ونأخذ جماعة منا يسلسلون أنفسهم وهم
الرماة كعادة الروم يفعلون ذلك ونقاتل والمسلمون بيننا نحيط بهم السلاسل
فلم يصيبوا الفرار من بين أيدينا ولا نمكنهم من مد يأتينا ولو قتلنا عن آخرنا فعند ذلك
فرح واستبشر (ثم كتب) عدو الله البطلوس كتابا وأرسله تحت الليل الى بطريق
طحا ذات الأعمدة والى بطريق ذات الأبراج يسألهما النجدة وكانا لعنة الله عليهما
شديدين اذ كل بطريق منهما تحت يده عشرة آلاف بطريق من أرباب الصولة
وحملة السلاح فلما ورد الكتاب عليهما تجهزا الى النجدة والمسير وسيأتي ذكر ذلك
في موضعه ان شاء الله تعالى

(قال الراوي) فلما أصبح الله بالصباح صلى المسلمون صلاة الصبح وتبادروا الى
خيولهم فركبوها ثم رتبوا صفوفهم وشددوا أنفسهم وصار غانم بن عياض رضي الله
عنه يحرض الناس على القتال وقد جعل في مكانه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه
وعطف على أصحاب الرايات رضي الله عنهم وقال لهم أطلقوا الأعنة واذا لقيتم العدو
فاحملوا عليه حملة واحدة ولا تخافوا فان الله ينصركم عليهم ورتب الامراء رضي الله عنهم
كاليوم الأول ولم يركبوا رضي الله عنهم حتى دفنوا شهداءهم في ثيابهم ودمائهم رحمة
الله عليهم قال فلم يشعروا الا والقوم قد أقبلوا عليهم وطلبوا بلقائهم وانتدب منهم
عشرة آلاف ونزلوا عن خيولهم وحفروا لهم حفائر لأوساطهم كما فعلت الروم في يوم
اليرموك وأقرنوا كل خمسة وأربعة وثلاثة في سلسلة واحدة ونزلوا في تلك الحفائر
ووضعوا آلات النشاب بين أيديهم وأقسموا بالمسيح أن لا يولون الأدبار ولو قتلوا عن
آخرهم وكانوا ثلاثة صفوف

(قال الراوي) حدثنا حسان بن أبي يمن الحارث وكان من أصحاب الرايات قال
بينما نحن نتهيأ الى الحملة واذا بالروم قد حملوا حملة واحدة واختلط القلب في الجناح
والميمنة في الميسرة فكان يخرج منهم نحو العشرة آلاف سهم من كبد قوس واحد وهم
كالجراد المنتشر فجرحوا رجالا وقتلوا أبطالا فولت خيول العرب نافرة وقدم بجماعة

من الامراء مثل الفضل بن العباس وأخيه عبد الله وسلالة بني هاشم وكذلك زياد بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة والمسيب بن يحيي الفزاري رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل في أعلى فراديس الجنان مأواهم فلله درهم في هذا اليوم الصعب المهول العنيد الهدد قاتلوا القتال الشديد وابتلوا البلاء الحسن الحميد وعدو الله اللعين البطلوس تارة يكر في الميمنة وتارة يكر في الميسرة وحوله أرباب دولته من المشركين قال فصبرنا لهم صبر الكرام ووطنا أنفسنا على الهلاك والامراء رضي الله عنهم يحرضون الاصحاب على القتال وقد قتل من الفريقين طائفة الا أن القتل لا يبان في المشركين لكثرتهم ولم نظن أن القوم لهم كمين اذ خرج الكمين علينا من خلفنا وأحاطوا بنا فصرنا بين أيديهم كالشامة البيضاء في جلد البقرة السوداء وقد أقبل جماعة من الامراء والاعيان واختلط الناس فلله در الفضل بن العباس وسادات بني هاشم رضي الله عنهم فانهم لما رأوا ذلك الحال صال كل منهم في القتال وزادوا في تجندل الابطال وكذلك ابان بن عثمان بن عفان وأبو زيد العقيلي وأبو عبد الله الجبلي والمسيب بن يحيي الفزاري وسفيان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو زيد الخيل وكبراؤهم من السادات الامراء رضي الله عنهم فانهم قاتلوا قتال الموت فجزاهم الله عنا أحسن الجزاء وعدو الله يغوص في القلب ويقتل الفرسان هو وأصحابه (نكندها) قال القعقاع والمسيب رضي الله عنهما يا قوم سوقوا الابل في وجوه المشركين تتلقى النشاب فساقوها وجعلوها امامهم تتلقى النشاب وحمل المسلمون رضي الله عنهم وداسوا في وسطهم وحطوا الرماح والسيوف فيهم حتى أهلكوا منهم خلقا كثيرا وعجل الله بأرواحهم الى النار وبئس القرار فلما رأى البطلوس لعنه الله ما فعل المسلمون بأصحابه ازداد طغيانا ولم يزالوا كذلك الى أن غابت الشمس فأنزل الله عز وجل نصره على المسلمين رضي الله عنهم فانتصروا على أعدائهم ووثب جعفر بن عقيل رضي الله عنه على كردوس من الروم ثم غاص في وسطهم ورما من البطريق المقدم عليهم فقتله فتكاثرت الروم عليه وقتلوه رحمة الله عليه فعندها وثب أخوه علي وقال لا حياة لي بعدك يا أخي وجال في أعراضهم وقتل جماعة منهم فتكاثرت عليه الروم فقتلوه هو وزيد بن زياد رحمة الله عليهما فعند ذلك عظم البلاء واشتد الوغا وحام الحمام وعظم المرام فلما رأت سادات بني هاشم ما حل بهم حملوا بأجمعهم على الروم فألجؤوهم الى الابواب واقتتلوا عند باب الجبل والباب البصري حتى الاصطباح وأسود الظلام وكانت ليلة لم تر الناس

فتناهوا

مثلها وقتل الصحابة من المشركين ألوفا وقتل من المسلمين نظاهر البلاد نحو خمسمائة وأربعة فتظاهرت المسلمون عليهم وعظم البلا واشتد الكرب وزاد الطعن والضرب وعدو الله يحمي أصحابه وهم في أشد القتال وكان شعار المسلمين تلك الليلة يقول يا محمد يا محمد يا محمد يا نصر الله انزل وقتل من المسلمين جماعة عند الباب وعظم المصاب فكان يسمع وقع السيوف على الدرق كالرعد ولمع الاسنة والسيوف كالبرق وعدو الله البطاوس تارة يكر عند باب قندس وتارة عند باب الجبل وتارة عند باب توما حتى أدخل الروم جميعهم ولم يبق الا من انقطع من قومه أو كابه جواده ولم يزالوا حتى طلعت الشمس وعدو الله قد دخل المدينة وأغلقوا الابواب وعلوا على الاسوار والابراج وضربوا الابواق والقرون والنواقيس من أعلى الاسوار وأما المسلمون رضي الله عنهم فانهم صلوا صلاة الصبح وأتوا الى مكان المعركة يتفقدون من قتل منهم فاذا هم خمسمائة رجل وعشرون رجلا الاعيان منهم جعفر بن عقيل وأخوه علي وعبد الله بن زيد وهاشم بن نوفل وطراد من بني عبد الدار وهلال بن زهير ووهب بن منبه وكعب بن مرة وزيد بن رفاعة وخزاعة بن تميم ومالك بن سهل وقيس بن عدي وناصر بن ضجم وشعبة بن فضالة وسعد بن عمار ورافع بن يسار ونعيم بن مالك وبشر بن سراقة وميسرة بن مسروق وحمزة بن وهب ووهب بن فضالة هؤلاء الامراء والسادات والبقية من اخلاط الناس رحمة الله عليهم أجمعين

(قال الراوي) ولما رأت المسلمون أصحابهم قتلوا اضطربوا وبكوا بكاء شديدا وأعظم الناس حزنا الامير غانم بن عياض رضي الله عنه فانه حزن من أجل من قتل تحت رايته وكان أكثر الشهداء من الاعيان من قريش وبني هاشم وبني عبد المطلب وبني نوفل وبني عبد شمس وبني الفضل فلما نظر مسلم بن عقيل رضي الله عنه الى أخويه وما حل بهما رحمهما الله ورأى الفضل بن العباس وعبد الله بن جعفر وسادات بني هاشم ما حل بولدي عمهم نزلوا عن خيولهم وعانقوهم واسترجعوا وبكوا وأقبلت اليهم المسلمون رضي الله عنهم يعزونهم فعندها رثاهما ابن الحارث وبقية الشهداء بقوله شعرا

يا أعيني دومي على هذا البكا * حتى تفوقي مع مزن غمام
وعلى علي فابك وانع أخاله * هو جعفر المشكور خير همام
وكذا على من ينتمون لهاشم * من عصبة المختار خير إمام

وكذا على الشهداء أرباب الهجا * ما حرك المشتاق نوح حمام
لا سيما البطلوس خير دائما * مع جنده الكفار شر لئام
فلنأخذن الثأر من أعناقهم * بطعان خطي وضرب حسام

(قال الراوي) ودفن المسلمون شهداءهم رحمة الله عليهم ثم ان الامير خالد رضي الله عنه فرق الامراء على الابواب ونزل هو والسادات من بني هاشم وغيرهم من الامراء مثل زياد بن أبي سفيان والوليد وأخيه محمد وأسامة بن زيد وأبي أيوب الانصاري وفضالة بن عبيد وعمران بن الحصين وأبي دجانة الانصاري وجابر بن عبد الله وبقية الامراء رضي الله عنهم بباب قندس وهو الباب البحري ونزل القعقاع بن عمرو التميمي والمسيب بن نجبة الفزاري وأويس بن حذيفة الثقفي وعبد الله بن أبي أوفى وأبو قتادة وأبو مسعود البدري وعروة بن سعد وزيد بن أرقم ونظراؤهم من الامراء رضي الله عنهم بباب فارس بباب الجبل والمغيرة بن شعبة وأبو جحيفة وأبو لبابة والمهلب الطائي وأبو زيد العقيلي والعباس بن مرداس ومعاوية بن الحكم والفضل بن فضالة وبقية الامراء رضي الله عنهم عند باب توما باب فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصروهم وأقاموا مدة لا يقاتل بعضهم بعضا بل كل يوم والله البطلوس يركب جواده المتقدم ذكره ويلبس لامة حربه ويطلع بالجواد على على الاسوار وحوله المشاة من خلفه وامامه بأيديهم السيوف المجذبة والدروق المكوكبة والدبابيس المذهبة والاطبار والقسي والنشاب كما تقدم في آلة حربهم الموصوفة وكلما مر على أهل الابراج ضربون له الطبول والزمور والنواقيس

(قال الراوي) هذا ما جرى لهؤلاء واما الامير خالد بن الوليد رضي الله عنه فانه أرسل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ومعهما جماعة الى الفيوم فكان بينهم وقعات وحروب اختصرناها خوف الاطالة فان المقصود الذي عليه مدار هذا الكتاب فتح مدينة البهنسا واقليمها وما وقع فيها ثم انهزم من الكفار من انهزم وسلم من سلم وقتل من قتل ووصلوا مدينة الفيوم وحاصروها فلما اعانهم الله تعالى وفتحوا الفيوم جميعه في أقل من شهر وأخذوا الاموال والغنائم ورجعوا الى الامير خالد رضي الله عنه وكان مقيما بالنويرة كما ذكرنا *(قال الراوي)* هذا ما جرى لهؤلاء واما ابوذر الغفاري وأبو هريرة الدوسي وذو الكلاع الحميري ومالك الاشتر رضي الله عنهم فانهم لما ضربوا رقاب القوم كما ذكرنا حاصروا

القلعة نحو عشرين يوما واقتتلوا قتالا شديدا قال حدثنا قيس بن مالك عن منصور بن رافع عن أبي المنهال وكان من أصحاب مالك الاشتر رضي الله عنه قال بينما نحن نحاصر القلعة وقد تظاهرنا عليهم واذا بغبرة قد لاحت وقت الفجر وكانت ليلة مقمرة وقد سمعنا دوي الخيل وقعقعة اللجم فبادرنا الى خيولنا فركبناها وقد انكشف الغبار عن عشرين صليبا تحت كل صليب ألف فارس فاذا هما بطريق ذات الاعمدة وبطريق ذات الابراج كان قد وصل اليهما الكتاب الذي أرسله اليهما اللعين البطلوس وانهما تجهزا للنجدة وتركا أماكنهما وأولادهما في قلاعهما وسارا بجيشهما قبل النيل خوف العرب فما أصبحوا إلا على القلعة المحاصرة وكان النيل في الزيادة وقد غرقت المسلمين رضي الله عنهم الا القناطر التي على البحر اليوسفي وقطعوها فلم يشعر المسلمون الا وهم قد طلعوا عليهم وقد حملوا عليهم وأتوا الى نحو الباب الذي هو بحري المدينة فوجدوا المرزبان وأصحابه رضي الله عنهم هناك فعندها قال مالك الاشتر رضي الله عنه يا وجوه العرب اجعلوا البحر خلف ظهوركم وقاتلوا أعداءكم واستعينوا بالله ربكم هذا والروم صاحوا جميعا وحملوا على المسلمين وجاءتهم طائفة أخرى من الروم من جانب البحر نحو ثلاثة آلاف يدقون الطبول ويضربون النواقيس وكان الامير المرزبان رضي الله عنه كما ذكرنا أولا عند الباب البحري في مائتي فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصطدمت الطائفتان وصبر لهما المسلمون صبر الكرام فلما رأى الامير المرزبان رضي الله تعالى عنه اشتداد الحرب صال وجال واقتحم الهيجاء وأنشد فقال

أنا المرزبان الكسروي المصارع * وحد حسامي في المعادين قاطع
اذا اشتدت الهيجا وكنت أمامها * أتيت وأسياف المنايا قواطع
وعزمي على الاعداء مازال ماضيا * ورأيي سديد للمحاسن جامع
أصول على الاعداء صولة قادر * وتشهدهم مني سيوف لوامع
أنا وبنو عمي ثلاثون فارسا * أتيت الى الهيجا لنحمي الشرائع
ونسبتنا للناس من ابناء فارس * نبيل الخلاق ماهو صانع
وكنت الى كسرى وزيرا مدبرا * اليه وأرى في الشجاعة شائع
سلبنا البحيرة من أكابر أهلها * وفاضت من الاجفان منهم مدامع
وجئنا الى مصر وكانت حصينة * وكان لاهل الكفر فيها منافع

نزلت بباب النصر قدام رفقتي * وكان معي في القوم عمرو المدافع
فما زلت في حربي على ظهر أشهب * لحين فتحت الباب والهول واقع
أقمنا بها شهرين من بعد فتحها * وشيدت بأيدينا الصعاب الجوامع
وفي مرج دهشور جميعا جمعنا * وصلنا عليهم والسيوف قواطع
وفرت ذوو الكفر اللئام بنسوة * لسقارة لما أتتهم مواجع
فخالد ناداني ايا مرزباننا * ايا كسروي قم للحروب تسارع
فسرت وراء القوم وحدي مسارعا * لسقارة العليا هنالك الوقائع
فبادرتهم بالطعن حتى تركتهم * على الارض صرعى ما لديهم منازع
وأسقيتهم كأس الردا وتركتهم * وأفنيتهم بالسيف والحرب واقع
كسرت جيوش المشركين بهمتي * وأرديت منهم كل من كان يطمع
وأفنيت جمع القوم وحدي بصارمي * وسالت دماهم والديار بلاقع
فمنهن من ولى ومنهن من نأى * ومنهن من أضحى عليلا ينازع
رددت جميع الظعن وحدي بصارمي * الى مرج دهشور وهن رواجع
رددت نساء المسلمين بجمعهم * وأرديت منهم كل من لا يطاوع
فخالد ناداني رددت نساءنا * فلا زلت للكفار ردوما تمانع
فقلت له والله أفنيت جمعهم * بأبيض هندي وأسمر يلمع
وجئنا لاهناس وأحرقت سورها * وأرديت اقواما الينا تسارع
وبطريقهم ذاك اللعين قتلته * فكم كانت الكفار عنه تدافع
فويلك يا بطلوس من سطواتنا * فجئنا الى الاعداء تأتي المصارع
فان قدر المولى سأخرب داركم * واتركها للبوم وهي بلاقع
بصمصامي اذا ما جذبته * ترى هامة الاعداء وهي خواضع
وأنزل واديكم وأقتل ما به * وصحبي القوم البدور الطوالع
وأسبي نساكم مع خراب كنايس * على الرغم تبني غيرهن الجوامع
وأكثر فيها بالصلاة على الذي * بشرعته الغراء تمحى الشرائع
عليه صلاة الله والآل بعده * كذلك أصحاب اليه توابع

* (قال الراوي) * فلما فرغ من انشاده حمل على أعداء الله ولا زال يقتل رجالا ويجندل أبطالا فقاتل قتالا شديدا هو وبنو عمه حتى قتل رحمة الله عليه وكذا بنو عمه

المذكورون فى القصيدة وقد أتوا معه نجدة من بلاد الفرس فقتلوا بوقتهم امعه رحمة الله عليهم ورضوانه هذا والمسلمون قد سمعوا ضجيجا حول المدينة من الجانب الغربي فأتوا الى الجانب الشرقى ووجدوا السيوف مجذبه والاعلام مرتفعه وقد قتل جماعة من المسلمين نحو أربعين رحمة الله عليهم فعند ذلك اقتحم القعقاع رضى الله عنه البحر بفرسه هو وجماعة من الامراء والسادات رضوان الله عليهم وقالوا (بسم الله الرحمن الرحيم وعلى بركة محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اننا أفضل من بنى اسرائيل عندك) ونزلوا بخيولهم البحر فلم تبتل حوافر خيولهم وكأنه معقود بالحجارة الى أن وصلوا الى البر فاقتحم البحر زهاء عن ألف فارس من المسلمين فقاتلوا قتالا شديدا

(قال الراوى) فبينما هم فى أشد القتال واذا بغبرة قد لاحت وانكشفت عن رايات اسلاميه وسادات محمديه واذا هم ألف فارس من العرب مقدمهم زهير الحارثى رضى الله عنهم وكانوا مع قيس بن الحارث رضى الله عنه ببرد ونهاصالحوا أهلها فجاءهم رجل من المعاهدين وأخبرهم بسير بطريق طمسا ذات الاعمدة وذات الابراج فقلق السادات رضى الله عنهم قلقا عظيما على الاصحاب وقد أتوا الى الامير قيس رضى الله عنه واستأذنوه بالمسير الى مدينة البهنسا فأذن لهم وساروا الى جماعة الموحدين فوصلوهم وهم فى أشد القتال فلما رآهم الاصحاب رضى الله عنهم كبروا فأجابهم المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير محمد صلى الله عليه وسلم ثم حملوا عليهم وقاتلوا قتالا شديدا وكان الفضل بن العباس وزياد بن أبى سفيان ومسلم بن عقيل رضى الله عنهم قريبا من عدو الله من الجانب الشرقى وقاتلوا قتالا هائلا قويا وابتلوا بلاء حسنا مرضيا وصبروا صبر الكرام حتى أغاظوا الكفرة اللئام فوثب القعقاع بن عمرو رضى الله عنه على بطريق طمسا ذات الاعمدة فقتله ووثب زياد بن أبى سفيان رضى الله عنه على بطريق ذات الابراج فقتله فلما رأت الروم ذلك من قتل البطريقين ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فهرب منهم جماعة فألجأهم المسلمون الى البحر فغرق منهم جماعة وأسروا جماعة فأتوا بهم الى قريب البحر فرموا أعناقهم وكانوا ثلاثة آلاف رجل والبطليوس ينظر الى ذلك فاغتاظ غيظا شديدا *(قال الراوى)* واضرموا المسلمون النيران مقابل أبواب القلعة فاحترقت وتهدمت الاحجار فلما حرق الابواب طفوا النيران ودخلوا القلعة وقتلوا من كان فيها ونهبوها وأسروا جماعة والبطليوس ينظر الى ذلك كله وبعد خلاصهم من ذلك

أتوا الى المرزبان فدفنوه ومن معه من المسلمين الى جانب البحر اليوسفي تحت جدران القلعة ورجع المسلمون رضوان الله عليهم ونهبوا الاخشاب على شاطئ البحر والحجارة تتساقط عليهم حتى عدوا الى الجانب الغربي بأجمعهم واشتد حصار البهنسا فأقاموا بحصارها تسعة أشهر فلم يملكوها لما غرضهم وذلك أن المدينة كان لها سرداب تحت الارض من تحت باب الجبل وهو الباب الغربي وذلك السرداب معقود بالحجارة الى قريب الجبل عند تل هناك ينظر كل من رآه أنه غار أو حفرة في الجبل وكان يخرج منه خدم البطلوس ومن يأتونه بالطعام وغير ذلك سرا تحت ظلام الليل وذلك السرداب يخرج منه الرجل وفرسه على يده لاجل هذا لم يضرهم حصار المسلمين وكان أيضا اذا احتاج الى أمر يخرج من يثق به من هذا وبوقدا الشموع والفوانيس ويخرج من ذلك السرداب وكانت الملوك القدماء صنعوا ذلك من خوف الحصار عليهم وأيضا كانت جواسيسهم يخرجون من السرداب ويأتونهم بالاخبار

(قال الراوي) وكان الامير خالد رضي الله عنه لما فتح الفيوم صارت الميرة والعلوفة تأتي الى الصحابة من أرز وعسل وغير ذلك فلما طال الحصار احتاج الامير غانم بن عياض رضي الله عنه الى جانب من العلوفة فأرسل مياس بن حازم ومعه مائتا فارس من الصحابة رضي الله عنهم ومعهم بغال وحمير وجمال يأتون بما ذكرنا من العلوفة وكان الامير خالد رضي الله عنه أعلمه بذلك أنه اذا احتاج شيئا من العلوفة يرسل الى الفيوم فيأخذ منها ما يحتاجون اليه فسار جماعة الامير غانم رضي الله عنه حتى وصلوا الى الفيوم وأوسقوا الجمال والبغال والحمير وارادوا الرجوع الى أرض البهنسا

(قال الراوي) هذا ما جرى لهؤلاء وأما جواسيس البطلوس الذين يخرجون من السرداب فانهم أخبروا البطلوس بأمر العرب الذين ذهبوا الى الفيوم لاجل العلوفة وانهم يلاقونهم ويأخذون ما معهم من العلوفة ويقتلونهم فاستدعى ببطريق من أصحابه سره اسمه باسيل بن ميخائيل وكان معروفا بالشدة والبراعة وأمره أن يأخذ معه ألف فارس من الروم يعرفون بالشدة وينطلق الى طريق الفيوم وانهم يخرجون من السرداب واحدا بعد واحد في ظلام الليل وساروا حتى وصلوا الى دير هناك فأكمنوا فيه حتى رأوا المسلمين ومعهم العلوفة فخرجوا عليهم والتقى الفئتان وقاتلت الصحابة رضي الله عنهم قتالا شديدا حدثنا شداد بن أوس وكان في خيل

مياس لما التقت الفئتان أحاطت أعداء الله بنا حتى ظننا ان الحشر هنالك ووطنا أنفسنا على الموت وقاتل الامير مياس رضي الله عنه قتالا شديدا بعد ان سلم الراية لابنه منيع حتى قتل ثم ان ابنه سلم الراية لابن عمه مازن حتى قتل ولم تكن غير ساعة حتى قتل من المسلمين نحو المائة وأسر الباقون وكان فيهم عبد الله بن أنس الخزرجي أحد سعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى ما حل بهم من أعداء الله خرج كالريح العاصف وكان له عناية في الجراحة وهو انه صلى الله عليه وسلم دعا له بالبركة وأخذ معه عمرو بن أمية الضمري قال فكانا لا نراهما الا كالخيل الجياد حتى أشرفا على عسكر الصحابة وصاحا النفير النفير أدركوا المسلمين فعندها تواثبت الفرسان كالسباع الضارية وسألوهما عن الخبر فقصا عليهم القصة فعندها استدعى الامير غانم بن عياض رضي الله عنه بعبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وسلمه الراية ودفع معه ألف فارس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم من أصحاب النجدة والقوة ومعهم الامراء والاعجاد رضوان الله عليهم أجمعين وساروا أول الليل ومعهم رجل من المعاهدين وعبد الله بن أنس رفيق المقتولين من المسلمين يدلانهم على الطريق حتى قربوا من قرية هناك بسفح الجبل فما كنوا انهم الا قليلا من الليل فبينما هم كذلك اذ سمعوا دوى الخيل وقعقعة اللجم فتواثبوا الى خيولهم فركبوها واذا بالروم قد أقبلوا عليهم ومعهم أسرى باقي المسلمين موثوقين بالقيود على ظهور الخيل وكانت ليلة مقمرة فاعانت المسلمون رضي الله عنهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم وصاحوا في وجوه الروم وقالوا الى أين تذهبون يا أعداء الله وحملوا عليهم حملة واحدة فعندها صاح عبد الله ابن جعفر رضي الله عنه يا قوم ليهجم كل منكم على خصمه فتواثبت السادات والامراء رضي الله عنهم يقتلون ويأسرون وبادر عبد الله بن جعفر رضي الله عنه الى ابن ميخائيل وكان عليه درع مصفح فطعنه في صدره أخرج السنان من ظهره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأت الروم ذلك انهزموا فتبعهم المسلمون قتلا ونهبا وسلبا فما أصبح الصباح حتى قتل منهم ستمائة فارس وأسروا الباقين واغتنمت المسلمون منهم سلاحهم وخيولهم وغير ذلك ونزل الامير عبد الله بن جعفر مع خمسمائة فارس من المسلمين رضي الله عنهم عند القرية ومعهم الاسارى فأتوا الى مكان المعركة فوجدوا القتلى وعندهم نصارى من المعاهدين يبكون عليهم وحلفوا أن لا علم

لهم بذلك وكان في ذلك الدير نصارى ورهبان كثيرون فانزلوا لهم أكلا وشربا فاذا أكلوا
وشربوا ودفنوا الشهداء منهم رحمة الله عليهم وكر عبد الله راجعا الى أصحابه رضي الله عنهم
وقطع رؤس القتلى وراس عبد الله بن ميخائيل امامهم وجنبوا الخيول وساقوا
الاسارى حتى وصلوا الى عسكر المسلمين رضي الله عنهم فصاروا كلما مروا على مكان
فيه جماعة المسلمين كبروا الله تعالى وصلوا على نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم وفرقوا
الميرة والعلوفة حتى وصلوا الى أصحابهم وأشرفت الروم من فوق الاسوار ينظرون
ما الخبر فرأوا تلك الرأس معهم وراس ابن ميخائيل فصعب عليهم ذلك ولطموا على
وجوههم ورجعوا الى البطلوس وأعلموه بالخبر فاغتم لذلك واستدعى بجواده فركبه
وصعد على عالي الاسوار ودار حتى أشرف على عسكر المسلمين رضي الله عنهم فلما
رأى ذلك هاله واستعظمه وسار يتعجب مما حصل وقال هذه الفعال ليست أفعال
الانس انما هي أفعال الجن

(قال الراوي) ولما رأى المسلمون عدو الله اللعين البطلوس أتوا الى الامير غانم
رضي الله عنه وأعلموه بذلك فركب رضي الله عنه حتى أتى الى تل هناك والامراء
معه مقابل باب قندس قبالة البطلوس واستدعى رضي الله عنه بالاسارى فأعرض
عليهم الاسلام فامتنعوا فأمر بضرب أعناقهم فصاروا يضربونهم والروم ينظرون اليهم
واحدا بعد واحد فلما رأى البطلوس ذلك صعب عليه وكبر لديه وغضب غضبا شديدا
واستشار أصحابه ماذا يفعلون وانه يريد الخروج الى المسلمين بنفسه ويهجم عليهم
ليلا فنهض اليه بطريق يسمى كراكير وكان فارسا شديدا وقال أيها الملك انا أكفيك
هذا الامر وأهجم عليهم لاننا ننال منهم قصدنا واريد جماعة معي من شداد اجنادك
فقال له خذ معك من شئت ثم انتدب له عشرة من كبار البطارقة الذين هم مشهورون
بالشدة والقوة من اجناده وخلع عليهم وأوصاهم وأخذ كل بطريق معه ألف علج
من الروم وجاؤا الى الكنيسة فدخلوها وقبلوا الهيكل وغسلوا وجوههم بماء المعمودية
وبارك لهم القسيسون والرهبان وخلقوا الانجيل في وجوههم ثم ساروا والقسيسون
والرهبان بين أيديهم حتى أتوا الى قصر البطلوس الغدار لعنه الله وتكاملوا فيه
فحرضهم على القتال وقال لهم اهجموا عليهم هجمة واحدة قوية ومكنوا فيهم السيوف
والخناجر ثم استدعى بحراس باب قندس وكانوا ألفا بين الابواب وعلى الابراج
وكان للباب ثلاثة ابراج بين كل برج وبرج شراريف مصفحة بالفولاذ فعندما حضروا

بين

بن يديه قال لهم اذا أتوكم هؤلاء فافتحوا لهم الابواب وقفوا وانظروهم الى أن يعودوا وبأيديكم السيوف المجذبة والاعمدة والدبابيس فاذا أتوكم مسرعين فادخلوهم وغلقوا الابواب وان تبعهم أحد من العرب فاقتلوه فقالت الحراس سمعا وطاعة يا ملك بما تأمر به واستعدت الملاعين الروم لذلك والمسلمون على حين غفلة لا يدرون ما دبر لهم الملعون وكانت ليلة برد فأوقدت الصحابة النيران ودخلوا الى خيامهم وكان حراس المسلمين جماعة من الامراء رضي الله عنهم منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن معقل والبراء بن عازب ومالك الاشتر وذو الكلاع الحميري وعبد الله بن العباس

(قال الراوي) حدثنا عون بن سعيد عن سعد بن طارف الثقفي عن أبي زيد الجهني عن مالك الاشتر وعبد الله بن العباس قالا بينما نحن نسهر تلك الليلة والمسلمون قد هجعوا في مراقدهم من شدة البرد ووضعوا أسلحتهم وفيهم من له ورد يقرأه ومنهم من يقرأ القرآن وفيهم من يصلي اذ رأينا الباب قد فتح وخرج منه رجل مسرع وعلى كتفه مشعل ثم خرج جماعة وبأيديهم فوانيس ووقفوا الى جانب الباب وخرج كردوس وأمامهم بطريق عظيم طويل مبروم الذراعين عظيم المنكبين طويل العنق بيده ساعقة هندية مجذوبة تلمع كالبرق الخاطف وخلفه زهاء عن ألفي فارس من الروم ثم تبعه بطريق آخر وهو كزيه في لباسه ودرعه وخودته وتبعهما بقية عسكرهما فحملوا على جيشنا فصحنا النفير النفير دهينا يا مسلمين لقد غدرتكم الروم فلما سمع المسلمون الصياح نبه بعضهم بعضا فتواثبوا من مراقدهم كالاسود الضارية وتبادروا الى أسلحتهم فهذا يأخذ سيفه وهذا يأخذ رمحه وهذا عريان وهذا يأخذ قميصه وهذا يصلح أمره وساروا في وجوه القوم هذا وأعداء الله الخائنون قد عطفوا على جماعة من المسلمين قبل أن يتأهبوا ووضعوا فيهم السيوف فما أفاقوا الا وهذا قد قطع رأسه وهذا قطع زنده وهذا ذبح نحره وهذا طعن في صدره فعظم البلاء والنزال واشتد الكرب والقتال وعدو الله كراكير يزيد ويدور كالاسد بيده ساعقة تضيء كالكوكب المنير ويطمطم بلغته وقد تبعه كردوس عظيم والروم قد صاحوا من أعلى الاسوار وضربوا بنواقيسهم وأعلنوا بكلمة كفرهم وعلوا بشعاعهم وشموعهم على الاسوار حتى صار الليل كالنهار من ضوء المصابيح ووقود النار

(قال الراوي) فعند ذلك تبادرت الفرسان وتتابعت الشجعان وكثر الزحام وعظم المرام فلله در الفضل بن العباس وبني عمه الفضل بن أبي لهب وعبد الله بن جعفر

وزياد بن أبي سفيان والقعقاع بن عمرو التميمي والمسيب بن يحيى الفزاري والمغيرة
ابن شعبة ومسلم بن عقيل وأبي ذر الغفاري وأبي دجانة الانصاري وأبي امامة الباهلي
وعامر بن عقبة الجهني وأبي زيد العقيلي ومثل هؤلاء السادات والامراء رضي الله عنهم
وأرضاهم وجعل في أعلى فراديس الجنان مأواهم لانهم قاتلوا قتالا شديدا وابتلوا بلاء
حسنا وطعنت جماعة من المسلمين بالخناجر وجرحت جماعة وأما الذين دعوا فبدل
تفقد المسلمين واستعدادهم فنحو مائتين وثمانين رجلا واقتتل الصحابة مع المشركين
الخناثين قتالا شديدا فتظاهرت عليهم الصحابة رضي الله عنهم فأقبل الفضل بن
العباس رضي الله عنه على البطريق كرا كبر اللعين وضربه بالسيف من خلفه على
عاتقه الايمن أطلعه يلمع من عاتقه الايسر فكانت ضربة هاشمية قوية فانجدل
منها عدو الله صريعا يخور في دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واتبعه
بالحملة ابن عمه عبد الله بن جعفر وقتل بطريقا آخر فلم تكن غير ساعة حتى جاءتهم
بقية الامراء رضي الله عنهم وحملوا على الروم حملة واحدة منكرة فقتلوا منهم نحو الخمسة
آلاف فارس وأمدهم الله تعالى بنصره فلما رأت الروم ما حل بهم فروا نحو الباب
فتبعهم المسلمون الى الباب فخرج كردوس عظيم من داخل الباب يحمي المنهزمين
منهم الى أن دخلوا الابواب وأغلقوها وعلوا على الاسوار فأسرت المسلمون منهم ألفا
وخمسمائة وأتوا الى مكان الوقعة يتفقدون من قتل من الموحدين فاذا هم أربعمائة
وخمسة وثلاثون شهيدا ختم الله لهم بالسعادة الاعيان منهم طارق بن هلال وربيع
ابن زهير الخزرجي وهاشم بن نوفل ووهب بن مرة المحاربي وزياد بن راشد السكاسكي
وعامر بن فضالة الخولاني وسعد بن جابر الفزاري ونوفل بن عمر الخزاعي وزيد بن
ناصر الشاكري وعنان بن نجم الحميري ونوفل بن زيادة المقري والحجاج بن سنان
الفزاري وخويلد بن كاشر الطائي وكامل بن زهرة الجهرمي وعدي بن سليم الكندي
وجعدة بن مرة ومفرج بن نجاح ويزيد بن حارثة الانصاري وعبادة الغفاري
ومزروع الثقفي هؤلاء الامراء والبقية من اخلاط الناس رحمهم الله تعالى ورضي الله
عنهم أجمعين قال فعندما رأت المسلمون من قتل منهم شق عليهم وأمروا وانحط ظلام
الليل دفنوا شهداءهم كل أربعة وخمسة وثلاثة واثنين في قبر واحد وذلك في المكان
المعروف بالبطحاء عند مجرى الحصا ومقطع السيل ويعرف ذلك بقبور الشهداء
والاخيار والدعاء عندها مستجاب كما ذكرنا في أول الكتاب

(قال الراوى) ولنرجع الى سياق الحديث العجيب والامر المطرب الغريب لما وزينا ما شاهدناه ورجعنا الى خيامنا فاذا أعداء الله أغلقوا الابواب وعلوا على الاسوار ورجع من رجع من المنهزمين الى عدو الله البطلوس فصعب عليه وشق وكبر لديه وأظلمت الدنيا فى وجهه وعينيه وجعل ينوح عظيما على من قتل من أصحابه وأرباب دولته خصوصا على اللعين ككرا كير المقتول بسيف الفضل بن العباس رضى الله عنه قال فهذا ما كان من عدو الله المكائد للمسلمين

(قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما السادات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم اجتمعوا الى الامير غانم رضى الله عنه وعنهم وذكروا له ما حصل للمسلمين فاتفق رأيهم على أن يرسلوا رجلا للامير خالد يسألونه النجدة والحضور اليهم فعند ذلك كتب الامير غانم رضى الله عنه كتابا الى الامير خالد رضى الله عنه يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله غانم بن عياض وباقى السادات الكرام الى الامير خالد رضى الله عنه انا افتتحنا العراق والشام واليمن وغيرة لك فلم نجد فى الروم والفرس أعين من هذا الملعون البطلوس ولا أكثر غدا عاولا مكرا ولا حيلة منه ومدينته آهلة حصينة بالخيل والرجال والسلاح وغير ذلك وقد غدرنا مرارا وقتل منا رجالا وجندل منا أبطالا فانجدنا بنفسك ومن معك من السادات المؤمنين والامراء رضوان الله عليك وعليهم والسلام عليك وعلى من معك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم طوى الكتاب واستدعى بعبد الله بن المنذر رضى الله عنه ودفعه له وأمره بالمسيرة فسار الى الامير خالد رضى الله عنه فلما وصل اليه وجده نازلا بالنويرة فسلم عليه ودفع له الكتاب فلما قرأه وفهم معناه استرجع وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم كتب جواب الكتاب الى الامير غانم بن عياض رضى الله عنه يقول فيه (انى قادم عليك وواصل اليك برجال وأى رجال وأبطال وأى أبطال والسلام عليك وعلى من معك من الصحابة الاخيار) ثم دفعه الى عبد الله بن المنذر فرجع به الى الامير غانم ثانى يوم وأعطاه اياه

(قال الراوى) ثم ان الامير خالدا رضى الله عنه استدعى بالزبير بن العوام وابنه عبد الله رضى الله عنهما ودفع لهما ثلثمائة فارس وأمرهم أن يسيروا الى أرض البهنسا فاذا وصلوا قريبا من مدينة البهنسا يعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير محمد صلى الله عليه وسلم ثم استدعى بالمقداد بن الاسود

الكندي وضرار بن الازور رضي الله عنهما ودفع لهما مائتي فارس وأمرهم أن يسيروا على اثرهم (ثم) استدعى بعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ودفع لهما مائتي فارس وأمرهم أن يسيروا على أثرهم (ثم) استدعى بسعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقبة بن رافع رضي الله عنهما ودفع لهما مائتي فارس وأمرهم بالمسير على أثرهم فسار الجميع رضي الله عنهم وبات الامير خالد رضي الله عنه تلك الليلة وسار بمن بقي معه وهم عبادة بن الصامت وأبو رافع وسعيد بن هند وزيد بن أوس وأبو حكم وأبو زيد وأبو عثمان الهندي وأنس ابن مالك وأبو زهير وأبو بردة وكعب بن مالك وسلمة بن الاكوع ومنهل بن الاحقن وعبد الله بن عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزيد بن حبيب السلمي وجابر بن سمرة وبشر بن الخصاصية وأبو امامة وطارق ابن علي وعبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري رضوان الله عليهم أجمعين

(قال الراوي) وسار الزبير بن العوام ومن معه رضي الله عنهم حتى أشرفوا على مدينة البهنسا فعندها أعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم فلما رأتهم الروم طلعوا فوق الاسوار وصاروا ينظرون اليهم فما استقروا غير قليل حتى أشرف عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأقبل عليهم بمن معه رضي الله عنهم ولم يزل كل أمير ينزل بعد أمير حتى تكاملوا رضي الله عنهم وتأخر الامير خالد رضي الله عنه وبقية الامراء المتقدم ذكرهم رضي الله عنهم ولما بات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبحوا قال ضرار والزبير رضي الله عنهما للامير غانم رضي الله عنه أظن أنتم الجهود دون واعدائكم في اكل وشرب ورغد فما هذه الفعال ثم زحفت السادات والامراء رضي الله عنهم على أبواب البهنسا وضرار رضي الله عنه ينشد هذه الابيات

سأضرب في العلوج بكل عضب * أباد الكفر جيلا بعد جيل
واضرم في الجوانب كل نار * وأرم القوم بالخطب الجليل
واقتل كل كلب كان باغ * بحد السيف والباع الطويل
واترك داره منه خرابا * بحول الله مولانا الكفيل
فويل ثم ويل ثم ويل * لهم من سيفي العضب الصقيل

(قال الراوي) ولا زال ضرار رضي الله عنه يترنم بهذه الابيات حتى اشتد الحرب

وتراموا

وتراموا بالنشاب والنار والحجارة واقتتلوا قتالا شديدا واعداء الله يضربون المسلمين رضي الله عنهم بالنشاب والاحجار من فوق الاسوار فاشتدت الحمية والغضب بعدو الله البطلوس وكان لعنه الله فارسا شديدا وبطلا صنديدا وقد فتح باب الجبل وخرج منه وهو كأنه شعلة نار على جواد الخيل وجميع البطارقة وذوو الشدة والباس حوله والرماة بين يديه يرمون بالنشاب فاشتد القتال وعظم النزال فخرج جماعة من المسلمين ومعهم الامراء واصحاب الرايات الى لقاء عدو الله ومن معه لعنهم الله فاقبل علج عظيم من البطارقة يطلب البراز فبرز اليه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه واقتتلا قتالا شديدا فضربه المغيرة فوقع السيف من يده فبادر الملعون الى المغيرة ليضربه واذا بفارس وبيده سيف فلوح به الى المغيرة اذ هو الاسد الضاري سيدي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فأخذ المغيرة من عبد الرحمن السيف وضرب به العلج فحاد عنها وكلما اراد المغيرة أن يسطو عليه يمانع نفسه فنظر ضرار رضي الله عنه الى ذلك فنزل عن جواده وسعى بين الصفوف حتى قرب من البطريق وضرب حزام جواده فقطعه فسقط عدو الله الى الارض وهو ماسك المغيرة قال فعندها تكاثرت الروم على ضرار والمغيرة وارادوا قتلهما واذا بثلاث فوارس قد أقبلوا يخترقون الصفوف أحدهم سيدي عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق والثاني عبد الله بن عمرو والثالث المقداد بن الاسود الكندي رضي الله عنهم فأزالوا الروم عن مواضعهم وضرب ضرار رضي الله عنه البطريق فقتله وسار عبد الرحمن رضي الله عنه بين الصفوف كأنه الاسد الضاري وركب ضرار جواد المقتول هذا والبطلوس لعنه الله ينظر الى ذلك ويكر تارة ذات اليمين وتارة ذات الشمال ويطلب البراز فبرز اليه المقداد رضي الله عنه فتقاتلا كرا وفرا ولا وقطا ولا فقال المقداد قاتلت ملوكا وفضضت قلاعا ولاقيت حروبا في الجاهلية والاسلام فما رأيت أخدع من البطلوس ولا أشد ثباتا منه ولا أصعب مراسا فتقاتلنا حتى كل من تحتنا الجوادان فقال البطلوس ما رأيت أصبر من نفسك ولا من فرسك هذه كيف تقاتل عليها وهي على ثلاثة قوائم فنظر المقداد على جواده ظانا أنه ينظر الى قوائمها فضربه عدو الله بالسيف ضربة قوية قطعت الخوذة والزرادة وأخذت قليلا من رأسه فظن الملعون أن المقداد قتل فلوى عنان جواده فاستيقظ المقداد وتبعه وساق جواده عليه فأحاطوا به قومه فخلصوه من المقداد

(قال الراوي) فبينما الناس كذلك وهم في أشد القتال واذا بالامير خالد بن الوليد

رضي الله عنه قد أقبل في أوائل الامراء والسادات أصحاب النجدة والشدة رضي الله عنهم وقد أعلنوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير محمد صلى الله عليه وسلم فلما أقبلوا لم يمهلوا دون ان حملوا على القوم والامير خالد رضي الله عنه في أوقفه يقتل رجالا ويجندل أبطالا وكانت طائفة من داخل الباب وطائفة من خارج الحصن يعينون جماعة من الروم والبطلوس لعنه الله يقاتل الرجال ويصادم الابطال فلما رأت ذلك الامراء والسادات وأصحاب الرايات والمروات رضي الله عنهم حملوا عليهم واقتتلوا قتالا شديدا قريب باب الجبل والباب قريب التل الاحمر وخطف الامير خالد رضي الله عنه وطلب البطلوس اللعين فصار كلما رأى خالدا في الميمنة يهرب منه الى الميسرة ومن الميسرة الى الميمنة وبعد ذلك ولى الى القلب وأحاط به قومه فوضعت الامراء السيوف فيهم وتبعه الامير خالد رضي الله عنه فساق جواده الى الباب وخلفه بطارقته وكاردولته فقصدوا لهم الباب فتبعهم المسلمون هنالك واقتتلوا مقتلة عظيمة وقتل من الروم زيادة عن أربعة آلاف نفر ودخلوا وأغلقوا الابواب وعلوا على الاسوار فأسر المسلمون من الروم نحو من الفين ومائة علج فأتوا بهم الى الامير خالد رضي الله عنه فأعرض عليهم الاسلام وكان فيهم جماعة من كبار البطارقة فامتنعوا عن الاسلام فأمر الامير خالد رضي الله عنه بضرب أعناقهم عن آخرهم بجهة الباب المذكور والروم ينظرون اليهم وتفقد السادات من قتل منهم فاذا هم مائتان وثمانون فارسا الاعيان منهم مزروع بن غانم وعبد الله بن مساعد ونائل بن ماجد وزيد بن سالم والبقية من اخلاط الناس رحمة الله عليهم أجمعين

* (قال الراوي) هذا ما جرى لهؤلاء وأما عدو الله البطلوس المخذول المنحوس فانه لما رجع مخذولا حصل له ما عظيما وحصل له ما لا ينبغي ذكره من النكد والاسف على من قتل من بطارقته وقومه فعند ذلك أمر بجمع من بقي من البطارقة فلما اجتمعوا عنده شكا لهم أمره وأمر من قتل من البطارقة والروم وما لاقاه من الحرب والقتال من السادات العرب وقال لهم ما الذي عندكم من الرأي فقالوا كلنا بين يديك فان أمرتنا بالقتال قاتلناهم من فوق الاسوار فقال الملعون الغدار سأدبر لكم أمرا وهو تدبير من خالص الحرب والقتال ثم أمر باجتماع الناس من خاصهم وعامهم فاجتمعوا اليه حتى لم يبق منهم الامن على الابواب خوف المسلمين فلما تكاملوا عنده قال اني أريد أن أهجم على القوم في هذه الليلة وهم في أماكنهم فان الليل مهاب وأنتم أخبر بالبلد من

غيركم فلا يبقى منكم أحد إلا ويتأهب ويخرج من بابه واخرج أنا ومن معي من باب
توما وأرجو وصولي الى قصدي ولا اموت بحسرتي ولعلي انظر الى اميرهم وآخذه أسيرا
قالوا جميعا حبا وكرامة يا ملك ثم بعث فرقة الى باب الجبل وفرقة الى باب قندس
وفرقة الى باب الشرق وانتدب فرقة تذهب معه من ابطال قومه ولم يترك من يعرف
شجاعته الا انتدبه معه ثم قال لقومه قبل انصرافهم اني اقمت رجلا على الباب وأمرته
ان يضرب لكم ناقوسا فاذا سمعتموه فهي علامة بيني وبينكم فافتحوا الباب واخرجوا
مسرعين الى اعدائكم واهجموا عليهم ولا شك انكم تجدونهم نياما فاغمدوا فيهم
السيوف وتمكنوا منهم الاسنة قبل ان يصلوا الى سلاحهم فاذا فعلتم ذلك في هذه الليلة
غلبتموهم ففرحوا بذلك واستبشروا في وجه عدو الله وقصد كل فرقة بابا من الابواب
ووقفوا منتظرين للاشارة ليبادروا الى المسلمين ثم دعا برجل وقال له احمل ناقوسا
واصعد به الى البرج فاذا فتحنا الباب فاضرب الناقوس ضربة قوية يسمعها القوم
الذين في الابواب فمضى الرجل واخذ ناقوسا عظيما وصعد به الى البرج وانتدب
البطلوس الغدار عشرين الفا من اصحاب الشدة والقوة معه وعليهم الدروع المذهبة
وغير ذلك وهو في اوائلهم وبيده ساعقة هندية وقد لبس سواعده الفولاذ والقى
على رأسه بيضة مزركشة بالذهب مطلية بفضة مرصعة بالجواهر لا تعمل فيها السيوف
القواطع وسار الى ان وصل الى الباب ثم وقف الى ان تكامل عسكره ثم نظر اليهم وهم
حوله وقال لهم اسرعوا وجدوا في سيركم الى ان تصلوا الى القوم فاذا وصلتم اليهم
فاحملوا حملة واحدة ثم اهجموا عليهم وتمكنوا منهم السيوف القواطع والاسنة اللوامع
إلا ان يكون امير القوم ومن ابصر منكم الصليب فليأخذه ومن أتاني به اكرمته ثم أمر
صاحب الناقوس أن يضربه فضربه ضربة قوية سمعها من على الابواب فتبادروا الى
الخروج وخرج عدو الله البطلوس لعنه الله فعند ذلك سمع المسلمون رضي الله عنهم
الصوت فتبادروا من اماكنهم مسرعين الى أصحابهم وهم في غفلة من النوم وليس لهم
علم بما دبره لهم الملعون الغدار فوثبوا كالاسود الضارية فلم يصل اليهم عدوهم الا وهم
على حذر فانقلبات الروم وكثرت الغموم وقاتلوا في ظلام الليل وقد سمع الامير خالد رضي
الله عنه الصياح فرتب قائمة ذا اهل العقل وصاحوا واعوناه واإسلاماه وامحمداه اللهم ثبتنا
اللهم رد عنا عدونا اللهم انظر الينا بعينك التي لا تنام وانصرنا على اعدائنا ولا تسلط
علينا شر خلقك برحمتك يا ارحم الراحمين وهو مكشوف الرأس بلا خوذة ثم اسرع

فى لبس سلاحه وهو يقول هذين البيتين

فاض دمعى واعترانى حزنى * ضاق صدرى وبرانى شجنى

رب سلم من نزول المحن * وانصر الاسلام ياذا المنن

(قال الراوى) ثم وصل خالد رضى الله عنه الى باب توما ومعه نحو خمسمائة فارس من اصحاب الشدة والنجدة والقوة مثل الفضل بن العباس وابن عمه الفضل بن ابى لهب وزياد بن ابى سفيان وعبد العزيز بن جعفر بن ابى طالب والمقداد بن الاسود وزياد بن ثابت وعبد الله بن زيد ومسلم بن عقيل وابى ذر الغفارى وعبادة بن الصامت وعقبة بن نافع والمغيرة بن شعبة والمسيب بن نجى الفزارى ومثل هؤلاء السادات رضوان الله عليهم اجمعين واصواتهم عالية بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم وحملوا من ساعتهم على الروم حملة منكرة ونادى الامير خالد رضى الله عنه أيها المسلمون اعلموا انكم منتصرون وعلى اعدائكم غالبون فاثبتوا وقوّوا عزمكم وهممكم والمعونة من الله عز وجل ثم قال الله اكبر الله اكبر على من طغى وبغى وتجبر انا الفارس الشديد انا الضرغام العنيد انا خالد بن الوليد وغاص فى القلب والجناحين فقتل الرجال وجندل الابطال فأورثهم خبالا وزادهم وبالا وهو مع ذلك شديد الطلب للبطلوس والامير غانم وبقية الامراء رضى الله عنهم احتكموا الابواب وهم يسمعون صريخهم وضجيجهم وكانت الروم تقاتلهم من عالى الاسوار ويرمونهم بالحجارة والسهام تتساقط عليهم وقاتل عدو الله البطلوس قتالا شديدا ولقى الامير خالد رضى الله عنه منه ما لا يرى مثله وكان أول من وصل اليه وهو ينحرف يمينا وشمالا ويقول انا الفارس العبوس انا المسمى بالبطلوس إلا انه مع ذلك يكابر ويروغ من وجه الامير خالد رضى الله عنه فلما سمع مقالته الفضل ابن العباس رضى الله عنه قصد جهته وقد خرق صفوف الروم وقال ها انا صاحبك وغريمك انا مبيد جمعكم انا آخذ صليبكم انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطف على عدو الله البطلوس عطفة الاسد على فريسته وقال له اياك والمخادعة بالغدار ثم انفرد له وصادمه فلم ير الناس فى طول الزمن اشد ضربا من الضرب الذى وقع بينهما فى تلك الليلة فلم يزالا كذلك حتى مضى من الليل نصفه وكل قرم مع قرنه وهما فى اعظم ضرب واشد كرب وصبر له الفضل رضى الله عنه صبر الكرام فضربه عدو الله ضربة قوية فزاغ منها الفضل ثم عطف رضى الله عنه على اللعين فضربه

ضربة

ضربة بخشية فتلقاها الملعون بدرقته فانقطع سيف الفضل وطمع عدو الله فيه وظن
انه يأخذه أسيرا واذا بفارسين اقبلا من ورائهما كتيبة من العرب فهجموا على الروم
وكذلك خولة بنت الازور قد رأت اخاها ضرارا رضى الله عنهما وهو واقع بين خيل
المشركين وهم محتاطون به فعطفت على اخيها فلحقها عبد الرحمن بن ابى بكر الصديق
وعبد الله بن جعفر وابان بن عثمان بن عفان رضى الله عنهم وعطفوا على عدو الله
لبطلوس فكر راجعا فى كردوس من الروم حتى وصل الى المدينة ودخل وقاتل
المسلمون رضى الله عنهم على الابواب قتالا شديدا والامير خالد رضى الله عنه تارة يكر
الى باب الجبل وتارة الى باب توما وتارة عند باب قندس وكان الامير غانم رضى الله
عنه عند باب الجبل فى تلك الوقعة فابس سلاحه ودنا من القوم ومعه من الامراء
مثل المقداد ومسلم بن عقيل وشرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزياد بن ابى سفيان وعبد الله بن العباس ومحمد بن ابى ذر الغفارى ومحمد بن سلمة
الانصارى رضوان الله عليهم اجمعين فعطفوا نحو الباب وكبروا وكبر الصحابة
من خلفهم وكان البطريق الذى بالباب اسمه جرجس قال واقتتلوا قتالا شديدا
وقاتل محمد بن ابى ذر الغفارى قتالا قويا فتكاثرت الروم عليه وعقروا جواده من تحته
وقتلوه رحمة الله عليه وتكاثروا أيضا على عبادة بن الصامت فقاتلهم قتالا شديدا
فرماه رامى بحجر من أعلى الباب فقتله وقتل معه جماعة عند ذلك الباب نحو ستين
رحمة الله عليهم وقتل من الروم نحو الفى فارس وقتل جماعة من عصبة الامير غانم
رضى الله عنه نحو مائة فارس فكانت السهام والاحجار تتساقط عليهم فقتل
من الروم مقتلة عظيمة فوق ذلك الامير خالد رضى الله عنه لقد قاتل فى تلك الليلة قتالا
عجيبا ما رأى الناس مثله فبينما هم كذلك اذ اقبل ضرار بن الازور رضى الله عنه
وهو ملطخ بالدماء فقال له الامير خالد رضى الله عنه ما وراءك يا ضرار فقال خير
والطف من الله عز وجل وما جئتك حتى قتلت فى ليلتى هذه مائة وستين من اعداء الله
وقتل اصحابى ما لا يحصونه عددا وقد كفينا كثير من خرج من باب الجبل باجمعهم
وكانت ليلة شديدة البرد لم ير الناس مثلها فى عامهم وهجم الامير غانم رضى الله عنه
واصحابه الى داخل الباب وقاتلوا قتالا شديدا وايضا دخلوا فى ساباط كان للباب
وكان هناك باب آخر فاغلق دونهم على كردوس عظيم من الروم فقتلوا ذلك الكردوس
هنالك وانطلق المسلمون رضى الله عنهم الى باب الجسر فقتلوا من فيه وكانوا نحو

خمسمائة من الروم فقتل في تلك الليلة منهم ألوف * واما باب قندس فكان عليه الزبير بن العوام وعقبة بن عامر وعبد الله بن العباس والفضل بن أبي لهب والمغيرة بن شعبة وجماعة من الامراء رضي الله عنهم فتواثبوا الى ذلك الباب وقاتلوا قتالا شديدا فقتل به من المسلمين نحو مائة وعشرين رحمة الله عليهم * واما باب توما فكان عليه الامير خالد رضي الله عنه فخرج منه البطلوس واقتتلا قتالا شديدا فولى هاربا من بين يدي الامير خالد ودخل الباب وأغلق خلفه وقتل من المسلمين نحو المائة بالمكان المعروف بالمراغة واغلقوا الابواب وعلوا على الاسوار واستعدوا للحصار (هذا اول فتح مدينة البهنسا) حدثنا شداد بن مفرج عن ابي محمد الشاكري عن زيد بن رافع ان اهل مدينة البهنسا مكثوا سنة لا يقاتلونا ولا نقاتلهم فطال عليهم المكث فاجتمعت الامراء من الصحابة رضي الله عنهم واتوا الى الامير خالد رضي الله عنه واستشاروه في القتال فأذن لهم في ذلك وكان جملة من قتل من المسلمين عند فتح الابواب نحو خمسمائة واربعين رجلا الاعيان منهم مسلم بن نافع الكندي ومحمد بن أبي ذر الغفاري وحذيفة ابن جندب السكاسكي ونعيم بن مالك الفزاري ومكحول بن محمد وجابر بن زيد الانصاري ونوفل الجرامي وعمرو بن عزير الثقفي وزائد بن هشام والباقون من اخلاط الناس رحمة الله عليهم أجمعين ونقلت الصحابة رضي الله عنهم بعد الفتح الشهداء من اماكنهم رحمة الله عليهم ورضوانه الاعيان منهم في قبب معقودة وقبور مشهورة ولنرجع الى سياق الحديث العجيب والامر المطرب الغريب الذي لم يسمع مثله

(قال الراوي) ولما استشار المسلمون رضي الله عنهم الامير خالدا رضي الله عنه في القتال لم يقدر على منعهم واشتد البلاء والحصار على أهل مدينة البهنسا وان البطلوس لعنه الله يدبر الحرب والمكايد واهل المدينة لا يطيقون صبرا فضاق عليهم الحصار واشتد بهم الحال فاجتمع كردوس منهم واتوا الى بطريق من أصحاب الدولة يسمى يوحنا وكانوا يركنون اليه فاجتمعت القسيسون والرهبان والسوقة والعامة وقالوا له قد طال الحصار علينا فنجعل لك مالا وافتح لنا الباب لنأخذ أمانا من العرب فأجابهم الى ذلك فأتى عنده نحو مائتين من الرجال الشطار ففتح لهم باب البرخشية فخرجوا منه واتوا الى الامير خالد رضي الله عنه وعاهدوه على انهم يفتحوا له الباب ويدلوه على عورات البلد وجعلوا له عليهم معلوما واتفق رأيهم على ذلك وكتبوا اسماءهم ورجعوا

(قال الراوي) هذا ما جرى من أمرهم ولم يعلموا انه كان عندهم كلب لعين جسوس

من

من الروم فمضى ذلك الكتاب الى البطلوس واعلمه بذلك الامر فأرسل بطريقا يقال له
حزقابيل معه الف بطريق وقال اذهبوا اليهم وأتوني بالخبر الصحيح فمضوا وتفرقوا
وهم مشاة حتى اتوا قريبا من باب الجبل واذاهم قد أقبلوا راجعين فلما رأوهم عرفوهم
وفتحوا لهم الباب ودخلوا فعندها اتواثبوا عليهم وامسكوهم وساقوهم الى بين يدى
البطلوس لعنه الله فلما رآهم وبخهم توبيخا عظيما وكلمهم كلاما عنيفا وقال على بهم
واحدا بعد واحد فضربهم ضربا شديدا وامر بالنار فاضرمت وصار يعذبهم بها عذابا أليما
ثم قال للبطريق حزقابيل امض بهم الى أعلى الاسوار واصلبهم هنالك ولا تفترعن ذلك
فذهب بهم حزقابيل وأمر اعوانه ان يأتوا اليه بالاخشاب فصلبهم على اعلى الاسوار
فأقاموا هنالك يوما وليلة ثم أمره البطلوس بضرب اعناقهم ورمى رؤسهم على العرب
فعندها فعل ما أمره به فقطع اعناقهم وحذف رؤسهم فقال الامير غانم بن عياض
للامير خالد رضى الله عنهما هذه الرؤس من أهل ذمتنا فعندها زحفت الصحابة رضى
الله عنهم على الروم فخرجت لهم الروم واقتتلوا معهم قتالا شديدا
(قال الراوى) ثم ان أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قلق على
المسلمين قلقا شديدا فارسل كتابا الى عمرو بن العاص رضى الله عنه يقول فيه ما سبب
انقطاع كتبك عنى فانى فى قلق عظيم على المسلمين وعلى خالد ومن معه واعلم انك
تخبرنى عن الفتوح والغنائم وان احتاج خالد الى نجدة فارسل الى ارسل له نجدة من
عند ابى عبيدة فقد كاتبته يرسل لك مددا وجنودا من الشام والسلام عليك وعلى من
معك ورحمة الله وبركاته فلما وصل الكتاب الى عمرو بن العاص رضى الله عنه ارسله
الى خالد بن الوليد فقال خالد رضى الله عنه لا نطلب النجدة والمعونة الا من الله
عز وجل سبحانه وتعالى ثم ان خالدا رضى الله عنه طال عليه حصار المدينة فكان
كل يوم يزحف الى القتال هو والصحابة رضى الله عنهم ويقاتلون أهل البهنسا قتالا
شديدا فقتل من المسلمين جماعة كثيرة بالحجارة والنشاب فعندها قال الامير خالد رضى
الله عنه لغانم بن عياض وللاصحاب رضى الله عنهم لا شك ان لاعدائنا علينا عيونا
وجواسيس يعلمونهم باحوالنا ثم ان خالدا ركب ومعه الفضل بن العباس والمقداد
وزياد بن أبى سفيان رضى الله عنهم وطافوا حول العسكر واذا برجل من العرب
المتنصرة جالس على قطيفة خارج العسكر فانكره خالد رضوان الله عليه ثم قال له من
أى العرب أنت وهل اهلك ههنا قال نعم فقال له مسلم أنت قال نعم فقال له اقرأ

القرآن فسكت ولم يرد جوابا فقال له خذ الماء وتوضأ فلم يحسن فضربه وقال خذوه واضربوه فأقر لهم اننا خرجنا ثلاثة من العرب المتنصرة من باب البحر لنأخذ أخباركم فمضى اثنان بالخبر وبقيت أنا ههنا فاعتقلوه عندهم وكان لخالد رضي الله عنه عبد حبشي اسمه نجاح يصنع له كل يوم قرصين من الشعير فيأكل واحدة والسيد واحد فأقام الامير خالد رضي الله عنه ثلاثة أيام وفي كل يوم يأتي الى خيمته والى السفرة التي فيها السماط فلم يجد شيئا يأكل فيسكت ولم يتكلم وكان عنده بعض تمرات فصار يتقوت بهن حتى فرغن فعندها قال لعبده يا ولدي قال الله تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام فما لك ثلاثة أيام لم تصنع شيئا فقال يا سيدي والله ما قطعت عنك ذلك بل كل يوم اعلقه بالخيمة على عادته فقال خالد رضي الله عنه ان هذا الشيء عجيب ثم قال للعبد اصنع الاقراص واجلس خلف الخيمة واخف نفسك وانظر من يفعل ذلك فلما كان في غد ركب الامير خالد لقتال وصنع العبد ثلاثة اقراص واكل واحدة وابقى لسيده اثنان فجاء كلب اسود عظيم من جهة البهنسا ودخل الخيمة واخذ القرصين بفمه ومضى فتبعه العبد حتى اتى الى سرداب يجري فيه قليل من ماء البحر مصنوع قديما للوازم اهل البهنسا وهو مار تحت الارض الى تحت سور المدينة الى الجهة القبلية وينتهي الى الجهة البحرية تحت الارض لا يدري احد اين يذهب من خارج المدينة فحينئذ عاينه العبد وحقق ذلك السرداب وعاد الى الخيمة فلما جاء الامير خالد رضي الله عنه اعلمه العبد بذلك فمضى معه سيده فعاين ذلك السرداب ففرح الامير خالد بذلك فرحا شديدا وقرأ سورة الفتح واستبشر بالنصر ثم أتى الى السادات والامراء واعلمهم بذلك وقال لهم اريد منكم مائة رجل من اصحاب المروءة والنجدة يبيعون أنفسهم في سبيل الله عز وجل ويمضون معي وجماعة شداد يكونون مقابل الباب فاذا فتح الباب دخلوا علينا فانتدب مائة من كبار القوم مثل عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وعبد الله بن عمرو وزيد بن الحارث وعقبة بن عامر ومسلم بن عقيل وزياد بن ابي سفيان والمسيب بن نجي الفزاري والمقداد بن الاسود ومثل هؤلاء السادات رضي الله عنهم أجمعين وقد اختصرنا في اسمائهم خوف الاطالة ورتب خالد رضي الله عنه على الباب عبد الله بن جعفر والزبير بن العوام وابنه عبد الله والفضل بن العباس وابن عمه الفضل بن ابي لهب وضرار بن الازور ومثل هؤلاء الامراء رضوان الله عليهم وصبروا الى غروب الشمس واتوا الى ذلك السرداب ودخلوا فيه وخاضوا في الماء ومع كل واحد ترسه

وسيفه وكان أولهم الامير خالد رضي الله عنه حتى دخلوا جميعا وكل من دخل يدع سيفه وترسه مع صاحبه حتى يدخل فدخل ثمانون ورجع عشرون لم يسعهم الدرب فتقدم الامراء المذكورون الى نحو الباب فوجدوا من الحراس نحو ألفي فارس من الروم بين الابواب فلما دخلت الامراء المذكورون اخفوا انفسهم تحت الجدار الى نصف الليل ثم ساروا فوجدوا ابابا موثوقا فعالجوا فيه وفي اقفاله وحراسه من الروم مشغولون بسكرهم ففتحوا ذلك الباب وذبحوا من كان في دهليزه وكانوا ستين رجلا وأخذوا منهم المفاتيح ثم علوا على الاسوار وفتحوا الابواب ونادوا الى أصحابهم فبادروا جميعا الى البرج وقتلوا بطارقته وصاحوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم واجابهم المسلمون بمثل ذلك ودخلوا من الباب الذي يدخل منه الى سوق المدينة وبادروا جميعا الى قصر اللعين البطلوس وهم ينادون اذا جاء نصر الله والفتح فلما أحس عدو الله بذلك وان المسلمين ملكوا الابواب واحاطوا به وتحقق انهم يظفرون به لا محالة وضع منديلا في عنقه وصاح الامان الامان فاجابه بطارقته وحجابه ونوابه وارباب دولته وجماعته بمثل ذلك فأتى الامير خالد رضي الله عنه عنده والسيف في يده فقاده أسيرا وقال يا عدو الله لا امان لك عندي الا ان تسلم بعد ان قتل من الروم نحو ثلاثة الاف رجل وقتل من المسلمين في سكان المدينة مائة واربعة وثمانون قريبا من السوق وعند القصر وبين الابواب (الاعيان) منهم زيد الانصاري وعبد الله بن الاسود وكامل بن عوف وابن المسيب بن يحيى الفزاري واسمه عدي ومهلل بن نافع التميمي وسلام بن رافع الهلالي وطارف بن المهاب وعبد الله ابن ضرار وغياث بن جابر وسمرة بن عامر وحماد بن عمرو والبقية من اخلاط الناس رحمة الله عليهم وجاء جماعة من أهل المدينة الى غانم بن عياض وجماعة من الامراء رضي الله عنهم فشكوا اليهم امرهم وبكوا في وجوههم وصاحوا فرق لهم الامير غانم رضي الله عنه وامنهم وعدو الله البطلوس بين يدي الامير خالد رضي الله عنه وهو يتذلل له وللامراء رضوان الله عليهم فشفعوا عليه وغلبوا على الامير خالد رضي الله عنه فصالحهم عدو الله على الف الف مثقال من الذهب ومثل ذلك من الفضة وعشرة آلاف وسق من البر والشعير والجزية من العام الى العام عن يد وهم صاغرون والامير خالد رضي الله عنه لا يطمئن قلبه الى شيء من ذلك وهو يقول لا امان له عندي الى ان يسلم ويشهد بأن الله واحد احد وان محمدا عبده ورسوله والا السيف والامراء

والسادات يترجونه رضى الله عنه ويقولون له ولو انه اضرنا فى الحصار وغدرنا
فى الحرب فما نراك الا اشفق الناس ونرى من الرأى ان تكتب كتابا الى الامير عمرو بن
العاص رضى الله عنه بمصر تعلمه بذلك وهو موثق عندنا وكان عمرو بن العاص رضى
الله عنه قال لهم من طلب منكم الامان فأمنوه فعندها كتب الامير خالد رضى الله عنه
الى عمرو بن العاص رضى الله عنه كتابا يعلمه به عن ذلك فلما بلغ الخبر الى الامير
عمرو بن العاص رضى الله عنه رد لهم الجواب وقال لهم استوثقوا وامنه بالامان وخذوا
ما حكم عليه واطلقوه لئلا تنفر منكم اهل الصعيد ففعل ذلك الامير خالد رضى الله
عنه وقلبه نافر واطلقه بعد ان أخذ عليه الامان فى الكنيسة وحلفه على كتبهم وشرط
انهم يخرجون الى ظاهر البهنسا ويتركون عنده من يقبض ذلك المبلغ فخرجوا الى
ظاهر المدينة وترك المسلمون عنده فضالة بن يزيد السلمى وعوف بن سلامة الخدرى
ومقسوم بن سعد الجوهى ومائتين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج
لهم الميرة والعلوفة وصار كل يوم يركب ويتردد الى الامراء رضوان الله عليهم واوهب
واعطى ولم يترك أميرا الا خادعه حتى طابت نفوسهم الا الامير خالد والفضل
ابن العباس وعبد الله بن عمر والمقداد بن الاسود الكندى وعبد الرحمن بن أبى بكر
الصديق والزبير بن العوام رضى الله عنهم لم تطمئن قلوبهم وانفسهم الى عدو الله لما
يعلمونه فيه من الخيانة والغدر واقاموا مدة شهرين على ذلك فجمع الغلال وخزن
جميع ما يحتاج اليه من الاكل والشرب وهو ناو على الغدر للمسلمين وكان الامير خالد
رضى الله عنه خلى من داخل المدينة جماعة من السادات المتقدم ذكرهم عند القصر
وبين الابواب خوفا من غدر عدو الله وباقى عسكر الموحدين خارج المدينة فى الخيام
على عادتهم فصار عدو الله فى كل يوم يلاقى لهم وبعد ذلك جلس فى الكنيسة نهارا
واستدعى باكابر قومه ممن يثق بهم من البطارقة من اهل الصولة واصحاب النوبة
واتفق رأيهم على قتل المسلمين والغدر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر
الى قليل من الليل فهجم عليهم والمسلمون رضى الله عنهم على حين غفلة ودخل عليهم
فى نحو ألفى بطريق وأوثقهم كأنما جعل فى أفواههم الاكر وفتحوا الابواب وهجموا
على المسلمين الذين هم فى الخيام فى ظلام الليل ووضعوا فيهم السيف وهم رقود فما أفاقوا
الا والسيف يلعب فيهم ويقطع فى نحورهم وكانت وقعة عظيمة فسمع الامير خالد الصياح
فسار رضى الله عنه من مضجعه وقال لزوجته إنا دهينا ثم ركب وركبت زوجته معه

وقاتلت

وقاتلت النساء قتالا شديدا وعدو الله البطلوس تارة يكر يمينا وتارة يكر شمالا والسيف يقطع فى رقاب الرجال وكانت ليلة شديدة ثم قال خالد رضى الله عنه يا قوم أما قلت لكم ذلك فلم تسمعوا لخالد والتجأ زياد بن ابى سفيان واخوه هبار وفضالة بن عبد شمس وعقبة وعبادة بن تميم الدارى وجندبة الكلابى الى تل هناك فأحاطت بهم طائفة من الروم والتل من الجهة الغربية قريبا من رأس الجبل فقاتلوا قتالا شديدا فانحدر زياد رضى الله عنه من التل وتبعه اصحابه فأحدقت بهم الروم وداروا بهم كدوران السوار بالمعصم وقتلوا زيادا واخاه هبارا وجميع اصحابهما رحمة الله عليهم أجمعين وقاتلت آسية الانصارية وام ابان واسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهم ونعامة بنت المنذر ونظائرهن فى تلك الليلة قتالا شديدا رضوان الله عليهن وقتل جماعة من المسلمين فأتى الامير خالد رضى الله عنه وحمل على الروم وهو بالسيف صائل وزورى اعداء الله الخائنين الامراء الذين وجعل يقاتل الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة واطبق عليهم هو وجميع الامراء فهزموهم الى الابواب فقتل منهم خلق كثيرون وهرب عدو الله ودخل المدينة هو وقومه واغلقوا الابواب وتحصنوا ولما اصبح امر باحضار المستوثقين عنده من المسلمين الذين كانوا داخل المدينة وصعد بهم الى اعلى البرج وضرب أعناقهم رحمة الله عليهم فشق ذلك على المسلمين رضى الله عنهم وصعب عليهم فعل عدو الله باخوانهم وبكوا بكاء شديدا على فقد اصحابهم رحمهم الله

(قال الراوى) وأما الامير خالد وبقية الامراء رضى الله عنهم فانهم أتوا الى مكان المعركة وهو جهة التل المتقدم ذكره فوجدوا الشهداء ووجدوا زيادا رحمه الله وفيه عشرون طعنة وأربعون ضربة بالسيف والى جانبه أخوه هبار رحمه الله وفيه عشر ضربات بالسيف واحدة فى رأسه وواحدة فى فخذه قطعته فبكى الامير خالد رضى الله عنه عليهما بكاء شديدا وبكت الامراء وابطال المسلمين وجعل الامير خالد رضى الله عنه يرثيهما بقوله شعرا

دموع عيونى كالسحائب تهمع * وقلبى من فقد الاحبة يجزع
واظلمت الدنيا على نور مقلتى * وكاد فؤادى بالنوى يتقطع
لفقد زياد أحرق الوجد أضلعى * وصرت عليلا دائما أتوجع
فقد كان عند الحرب أعظم صائل * يزلزل أركان العدا ويضعضع
وقد كان مقدادا لفوارس كلها * اليه تذل الكافرون وتخضع

يحيي الله يوما شق بالبين قلبنا * وجرعنا كاسا به العين تدمع
أيا سيدا من آل هاشم نزل * له رتبة بالمجد تعلو وترفع
يعز علينا ان نراك مجندلا * وعامتك الغراء على الارض توضع
بجانبك الجبار أضحى مهبرا * بأسياف كفار وفي الارض مصرع
الا لعن الرحمن بطلوس قومه * ولا نال منا ماله فيه مطمع
فقد غدر القوم الكرام الذين هم * نجوم وأقمار على الناس تطلع

وأقامت الصحابة رضوان الله عليهم على حصار البهنسا في هذه المرة ثلاث سنين الا انهم كانوا يشنون الغارات على السواد والسواحل وكان قد مضى القعقاع بن عمرو التميمي وهاشم بن المرقال وأبو أيوب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر بن الخطاب والمقداد ابن الاسود الكندي رضي الله عنهم الى الواحات ففتحوها في أقل من شهر ومضى عقبة ابن نافع الفهري رضي الله عنه بألف فارس وغاروا على البرقة ثم عادوا وهو أخذ الامر في فتح المغرب بعد ذلك

(قال الراوي) ولما طال المكث والحصار على مدينة البهنسا اجتمعت المسلمون رضي الله عنهم عند الامير خالد رضي الله عنه وشاوروه فيما ذا يفعلون وماذا يكون من الرأى الصواب ليفعلوه فعند ذلك وثب عبد الرزاق الانصاري وعباد بن مازن الرازي وكعب ابن نوفل السلمي وأبو مسعود البدري وأبان بن سعيد البارقي رضوان الله عليهم وقالوا يا قوم انا قد وهبنا أنفسنا لله عز وجل فاصنعوا منجنيقا واملؤا غرائر من قطن ويأخذ كل واحد منا سيفه وجحفته ويدخل في الغرائر فاذا جاء الليل ونام الحراس القونا في المنجنيق واحدا بعد واحد على أعلى الابراج فعسى أن يكون للمسلمين بذلك فرجا والمعونة من الله عز وجل في فتح الباب كما فتحتم باب القصر ودار النحاس وكما صنعتم في خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندها استصوبوا رأيهم فلما أصبحوا قطعوا الاخشاب وصنعوا منجنيقا وجعلوا له حبالا واستدعوا بالغرائر فملؤها قطنا وصبروا الى الليل وأدخلوا هؤلاء السادات في الغرائر بعد أن جربوا المنجنيق بحجر فسقط على أعلى الجدار ثم داروا على كفة المنجنيق فكان اول من وضع في الكفة ابان بن سعيد ابن العاص ابن أخي الامير عمرو بن العاص رضي الله عنه ورفع فسقط على أعلى البرج ثم بعده أبو مسعود البدري وعبد الرزاق الى آخرهم رضي الله عنهم ثم رتب الامير خالد أصحابه على الباب فلما صاروا على أعلى البرج نزلوا اليه فاذا هو مغلوق والحراس

نيام فنزلوا الى الدهليز كالسباع الضارية فوجدوا المفاتيح تحت رأس كبيرهم فى جانب سريره فأخذوها وفتحوا الابواب وأتوا الى الباب الثانى الذى ينتهى الى القصر فاذا هو مغلوق من داخل المدينة فاستعانوا ببعضهم على قلع حجر بعد حجر فقلعوا الاحجار بمعونة الله تعالى وقلعوا الاعتاب وفعلوا ذلك كله فى وقت يسير من الليل وفتحوا الباب وصعدوا الى البرج فعالجوا الباب ففتحوه وقتلوا جماعة واستيقظ منهم جماعة فثاروا عليهم وخافوا على الباب ان يؤخذوا أن يحولوا بينهم وبينه وهو باب السور الذى بظاهر المدينة ففتحوه وصاحت الروم فاستيقظ البطلوس لعنه الله وكان على حذر فركب جواده فعندها تبادرت أبطال المسلمين رضى الله عنهم وخرجت البطارقة وخرج عدو الله من قصره وتسابقت الروم على الباب فكان اول الناس دخولا عبد الرزاق رضى الله عنه فقتل من داخل الباب المعروف بباب قندس رحمة الله عليه وسبق عبادة بن مازن فقتل وقتل كعب بن نائل السلمى بداخل الباب لما فتح

(قال الراوى) حدثنا قيس بن مازن الحميرى عن عبادة بن سالم السكسكى عن ابن مسعود البدرى وكان اول من فتح الباب كما بين على هذه القصة أخبرنا مسلم ابن جابر عن ابن عبد الله عن أبى محمد الانصارى عن عبد الله البدرى قال كان أبو عبد الله الحسن قد قرأ هذا الفتوح بالجامع المعمور بمدينة الاسكندرية على الشيخ أبى عبد الله المغربى حتى بلغ الى هذا ذكر الفتح وان الرجال وضعت فى الغرائر قال الشيخ يا ولدى ليس الامر كذلك ولكن روى عن ابن مسعود البدرى وهو الصحيح لانه أحد من فتح الباب قال ثم انهم قطعوا أخشابا ووضعوا سلما عاليا على وجه السور وصبروا الى الليل وأسندوه للجدار وتسلق منهم فى الجدار أربعون رجلا منهم الثلاثون المذكورون فى قصيدة خالد والعشرة ففتحوا الابواب الصعاب فاستغاثت الروم ببعضهم بعد فتح الابواب ورفعوا أصواتهم فكان اول من فتح الباب وسبق الناس عبد الرزاق فتكاثرت الروم عليه هو ومن معه من العشرة فقتلوه رحمة الله عليه وتسابقت المسلمون الى الباب

(قال الراوى) فكان اول الناس دخولا الى البهنسا ضرار بن الازور رضى الله عنه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

الجبن منى يوم الحرب فى فزع * اذا اتيت الى الهيجا بلا جزع

يا ويح من وضع الارصاد يخدعنا * ونحن جرثومة الاهوال والخدع
لا رضين المنى في جهادهم * ليس الجسور على الهيجاء بنفزع
يا ويح كلب العدا البطلوس ان حكمت * به يدي سيف غير مرتدع

ثم دخل الباب وخلفه الامير خالد رضي الله عنه وأرضاه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

اليوم يوم الوفا بالطعن والاسل * والضرب بالعضب في هامات ذي الجدل
وقطع أعناق أعداء الاله اذا * وافا الغلام بجيش منه منسدل
يا ويل بطلوس أهل لبهذا اذا * لاقيته وتلظى الهيجاء في شعل
ان لم ابده وابطالا تساعده * فلا بلغت على ايد العلا أملي

ثم أنشد أيضا رضوان الله عليه

انا الذي يعز عندي من صدق * ولا اهاب الموت ان فينا طرق
وحق خلاق النهار والغسق * وخالق البدر المنير والشفق
لا روين الرمح من دم الحدق * واهتكن البيض هتكا والدرق
وأشفين القلب من نار الحرق * لعل ان آخذ ثار من سبق

قال ثم دخل من بعده الزبير بن العوام والراية في يده ومعه ولده عبد الله رضي الله عنهما والزبير ينشد هذه الابيات

أيا بطلوس يا كلب العينا * ويا نسل الطغاة الارذلين
اتتك حماة دين الله حقا * وأولاد الكرام الاشرفين
خيار الناس نسل بني نزار * كرام في الاعادي قاطعين
اذا اشتدت لظى الهيجا تراهم * عليكم كالسباع الضارين
فلم ترفيهم أبدا جبانا * ولم تر فيهم أبدا حزينا
ولست ترى سوى مقدام قرم * نهار الحرب صند بدا متينا

قال ثم دخل من بعده سيدي عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو ينشد قائلا هذه الابيات

اتيناالهيجاء بكل قرم * شديد الحرب في يوم البراز
وجيشا يملأ الآفاق رعبا * على الاعداء طول الدهر غازي
يجندل في العداة بكل عضب * ويهلك من له منكم مغازي

قال ثم دخل من بعده عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو ينشد قائلا هذه الابيات

اليوم طاب الطعن في اللئام * والضرب في الاعناق بالحسام
سأنصر الاسلام باهتمام * ولم أزل عن سادتي احامي
انا الشجاع صائب المرامي * وهو رد الاعداء للعمام

قال ثم تقدم من بعده الفضل بن العباس رضي الله عنهما وهو ينشد قائلا هذه الابيات

ألا اننا السادات من آل هاشم * ليوث كرام طيبون العزائم
لنا تشهد الابطال في كل معرك * وتذكرنا أهل الوغى في المواسم
اذا اشتدت الهيجاء واشتبك القنا * ترى فعلنا فعل السيوف القواصم

قال ثم دخل من بعده الفضل بن أبي لهب رضي الله عنه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

لتعرف يابطلوس عزمي قد طاب * بسيف لدى الهيجا كغاسق اذ وقب
يطير شرار النار من لمعانه * بايدي همام الحرب ابن أبي لهب
فويلك يابطلوس منه اذا سطا * بسطوته عند الحروب وان وثب

قال ثم دخل من بعده غانم بن عياض الاشعري رضي الله عنه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

قسما بمن خلق السماء ومن رفع * وفيها نجوما كالمصابيح قد وضع
لاقتلن أعداء الاله بصارم * فلا ينثني عنهم اذا وقد قطع
فويلك يابطلوس من سطواتنا * ستهزم من الحرب منكم فدا اجتمع

قال ثم دخل من بعده المقداد بن الاسود الكندي رضي الله عنه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

انا الكندي المعترف بالشجاع * دواما في العدا كم صال باعي
وتشهد لي الرجال بكل حرب * وللهيجا تشوقني طباعي
ولا أخشى لظى حرب فاني * أصول على الاعادي كالسباع

قال ثم دخل من بعده عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو ينشد قائلا هذه الابيات

نحن الليوث اولو المعروف والكرم * الصائلون على الكفار بالهمم
مجندلون العدا في كل معترك * وقاهرونهم في كل مصطدم
لا يعجبنك يابطلوس جيشك في * هذا المقام فهم في الحرب كالعدم

قال ثم دخل من بعده أبان بن عثمان رضي الله عنهما وهو ينشد قائلا هذه الابيات

اني ابن عثمان الشجاع الهمام * مردي اعادينا بحد الحسام
ويل الى البطلوس من حربنا * في حومة الهيجاء يوم الزحام
ان قدر المولى فلا بد أن * نسقيه يوم الحرب كاس الحمام

قال ثم دخل من بعده مسلم بن عقيل رضي الله عنه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

ضناني الهم مع حزني الطويل * لفقدي صاحبي مجدا أسيل
فوا ثارا لجعفر مع علي * ليوث الحرب آل بني عقيل
سأقتل بالمهند كل قرم * عسى بالثار أن يشفي غليل

قال ثم دخل من بعده ذو الكلاع الحميري رضي الله عنه وهو ينشد قائلا هذه الابيات

اني لحمير حقا ينتمي نسبي * وهم خيار الورى في الجود والحسب
وهم اسود لدى الهيجاء صائلة * كم أهلكوا في اللقا من ذوي الرتب
الحرب عادتنا والضرب همتنا * وقدرنا ذو علا من أعظم الرتب
تبت يدا الروم ماحازوه فهو لنا * من بعد اهلاكهم والرمي بالشهب

(قال الراوي) ثم دخل من بعده شرحبيل بن حسنة كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دخل من بعده القعقاع بن عمرو التميمي ثم مالك الاشتر ثم عبادة بن الصامت ثم أبو ذر الغفاري ثم أبو هريرة الدوسي ثم ابنه عبد الرحمن ثم معاذ بن جبل ثم شداد بن قيس ثم هبيرة بن عتبة ثم العباس بن مرداس السلمي ثم أبو دجانة الانصاري ثم جابر بن عبد الله ثم البراء بن عازب ثم النعمان بن بشير ثم سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة رضوان الله عليهم ثم أبو زيد العقيلي ثم أبو لبابة بن المنذر ثم تتابعت الامراء والسادات رضي الله عنهم يتلو بعضهم بعضا بهمة قوية وعزم صادق فالتقوا مع الروم لعنهم الله واقتتلوا قتالا شديدا وتوالت جماعة من الامراء مثل الزبير بن العوام وابنه عبد الله وعبد الرحمن بن أبي هريرة رضي الله عنهم الى باب الجسر واقتتلوا

قتالاً شديداً وتقدم عبد الله بن الزبير الى الباب والروم على أعلى الاسوار فنزل عن جواده وصلى ركعتين والحجارة تتساقط عليه وهو لا يلتفت الى شيء من ذلك ومعه الفضل بن العباس وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم فقتلوا حراس ذلك الباب وحفروا حوله وفتحوه وصعدوا على أعلى البرج وهدموا الشراريف ووضعوا السيف في الحراس وفتحوا بابه ووثب شرحبيل بن حسنة والفضل بن أبي لهب وأبو ذر الغفاري وأبو أيوب الانصاري والقعقاع بن عمرو التميمي والامير غانم ابن عياض رضي الله عنهم الى باب الجبل ففتحوه وتبادرت الشجعان وتنادت الفرسان وضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير محمد صلى الله عليه وسلم وقاتلوا قتالاً شديداً فقتلوا جماعة كثيرة من رجال عدو الله البطلوس وتركوهم جثثاً بلا رؤس واقتتلوا في الازقة والاسواق والشوارع وبين الابواب ثم تقدم الامير خالد رضي الله عنه الى عدو الله البطلوس وهو يصيح وا ثار سليمان وا ثار الاخوان وا ثار العرب وطعنه طعنة صادقة في صدره اطلع السنان يلمع من ظهره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار

(قال الراوي) فلما رأت الروم ذلك فروا نحو الابواب فتبعتهم المسلمون قتلاً ونهباً وسلباً وأسراً فقتل منهم ثلاثون ألفاً في وسط المدينة وبين الازقة كما ذكره الامير خالد رضوان الله عليه في قصيدته الآتي ذكرها واسروا منهم عشرين ألفاً وصاروا يصعدون الى البيوت ويأخذون العلج من جانب حريمه ويقتلونه أشر قتلة حتى كانت سواعدهم من الذبح وصار الدم كالنهر في وسط الازقة والقتلى مطروحة في الشوارع والاسواق والبيوت وخرجت لهم نصارى البلد والقبط وهم يبكون ويقولون نحن أهل ذمتكم ونحن تجار وسوقة وكنا مغلوبين على أمرنا وقتل خيارنا بسببكم فارحمونا يرحمكم الله فأراد الامير خالد رضي الله عنه ان يفعل بهم كما فعل بأصحابهم من القتل فمنعه الامير غانم وبقية الامراء رضي الله عنهم وقالوا هؤلاء السوقة جماعة الذين صالحونا في العام الماضي وقتل أهاليهم البطلوس من أجل صلحهم معنا وهذا الامر كذلك فعفا عنهم الامير خالد رضوان الله عليه وقال لهم بشرط ان تدلونا على من اختفى من الروم الملاعين فصاروا يدلونهم على من اختفى في المطامير والآبار ومن فر من الابواب تبعوه ومن فر من الباب الشرقي قتلوه أو غرق في الماء ومن فر من الباب البحري أو الغربي قتلوه وتركوهم في بطون الاودية مطروحين ولم يزالوا يقتلون

في اليوم الاول حتى غابت الشمس واظلم الليل فتركوهم وفي اليوم الثاني استدعوا بثيران البقر ووضعوا عليهم الاكراب وجمعوا القتلى من الروم كل عشرة أو عشرين يوضعون في الدواليب ويربطون أرجلهم بالحبال ويجرونهم على الابقار بعد ان أخذوا أسلابهم ونزعوا ما عليهم من الملبوس والسلاح ثم أخرجوهم الى ظاهر المدينة وحفروا لهم حفائر عظيمة ودفنوهم في تلك الحفائر وجعلوا عليهم أتلالا من الرمل واشهروا قبور الشهداء وبنوا لهم القبب والقبور والمزارات ورجعوا الى قتلى البلد فوار وهم في قبورهم وقتل في ذلك اليوم من المسلمين زيادة عن أربعمائة ختم الله لهم بالشهادة ومنّ عليهم بالسعادة (الاعيان) منهم ظاعن بن فرقد وعبد الله بن سعيد وعبد الله ابن حرملة وعبد الله بن النعمان وعبد الرزاق الانصاري وعبد الرحمن بن حذيفة اليماني وأبو سلمة الاسدي وأبو العلا الحضرمي وأبو كلثوم الخزاعي وأبو مسعود الثقفي وأبو زياد اليربوعي وأبو سنان الداري وأبو دجانة الانصاري وهاشم بن نوفل القرشي وعمار بن عبد الدار الزهري ومالك بن عبد الله الحارثي وأبو سراقة اللخمي والبقية من اخلاط الناس وأيضا قتل عند سوق التجار عشرون ودفنوا هناك وعند سوق الصوف جماعة كثيرة قريبا من العطارين زيادة عن أربعين وعلى شاطئ البحر اليوسفي عند السور جماعة كثيرون رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين

(قال الراوي) فلما رأى المسلمون شهداءهم جميعا صعدوا الى قصور البطارقة والى دورهم ومقاصيرهم فوجدوا فيها من آنية الذهب والفضة والحلي والحلل واللآلى والجواهر واليواقيت والفرش والنمارق والوسائد والمساند ما لا يوصف واقتتل الروم والمسلمون على بغل محمل عند الباب الشرقي فغلبتهم عليه المسلمون وأخذوه فاذا عليه صندوقان مملوآن فصوصا ومعادن وجواهر فاشتراه رجل من المسلمين يسمى ظاهرا بعشرة آلاف دينار فباع منه بكذا كذا ألف دينار كل درهم معه عشرة دراهم وكانت آثار ذلك عندهم بمدينة البهنسا مدة طويلة وأخذوا بساط البطليوس فتعجبوا من حسنه فأرسلوه مع الحمل الى المدينة المنورة فحصل للامام علي كرم الله وجهه قطعة باعها بعشرين ألف دينار وباعت المسلمون أواني الذهب والفضة وغير ذلك (حدثنا) عون بن أبي عبيد عن عبد الرحمن بن عمران قال كنا في حصار البهنسا فرأينا نارا بين الابواب وفي بعض جوانب قصر البطليوس فأتينا بقرب الماء وطفأنا تلك النار وطلعت المسلمون للقصر وفتحوا خزائن البطليوس وأخرجوا جميع ما فيها من ذهب وفضة

ومعادن وجواهر وغير ذلك ولم يتركوا شيئا وقسم خالد رضي الله عنه الغنيمة بين المسلمين رضي الله عنهم فكان للفارس عشرة آلاف مثقال من الذهب وألف أوقية من الفضة ومن الاسلحة والملبوس والاثواب وغيرها ما لا يوصف

(قال الراوي) لما دخل المسلمون الكنيسة ورأوا ما فيها من التماثيل والقناديل من الذهب والفضة والستور من الحرير والديباج والاعمدة العظيمة من الرخام والكراسي والتحف تعجبوا من ذلك فقرأ خالد رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم رفع صوته وقال لا إله الا الله محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه وصدقنا رسالته ثم قرأ قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله وقرأ أيضا قوله عز وجل كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فصاحت المسلمون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم قال وأخربوا تلك الكنيسة وجعلوها مسجدا قائما على أعمدة من الرخام مسقوفا بتلك الاخشاب والحجارة وجعلوا في تلك المدينة مساجد ورباطات (حدثنا) عبد الحميد عن قيس بن مهران عن أبي جعدة قال كان بمدينة البهنسا أربعون رباطا ومن المساجد ما لا يعد وأخربت الصحابة رضوان الله عليهم تلك المعالم والرسوم وبنوا خلافها دورا لانفسهم وشرعوا في العمارات فأقام الامير خالد رضي الله عنه هو ومن معه يصلحون المساجد والزوايا والرباطات ويخربون معالم الروم مدة شهرا وشهرين ثم بعد ذلك جمع ما بقي من الاموال والغنائم وكتب كتابا وأرسل الخمس الى عمرو بن العاص أميره عمر رضي الله عنه ولمن معه بمصر سهمهم من الغنيمة مع أبي نعيم الانصاري والفضل بن أبي فضالة رضي الله عنهما وأرسل له أيضا الخمس لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم ولمن عنده من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فلما وصل الخمس والكتاب الى عمرو بن العاص رضي الله عنه فرح بذلك فرحا شديدا ثم كتب كتابا لامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمدينة الرسول على صاحبها أفضل الصلاة والسلام يبشر بالفتح والغنائم وأرسل له الغنيمة مع أبي نعيم ورفيقه فسارا الى المدينة المنورة ودخلا على امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجدا عنده جماعة وقد أخرج لهم قسما من ثريد قال أبو نعيم والفضل رضي الله عنهما فلما فرغنا ناولناه الكتاب

فعندما قرأه فرح فرحا شديدا ونادى فى الناس الصلاة جامعة فاجتمعوا فرقى المنبر فحمد الله عز وجل واثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم الكتاب واستدعى بأصحابه رضى الله عنهم وقسم عليهم الغنيمة ولم يترك لاهله درهما ولا دينارا ولا شيئا مطلقا رضى الله عنه وأرضاه قال أبو نعيم ثم انه أخذ بيدى فمضينا الى بيته فاذا فرشه من اديم حشوه ليف ووسائده من صوف وقال لام كلثوم بنت الامام على كرم الله وجهه هل عندكم شئ من خبز الشعير قالت لا الا لبنا حامضا فقال احضريه فان عندنا ضيفين قد فعته مع خادمه فأكل واقسم علينا فأكلنا وشرعت احدثه عن البطاوس وقومه وهو تارة يبكى وتارة يضحك من أنعالهم ويبكى على من قتل من الامراء والمسلمين رحمة الله عليهم أجمعين وخرجنا بعد ذلك الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال الناس يبكون على اهاليهم فأخبرناهم عن مات منهم فضجت الناس بالبكاء وضجت أهل المدينة وصاحت الصحابة رضوان الله عليهم وصلى من مات من اخوانهم رحمة الله عليهم واقبلت الناس على الامام على كرم الله وجهه وعقيل وبنى هاشم رضى الله عنهم وعزوهم فيمن قتل من اقاربهم رحمة الله عليهم واقمنا بالمدينة المنورة سبعة أيام ورجعنا الى مصر المحروسة بكتاب امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى الامير عمرو بن العاص والامير خالد رضى الله عنهما وامر خالدا بالتوجه الى الصعيد.

(قال الراوى) واما الامير خالد رضى الله عنه فانه بعد شهر أو شهرين ترك الفا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جميع القبائل بمدينة البهنسا وخرج بالفى فارس من الصحابة رضى الله عنهم الى أرض الصعيد راكبين خيولهم بعددهم ودروعهم وسلاحهم من جميع القبائل من بنى هاشم وبنى عبد المطلب وبنى عبد الدار وبنى زهير وبنى نزار وبنى جهينة وبنى اوس وبنى خزرج وبنى مَذْحِج وبنى فهر وبنى طى وبنى خزاعة وغيرهم وولى على من بالبهنسا مسلم بن عقيل رضى الله عنهما فسكن فى الدور والقصور وجعل فى وسط تلك المدينة أسواقا وشوارع وسكن أكثر الصحابة رضى الله عنهم فى جانب البحر اليوسفى وجعلوا من البحر الى الجانب الغربى شوارع لاجل ان تسيح دوابهم فى البحر قال واقام مسلم بن عقيل متوليا عليهم الى خلافة امير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم تولى محمد بن جعفر بن ابى طالب بعده ثم مضى مسلم رضى الله عنه وترك أولاده وأولاد اخوته بها رضى الله

عنهم ولم يزل بالمدينة حتى قتل فى خلافة الحسن بن الامام على رضى الله عنهما واقام محمد بن جعفر رضى الله عنهما الى خلافة الامام على كرم الله وجهه ثم تولى عليها على ابن عبد الله بن العباس رضى الله عنه الى خلافة معاوية فكان عليها عبد العزيز ابن مروان الاموى ثم تولى من بعده طاهر بن عبد الله فكانت قريش والاشراف بالجهة الشرقية يقال لها حارة الاشراف وان لكل قبيلة حارة

(قال الراوى) لما فتحت مدينة البهنسا كانت عدة السوقة والناس من اهلها اربعين ألفا حدثنا حامد بن يزيد عن نوفل الماردى انه كان بمدينة البهنسا حين فتحت أربعمائة بقال يدعون الخضراوات وغيرها وكانت مدينة عظيمة آهلة

(قال الراوى) فلما وقع بين بنى امية وبنى العباس الخلف رحل أكثر الناس منها وكان قد وقع بين بنى هاشم وبنى امية رقعة فأخرجوا منها جماعة ووقع الخلاف فى أهلها فخرج أكثرهم ونزل بها جماعة من العرب وبناها الحسن بن صالح واخوته فى خلافة بنى العباس فعمر المسجد المعروف بابن صالح وأكثر الزوايا والرباطات وأقام بها حتى مات رحمة الله عليه ونرجع الى سياق الحديث فى خروج الامير خالد رضى الله عنه ومن معه الى الصعيد فانه لم يزل يفتح مدينة بعد مدينة حتى انتهى الى آخر الصعيد ثم الى عدن وسواكن فلما تم له الفتح فى ذلك والنصر والتأييد أنشد هذه القصيدة يذكر فيها فتح البهنسا وما بعدها ومدح الصحابة وغير ذلك فقال

أتينا بلاد الكفر للحق نفتح * فتم لنا فيها الفتوح المفرح
لوجه سعيد مذ أتينا بجمعنا * فقصنا بلادا عدها متربح
وبالبهنسا الغرا أقامت جيوشنا * ثلاث سنين بابها ليس يفتح
وكانت ثمان من ألاف رجالنا * وكل همام عن ثمانين يربح
فما فتحت إلا وقد صار جمعنا * ثلاثة آلاف وبعض مجرح
ولا مر بى يوم كيوم حروبها * وكان بها البطلوس ليث مجحجح
ولم أر فى أرض الصعيد كمثلها * وبطلوسها الما على السور يرمح
وكان له جيش وعدة جمعه * ثمانون ألفا بالسلاح توشحوا
وكم ناهزمناهم مرارا كثيرة * ويخدعنا البطلوس فيها فنصفح
وكم لعب الهندى يوم فتوحها * وكانت رجال فيهم وهى تذبح
الى ان ملأنا البر والبحر منهم * وقد ثبتت منهم بايورد وارح

ثلاثون الفا قد تولت الى الفلا * وعشرون الفا منهم قد تجردوا
فمنهم بصدر يلتقي الطعن في الوغى * ومنهم بحد الصفاح يصافح
وبطلوسهم ذاك اللعين قتلته * وقد كان في بحر الجرابة يسبح
وعاجلته بالرمح مني بطعنة * فأردته حالا وهو كالخيل يجمح
فعاد بريح ابن الوليد مجندلا * على ساحة الغبرا والدم ينفح
تركناه في بحر الدماء على الثرى * قتيلا عليه النائحات تنوح
وصارت جيوش الكفر من بعد قتله * ترى غنما قد غاب عنها المسرح
وكان لدى الهيجا شجاعا مصادما * على اشهب في حومة الحرب يرمح
وقد فرحت أصحابنا يوم قتله * لعمرك الا كان للنصر تفرح
أقمنا بارض البهنسا بعد فتحها * ثلاثين يوما للمساجد نصلح
جعلنا بها الفا تكون لحفظها * وتأمر بالمعروف فيها وتنصح
وسرت على ارض الصعيد مبادرا * بألفين في الهيجا تمسي وتصبح
من البهنسا لاسوان جمعا فتحته * بعشر شهور اهلها قد ترنحوا
وبعد الثلاثين الذي شاع ذكرنا * وكل فتى منا على الالف يرجح
ورحنا فتحنا الهند والسند كلها * واسيافنا لله دوما تسبح
وفي كل ارض قد تركنا فوارسا * الى ملة الرحمن للناس توضح
وهذا كلام ابن الوليد بما جرى * فكن سامعا مني الذي لك أشرح
فما مثله في حومة الحرب فارس * ولا مثله في جوهر النظم مفصح
ومن بعد ذا صلوا على أشرف الورى * محمد ابهى الخلق وجها وأسمح
نبي أتانا بالكتاب وبالهدى * وتابعه في الدين بالخير يربح
عليه صلاة الله ثم سلامه * مدى الدهر ما دامت طيور تسبح
وآل وصحب منذ ساروا الى الوغى * جميع بلاد الله بالحق اصلحوا

(واعلم يا أخي) وفقك الله لما يحبه ويرضاه انه ليس مقصودنا في هذا الكتاب الا فتوح البهنسا خاصة لانه المراد وفضائل السادات والشهدا والاخيار والامراء الامجاد رضي الله عنهم وارضاهم ونفعنا بهم في الدين والدنيا والآخرة وحشرنا معهم تحت لوائهم فقد نقل انه حضر فتوح البهنسا نحو سبعين بدريا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي تربتها نحو خمسة آلاف صحابي رحمة الله عليهم ورضوانه ورضي عنهم

وكرمه

وكرمه وزيارتها اعظم الاجور وقد زارها جماعة من العراق مثل بشر الحافي وسري السقطي ومالك بن دينار ومثل هؤلاء السادات قدس الله اسرارهم وزارها من اقصى المغرب مثل سيدي أبي مدين بن شعيب وابي الحجاج الاقصري وابي عبد الله وايضا زاره الفضل بن عياض وغير هؤلاء الافاضل خلق كثير وذلك كله لاجل من دفن من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (وروي) ان اقليم البهنسا اكثر بركة من جميع ارض مصر كلها وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بعد مكة والمدينة والارض المقدسة ارض مباركة الا ارض مصر واكثر البركة في الجانب الغربي واهلها البهنسا وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما يقول انه ليس بارض مصر بالوجه القبلي ارض مباركة ولا اكثر بركة من ارض البهنسا وكان ابو علي النووي اذا أتى الى جبانة البهنسا ينزع اثوابه ويتمرغ في الرمل ويقول يالك من بقعة طال ما ثار غبارها في سبيل الله وكان ابو علي الدقاق قدس الله سره اذا مر بجبانة البهنسا يقول يالك من بقعة ضمت اعضاء رجال واي رجال وابطال طالما عرقت وجوههم في سبيل الله وقتلوا ابتغاء مرضات الله وقيل للحسن ابن صالح لم اخترت هذه البلدة على غيرها قال كيف لا آوي الى بلدة آوى اليها روح الله وكلمته وينزل على جبانتها في كل يوم ألف رحمة ولما ولي عبد الله بن طاهر مصر رحمه الله تجهز من مصر واتى الى البهنسا فلما قرب من الجبانة ترجل عن جواده وترجل كل من معه وكان الوالي عليها عبد الله بن الحسين الجعفري خرج الى لقائه ماشيا وسلم عليه فلما وصل الى الجبانة قال السلام عليكم احياء الدارين وخير الفريقين ثم التفت الى اصحابه وقال ان هذه الجبانة ينزل عليها كل يوم مائة رحمة وانها تزف باهلها الى الجنة ومن زارها تتساقط ذنوبه كما تتساقط الاوراق عن الاشجار في يوم الريح العاصف وكان عبد الله في كل يوم بعد ذلك يخرج حافيا يزور الجبانة ثم يعود حتى مات رحمة الله عليه ويروى عن رجل من اهل الخير والصلاح يسمى عبد الرحمن بن ظهير الدين كان من اهل البهنسا قال كان لي ولد مسرف على نفسه فمات فدفنته قريبا من الشهداء الذين هم بالجانب الغربي فبينما انا نائم ذات ليلة اذ رأيته وعليه ثياب من السندس الاخضر وعلى رأسه تاج من الجوهر وفي قبة من نور وحوله جماعة ما رأيت احسن منهم وجوها ولا اثوابا متقلدين بسيوفهم وهم كالاقمار فسلمت عليهم وعليه وقلت له لقد سرني حالك فقال يا هذا اني نزلت بجوار قوم يحمون النزيل

في الدنيا من المعارف فكيف لا يمحونه في الآخرة من النار وقد استوهبوني من العزيز الجبار فغفر لي ببركتهم الذنوب والاوزار واسكنني جنات تجري من تحتها الانهار قال ذو النون المصري رحمة الله عليه كنت في كل سنة آتي الى البهنسا ازور الجبانة لما رأيت في ذلك من الاجر والثواب فحصل لي سنة من السنين عارض اشغلني عن زيارتها فبينما انا ذات ليلة من الليالي اذ رأيت رجالا لم ار احسن منهم وجوها ولا انقى ثيابا وهم على خيول شهب وبأيديهم رايات خضر ووجوههم تتلالأ بالانوار فسلموا علي وقالوا قد اوحشتنا يا ذا النون في هذه السنة فان لم تزرنا زرناك كذا فقلت من انتم يرحمكم الله فقالوا نحن الشهداء الاخيار اصحاب محمد المختار صلى الله عليه وسلم كنا بأرض الروم لنصرة المسلمين على اعداء الدين مررنا نسلم عليك ونظر ما سبب انقطاعك عنا فقلت في اي ارض انتم قالوا نحن سكان جبانة البهنسا ولك علينا حقوق الزيارة فقلت لهم يا سادتي ما ظننت اقطع حبل المودة بيني وبينكم وما كنت اظن في نفسي اني صاحب هذا المقدار وما كنت اعلم انكم تعلمون من يزوركم فقالوا يا ذا النون ألم تعلم ان الشهداء احياء عند ربهم يرزقون وبهذا نطق الكتاب المكنون ثم تركوني ومضوا فاستيقظت من النوم وفي قلبي لهيب النار فهنيئا لمن زار هؤلاء السادة الاخيار (ولقد) اثبت في هذا الكتاب العذب المستطاب نوادر غريبة ووقائع عجيبة فصار بحمد الله كامل المعاني والبيان عظيم المقدار والشان لا يألفه الا اولوا الالباب ولا يسمعه الا اهل الخطاب ولا يقرأ الا بين اهل الذوق والمعرفة فهو كالزهر في الرياض لمن اقتطفه متع الله به قارئه وسامعه وكاتبه وجامعه وجعله خالصا لوجهه الكريم وسببا للفوز لديه بجنات النعيم واحشرنا في زمرة خاتم النبيين وامام المرسلين وآله الطيبين وصحابته الطاهرين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حمدا لمن أمر خير انبيائه بالتحريض على القتال ووعده بالنصر والصلاة والسلام على من كان اذا أراد الجهاد سبقه الرعب مسيرة شهر * وعلى آله اولى البطش الشديد وصحابته ذوى النصر والتأييد * أما بعد فيقول محمد السمالوطى لما كان هذا الكتاب الشريف والمسطر الفائق المنيف حكاية لغزوة من اعز الغزوات الاسلاميه وقصة فتح مبين للصحابة المحمديه وفق الله نحو يديه الجليل الشيخ حسين الخشاب مع حضرة مولانا الشيخ على عمر الابيارى ولما اسفر بدر التمام وفاح مسك الختام قلت

أنوار بدر الدجى ام نور مصباح * أم آية النصر قد جاءت بأفراح
نصر من الله بالفتح المبين بدا * فأصبح الشرك إعداما باتراح
أودى به معسرك جاءت بنصرته * آيات عز وإسعاد وانجاح
لله آل النبي اذ غادروا رجما * من الاولى كفروا من غير أرواح
وشيدوا ملة الاسلام حيث أتوا * بالصافنات وشنوا غارة اللاحي
يا صحب خير نبي حسبكم شرفا * وعد الاله بما أودى بأشباح
فان يكن منكم عشرون صابرة * ناروا عليهم بأوضاح وأوضاح
ان تنصروا الله ينصركم على امم * حازوا الضلال وخوتم هدى اصلاح
فكم لكم في قرى الاشراك معركة * لا سيما البلدة الغرا بافصاح
حاولتم اهلها الاسلام فامتنعوا * فجالدوا بسيوف ثم ارماح
وصالوا بينهم حتى غدرا عدما * وعاينوا الهدى من غير انزاح
فيالها غزوة فى ذكرها طرب * يحلو لديك بترتيل وافصاح
كأنما بالمثانى ذكرها فترى * عزم الغرام له أوراح أقداح
انى لطابع محياها أخو شغف * والروح فى صبوة منها لارواح
دامت سلافة فجرها معطرة * تكسى بطابع الهدى من خير افلاح
فى نظم سلك درارى احرف نظمت * بفهم موهى من العقبى بأرباح
فيا الفطانة العلياء من ثقة * تبدى الغريب لنا من غير اجاح
وكم له احرف نال السرور بها * وسار منها لرقياه بمفتاح
لازال يرقى المعالى فى صناعته * كما رقى طابع الغرا بامصاح

ماقلت والانس مصحوبى اورنحه * أحيي الفتوح لنا انشاء أفراح

٢٩ ٥٢٥ ٨١ ٣٥٣ ٢٩٠

١٢٧٨

ولما كانت هذه الغزوة الشريفة تشنف بها المسامع وصارت مرغوبة لكل قارى وسامع
تكرر طبعها مرة ثانية على ذمة العمدة المكرم الشيخ حسين الخشاب
فحصل طبعها على أكمل تحرير * وقد تم فى شهر ذى القعده
سنة ١٢٨٠ ثمانين ومائتين وألف من
الهجرة النبويه * على صاحبها
أفضل الصلاة وأزكى
التحيه